



الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لسنا لنكون له من قبل
السرور والسرور





الْعَبِيدُ الْعَبَّاسِيُّونَ الْمُقَلِّدُونَ

مَجْلَدُ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ

مَوْزُونٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ

فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

اسم الكتاب

دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسة الثقافية السابع
المنعقد تحت شعار (الفرجعية الدينية حصن الأمة الإسلامية)

الإشراف العام

السيد ليث نجم الموسوي
السيد عقيل عبد الحسين الياسري
الأستاذ أحمد صادق حسن الكناني

المتابعة والتنفيذ

رضوان عبد الهادي السلامي
الشيخ بدر فياض العلي

الإعداد والتحرير

صباح نعيم جاسم
محمد رضا جاسم
حيدر فائق هادي
محمد يوسف
حيدر الدفاعي
طه عباس فياض

التصوير

مركز الكفيل للإنتاج الفني

التصميم والإخراج الطباعي

علي طالب عبد الأمير
أحمد هاشم عبد الله

الطباعة

الأولى

اللجنة العلمية للمؤتمر

أ.د. عباس رشيد الدده / جامعة الكفيل
أ.د. رياض طارق العميدي / جامعة العميد
أ.د. محسن عبود محسن / جامعة الكوفة
أ.د. نجم عبد الحسين نجم / جامعة كربلاء
أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري / جامعة بغداد
أ.د. مشتاق عباس معن / جامعة الكفيل
أ.د. سرحان جفات سلمان / جامعة القادسية
أ.د. عادل نذير بيرى / جامعة وارث الأنبياء
أ.د. عبد الكريم عز الدين الاعرجي / جامعة بغداد
أ.د. ميثم حميد السعدي / جامعة العميد
أ.د. محمد حسن جابر / جامعة العميد
أ.د. سامي حمود الحاج جاسم / الجامعة المستنصرية
أ.م.د. مصطفى ضياء الحسني / الجامعة المستنصرية
أ.م.د. نوال عائد الميالي / جامعة الكفيل



دَلِيلُ فَعَالِيَاتٍ وَجُحُوثٍ
مُهَرَّجَانِ فِتْوَى الدُّفْعِ الْمُقَدِّسَةِ التَّقَا فِي السَّابِعِ



بحوث مؤتمر فتوى الدفاع المقدّسة العلمي الدولي الرابع

تحت شعار:
المرجعية الدينية حصن الأمة الإسلامية

و بعنوان:
فتاوى الدفاع المقدّسة بين الماضي والحاضر
مرجع الطائفة سماعة السيد السيستاني (دام ظله الوارف)
وسماعة السيد محمد بن علي الطباطبائي
المجاهد (قدس سره)
تشابه الأهداف واختلاف الأساليب



الجلسة البحثية الثانية

البحث الأول

دور المرجعية الدينية في ترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيز ركائز الوحدة الوطنية والمواطنة (توجيهات السيد السيستاني رحمته الله نموذجاً)

الدكتورة زهراء علي دخیل
زينب علي دخیل

الجامعة اللبنانية
بكالوريوس تاريخ - الجامعة اللبنانية

الملخص:

للقيم التربوية والأخلاقية دورٌ بالغ الأهمية في التأثير على النُظم: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

كما أنّ للمواطنة دوراً مهماً، وتأثيراً واضحاً، في تثبيت الاستقرار المجتمعي، وتعزيز ركائز الوحدة الوطنية.

تُسهّم القوى الوطنية، والمجتمعية، ومُنظمات المجتمع الأهليّ في أداء دور المُوجه، وتفعيل مهامّ التضامن الوطني والتعاون في الوحدة، والاندماج، والتكامل، والانسجام الوطني.

في هذا الإطار، يبرز دور المرجعية الدينية في النجف الأشرف، في رفد أُسس المواطنة، وتقريب الأفكار المجتمعية، والمواطنين بعضهم بعضاً.

تعالُج، هذه الدراسة، أهمّ الأُسس التي اعتمدتها المرجعية الدينية، المُثَلّة في السيد السيستاني، في تبني تلك الطّروحات، وتشجيع تلك المقوّمات.

كما تضمّنت هذه الدراسة، عرضاً لمفهوم القيم ودلالاتها، ومنها؛ ما يتّصل بالمرجعيات الدينية، ومدى فاعليّتها، ومواكبتها للأحداث، والتفاعلات الاجتماعية، والسياسية.

لقد توسّع البحث في تناول موضوع المواطنة تعريفاً، واصطلاحاً، ودوراً، كما ناقشت موضوع المُواطنة والدولة في المفهومين: الإسلاميّ والغربيّ، ومواقف المرجعية الدينية العُليا في النجف الأشرف من هذا المفهوم المحوريّ في بناء الدولة، واستقرار المجتمعات، وتطوّر فاعليّة الحكومات.

Abstract

Educational and moral values have a very important role in influencing the political, economic and social systems.

Citizenship also has an important role and a clear impact on stabilizing societal stability and strengthening the pillars of national unity.

National and societal forces and civil society organizations contribute to playing the role of mentors and activating the tasks of national solidarity and cooperation in unity, integration, integration and national harmony.

In this context, the role of the religious authority in the holy city of Najaf is evident in supporting the foundations of citizenship, and in bringing societal ideas and citizens closer together.

This study deals with the most important foundations adopted by the religious authority represented by Al-Sayyid Al-Sistani in adopting these propositions and encouraging these components.

This study also included a presentation of the concept of values and their implications, including those related to religious references, and the extent of their effectiveness and their keeping pace with events and social and political interactions.

The research expanded in addressing the issue of citizenship by definition, terminology, and role. It also discussed the issue of citizenship and the state in the two concepts: Islamic and Western, and the positions of the supreme religious authority in Najaf Al-Ashraf regarding this pivotal concept in building the state, the stability of societies, and the development of the effectiveness of governments.

Keywords: Religious authority - Mr. Sistani - values - national unity – citizenship.

الأهداف:

- توثيق الجهد العلمي للمرجع السيد السيستاني بدءاً من إجماع العلماء الكبار على أهليته وأحقّيته في تولّي منصب المرجعية الدينيّة في النّجف الأشرف وإلى يومنا الحاضر.
- إبراز الدور الفاعل للمرجعية في بناء الإنسان وإصلاحه.
- بيان القيم الأخلاقية والتّربويّة والأديّة في وصايا السيد السيستاني من أجل بناء الإنسان وإصلاحه.
- إبراز أثر المرجعية الفاعل في إدارة الأزمات (أزمات العالم الإسلاميّ) وأحداثه المفصليّة، وتوجيههم الأمثل على الصّاعدين: النّفسيّ، والحركيّ
- تبيان الأثر البارز لفتاوى المرجعية الدينيّة في توحيد الأُمّة الإسلاميّة.
- إبراز الارتباط الروحيّ للمسلمين بالمرجعية من خلال استجابتهم الشاملة للفتاوى.
- تسليط الضّوء على مواقف المرجعية القياديّة، عبر رصد مختلف أشكال الانحراف، ومعالجتها خصوصاً الإرهاب والتّطرّف.

المقدمة:

يستأثر موضوع القيم التربوية والأخلاقية باهتمام كبير، في الآونة الأخيرة، نظراً إلى تأثيره المهم على مختلف الصُّعد: الإنسانيّة، والوطنية، والمجتمعية. إنّ للقيم التربوية والأخلاقية انعكاسات بالغة الأهمية على النُّظم: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

إنّ المواطنة منظومة متكاملة من الحقوق الطبيعية التي يتعيّن أن يتمتع بها كل إنسان، وعلى السلطة توفيرها والالتزام بها، طالما أنّ هذه السلطة تستمدّ شرعيّتها من إرادة مواطنيها.

لقد ركزت دساتير الدول الحديثة^(١) وقوانينها على تحديد ملامح المواطنة وحقوقها وشروطها، ودرجت تلك القوانين لمراحل طويلة، على تحديد حقوق المواطن وواجباته، وأبعاد المواطنة.

تعدّ المواطنة من أسمى درجات العدالة عند التعامل مع أبناء الوطن جميعهم بوصفهم متساويين في الحقوق والواجبات، لا فرق بين مواطن وآخر، ولا تفرقة بين المواطنين على أساس الدين، أو الجنس، أو الأصل، أو اللغة. في هذا الإطار، يبرز دور المرجعية الدينية في النجف الأشرف، في رفد أسس المواطنة، وتقريب الأفكار المجتمعية، والمواطنين بعضهم بعضاً.

انطلاقاً من ذلك، تُطرح على طاولة البحث إشكاليّات مرتبطة بمدى إسهام المرجعيّات الدينيّة، في تعزيز تلك القيم ودورها في تثبيتها، وتعزيز ركائز الوحدة الوطنية والمواطنة.

١- دستور الجمهورية التونسية لسنة ٢٠١٤.

المبحث الأول: القيم الأخلاقية والتربوية: مفهومها، دلالاتها، تطبيقاتها لدى المرجعية الدينية العليا أولاً- مفهوم القيم ودلالاتها

للقيم دورٌ مهمٌ في ترسيخ التنشئة الوطنية، وتعزيز الاستقرار المجتمعي، وتأمين المشاركة في التقارب، والانسجام بين المكونات، والعناصر المختلفة في الدولة. تدفع القيم لتفعيل روح التعاون، وزيادة أواصر التفاهم، وتطوير معاني الإخاء، والوحدة.

تُعرّف القيم بأنها: «الرغبات والأهداف المتفق عليها اجتماعياً، والتي تدخل في عمليات التعلم والتنشئة الاجتماعية»؛ نفهم من خلال هذا التعريف أنّ القيم يكتسبها الفرد من خلال التعلم والتنشئة الاجتماعية^(١). فالأفراد يستقون القيم من البيئة التي يعيشون فيها فتتطبع قيمهم بطابعها، وبدورهم يُورثون القيم للأجيال القادمة. هناك أحد الباحثين (كمال التابعي) يُعرّف القيم من خلال مجموعة الاتجاهات، التي وضعها لدراسة القيم، ويُعرّفها: «بوصفها أشياء وموضوعات مرغوب فيها، أو مرغوب عنها»؛ فدراسة القيم والتعرّف إليها يظهر من خلال مؤشرات الاتجاهات، والأفعال، والسلوك، ومن خلال الغايات، التي يُصرّح بها الأفراد، والمثل الثقافية، والتوجهات القيمية، والمعايير، والمعتقدات^(٢).

يُعرّف (فير تشايلد) القيم بأنها «مواضيع يوجد اتفاق حولها. إنّ الحكم القيمي الذي يطلقه الناس، ينبع من أشياء؛ وهي: الواجب، والحسن، والجميل، والضروري، وإنّ القيمة هدف له علاقة بالعاطفة. ومن ثمّ؛ فإنّك تحب كل ما يساعدك على تحقيق أهدافك، ومن الجانب المعنوي؛ ترتبط القيمة بالصفات، والفضائل، التي تكون محلّ الرضا، أو القبول، أو الإعجاب، أو التقدير، فتخرج القيمة من الدائرة الضيقة،

١ - غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٢٧٢، ٢٧١.

٢ - كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٩.

وتكتسب صفات معنوية^(١).

ترتبط القيم بسمات عبر تاريخها، ويحدث التطور والتغير لتلك القيم؛ لتواكب حركة التغير، التي يشهدها المجتمع بوساطة التقدم العلمي، والثقافي^(٢).

تشير القيم إلى الكيفية التي سيتعامل بها الإنسان في المواقف المستقبلية، وتساعد الإنسان على التفكير في ما ينبغي عليه أن يفعله تجاه تلك المواقف، والأحداث؛ وتحدد له الأساليب، والوسائل التي يختارها تجاهها، إضافة إلى تفسير السلوك الصادر عنها، وتحفظ على المجتمع تماسكه، وتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئها الثابتة المستقرة التي تحفظ له هذا التماسك، والثبات اللّازمين، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة، التي تسهل للناس حياتهم، وتحفظ للمجتمع استقراره، وكيانه؛ في إطار موحد، تربط مختلف ثقافات المجتمع بعضها ببعض؛ حتى تبدو متناسقة تقي المجتمع من الأنانية المفرطة، والنزعات، والشهوات الطائشة، وتساعد على التنبؤ بما سيكون عليه المجتمعات، فالقيم، والأخلاقيات الحميدة هي: الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات.^(٣)

ثانياً: القيم الأخلاقية والتربوية لدى المرجعية الدينية العليا

تسعى المرجعية الدينية، بصفتها عنصراً فاعلاً، ومؤثراً في توجيه النصّح والإرشاد، إلى مخاطبة المجتمع بأهميّة التمسك بالقيم العليا الرفيعة، وإيجاد المساحات المشتركة للقاء، والابتعاد عن كل مظاهر الانقسام، والتفرقة.

فهناك قيمٌ أخلاقية وتربوية في المجتمعات الإنسانية... ومن ذلك: ما تدعو إليه، وتحثّ عليه المرجعية الدينية العليا.

من القيم الأخلاقية والتربوية، التي حثّت المرجعية الدينية العليا، بقيادة السيد السيستاني رحمته الله، على الالتزام بها من أجل حماية المدنيين، واحترام المقاتلين، والتعامل

١- حمد محمد الزباني، القيم الاجتماعية، مطبعة الاستقلال الكبرى، دون مكان النشر، ١٩٧٣م، ص ٨، ٩، ١٣.

٢- قباري محمد إسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م، ص ٢٨٣.

٣- <http://posts.aspx?u=3706&A=83993> Muolaynadjem.elaphblog.com

الإنسانيّ مع المعتقلين أيّاً كانوا، وحفظ مُمتلكات المواطنين وحراستها^(١):

- نوّكّد مرّة أخرى على جميع أحبّتنا المقاتلين، وهم يُواجهون عدوّاً ظالماً لا يراعي أدنى المعايير الأخلاقية في حربه معهم، حيث يتخذ المناطق السكنية مواقع للقتال، ويجعل العوائل من الأطفال، والنساء، وكبار السنّ، دروعاً بشرية لحماية نفسه.

- نوّكّد على المقاتلين، بمختلف عناوينهم، أن يعملوا ما في وسعهم؛ لإبعاد الأذى عن المواطنين العالقين في تلك المناطق، وأن يوفرّوا الحماية لهم بالقدر المستطاع.

- كما نوّكّد على ضرورة التعامل الإنسانيّ مع المعتقلين أيّاً كانوا، وتسليمهم إلى الجهات الرسمية، ذات العلاقة، والحيلولة دون أن يقع عليهم ظلم، وتعدّد من أيّ جهة كانت.

- ونوّكّد أيضاً على أهمية حفظ مُمتلكات المواطنين، وحراستها في المناطق التي يتمّ تحريرها، وعدم السماح لأيّ كان بالتجاوز عليها وإتلافها، أو الاستحواذ عليها.

إذ يؤكّد، سماحة المرجع السيستاني رحمته الله، رعاية تلك الجوانب الأخلاقية، والتربوية، وعدّها واجباً دينيّاً، وأخلاقياً، ووطنياً؛ لبناء الشخصية الوطنية الفاعلة، من أجل الحفاظ على النسيج الوطنيّ، فيهب بجميع المشاركين في العمليات القتالية الالتزام التامّ بها، وإعطاء صورة مشرفة عن المقاتل العراقيّ المدافع عن وطنه، تبقى ماثلة في الأذهان. فتبيّنوا تلك الميزات، والسمات التي يجب أن يتحلّى بها المقاتلين الأبطال، من لدن المرجعية الدينية العليا:

- نظرة الإجلال والإكبار «نُحييهم بإجلال وإكبار، أياديهم طاهرة». لاحظوا أيّ وصف لأولئك الأبطال، أولئك المقاتلين الذين يمسون بالسلاح؛ دفاعاً عن العراق، ومُقدّساته، ومواطنيه.

- التضحيات العظيمة «نقدّر عاليّاً تضحياتهم»؛ وصف عظيم لتلك التضحيات.

- نبارك انتصاراتهم الرائعة. «فهنيئاً لكم! أيها المقاتلون الأبطال بهذه الأوصاف».

١- في خطبة الجمعة بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الموافق ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٤ شباط ٢٠١٧ م.

في ما يتّصل بمجالات القيم التربويّة، والأخلاقيّة التي دعت إليها المرجعيّة موضوع المواطنة؛ من المؤكّد أنّ المواطنة، هي في المقام الأوّل، وضع قانونيّ، وهذا الوضع يشمل قبل كل شيء: حق التصويت في الانتخابات، لكنه أيضاً يتضمّن مجموعة من الحقوق، والحريات؛ يجب أن يتمتع بها المواطن دون قيود، غير التي يفرضها المجتمع، فالمواطنة قانونيّاً تعني: «علاقة الفرد بالدولة كحقيقة جغرافيّة، وسياسيّة؛ تحدّدها، وتحكمها النصوص الدستوريّة، والقانونيّة، والتي تحدّد على قاعدة المساواة الحقوق المختلفة للأفراد، والواجبات التي عليهم تجاه المجتمع، والوسائل التي يتمّ من خلالها التمتع بالحقوق، والايفاء بالواجبات، وعادةً ما تكون رابطة (الجنسيّة) معياراً أساسيّاً لتحديد من هو المواطن، وبناءً عليها، ترتّب الحقوق، والواجبات السياسيّة، والمدنيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة...»^(١).

تُطالب المرجعيّة الدينيّة، ممثلة بالسيد السيستاني (رحمته الله)، بالقضاء على الفساد، وإيجاد فرص عمل لأعداد كبيرة من العاطلين، خاصّة حملة الشهادات الجامعيّة، والقيام بإصلاحات سياسيّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة، وإيقاف عمليّات المdahمات، والاعتقالات غير المبرّرة، فضلاً عن وقف الإعدامات، من دون محاكمات فعليّة، وإثباتات قاطعة بالأدلة والشُّهود.

ثالثاً: دلالات موقف المرجعيّة الدينيّة من المظاهرات السّلميّة

انسجماً مع المواقف المبدئيّة للمرجعيّة الدينيّة، التي تُعدّ من أولويّاتها نقل هموم الناس إلى الحكام، والمسؤولين؛ وتنبههم على سوء الأحوال العامّة، وقفت مدافعةً عن المطالب الأساسيّة للمظاهرات، ذات الطابع السّلمي والحضاريّ.

١ - ظاهر محسن هاني الجبوري، مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة، في: مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانيّة، المجلد (١)، العدد (١٨)، ٢٠١٠م، ص ٥٣.

من بيان المرجع الكبير السيد السيستاني رحمته الله ^(١) :

بعد يوم (٢٥ شباط ٢٠١١م)، من التظاهرة، أصدر مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله بياناً، تضمّن تقديرًا للمتظاهرين، وامتدح الحالة السلميّة والحضاريّة للتظاهرة. وذلك بعيداً من الأحداث الدامية، التي رافقت التظاهرات والمصادمات مع رجال الأمن. ممّا جاء في بيان السيد السيستاني رحمته الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ المرجعيّة الدينيّة؛ إذ تُقدّر عاليًا أداء المواطنين الأعزّاء، ممّن شاركوا تحسّباً لمخاطر استغلالها، من قبل ذوي المآرب الخاصّة؛ تدعو مجلس النوّاب، والحكومة العراقيّة، إلى اتّخاذ خطوات جادّة، ولمموسة في سبيل تحسين الخدمات ، ولا سيّما الطاقة الكهربائيّة، ومفردات البطاقة التموينيّة، وتوفير فرص العمل للعاطلين، ومكافحة الفساد المستشري، في مختلف دوائر الدولة... إنّ المرجعيّة الدينيّة التي طالما أكّدت، على المسؤولين، ضرورة العمل على تحقيق مطالب الشعب المشروعة، تحذّر من مغبّة الاستمرار على النهج الحالي في إدارة الدولة، وممّا يمكن أن ينجم عن عدم الإسراع، في وضع حلول جذريّة لمشاكل المواطنين، التي صبروا عليها طويلاً...

نتبيّن من بيان السيد السيستاني رحمته الله ما يلي:

- حرص سماحته على بقاء التظاهرات سلميّة، وحضاريّة، ومن دون عنف، أو تخريب للمال العام والخاص.

- دعا سماحته إلى تحسين الطاقة الكهربائيّة، ومفردات البطاقة التموينيّة، (لم تكن من مطالب المتظاهرين، فالكهرباء تصبح أزمة في أشهر الصيف ، وليس في الأشهر الباردة، مثل: شباط).

١- بيان السيد السيستاني رحمته الله من التظاهرة التي كانت بتاريخ ٢٥ شباط ٢٠١١م، بعد يوم من التظاهرة أصدر سماحته ذلك البيان؛ أي بتاريخ ٢٢/٣/١٤٣٢ هـ الموافق في ٢٦/٢/٢٠١١م..

- حذر سباحته من الجماعات المندسّة، التي تستغلّ التظاهرات لأهدافها الخاصّة.
- دعا سباحته مجلس النّواب، والحكومة العراقيّة إلى المبادرة؛ لتحسين الخدمات
الحياتيّة، والمعيشيّة؛ ما يصبّ في مصلحة الوطن، والمواطنين.
- الدعوة إلى توفير فرص العمل، ومكافحة الفساد.
- دعوة الدولة إلى التخلّي عن حالة البطء، الذي يرافق الإجراءات الحكوميّة،
والإسراع بالإجراءات اللازمة.

بتلك الوصايا، والإرشادات الإصلاحيّة، في مختلف الصّعد سواء السياسيّة، أم
الاقتصاديّة، أم الاجتماعيّة، حرص سباحته على تماسك النسيج الوطني، وأثره في
بناء الشخصية الوطنيّة الفاعلة.

ومن خطبة الإصلاح الحكومي^(١):

تلك الخطبة، مثّلت منهجاً جديداً، لحركة الإصلاح الحكومي. وطلبت المرجعيّة
مباشرة من رئيس الوزراء السابق الدكتور حيدر العبادي، التحركّ بذلك الاتجاه،
وأن يكون أكثر جرأة، وشجاعة، في خطواته الإصلاحيّة، ويضرب بيد من حديد.
جاء في الخطبة ما يأتي:

يمرّ بلدنا الحبيب العراق بأوقات عصيبة، ويُعاني من أزمات متنوّعة؛ أثّرت
بصورة جدّية، على حياة المواطنين، وكانت لها تداعيات كبيرة على معيشة الكثيرين
منهم. فمن جانب، يواجه البلد الإرهاب الداعشي، الذي بسط سيطرته على أجزاء
كبيرة، من عدّة محافظات، وارتكب ولا يزال يرتكب من الجرائم ما يندى له جبين
الإنسانيّة، وقد تسبّب في نزوح مئات الآلاف، من المواطنين عن مساكنهم، ويعاني
الكثير منهم، من أوضاع مأساويّة. ولكن أبناء العراق الميامين، في القوات المسلّحة،
بتشكيلاتها المختلفة، وكذلك المتطوّعون الأبطال، وأبناء العشائر الغيارى، همّوا

١ - خطبة الإصلاح الحكوميّ للمرجع الدينيّ الكبير السيد علي السيستاني (عليه السلام): في خطبة الجمعة يوم ٧ آب ٢٠١٥ الموافق ٢١ شوال ١٤٣٦ هـ.

للدفاع عن الأرض، والعرض، والمقدّسات، وقد حقّقوا انتصارات مُهمّة، خلال الأشهر الماضية، وقدّموا التضحيات الجسام؛ فداءً للوطن العزيز، ولا يزالون مستمرّين في منازلهم للأعداء، بكل قوّة، وبسالة، حماهم الله، ونصرهم نصرًا عزيزًا. المطلوب، من القوى السّيّاسيّة، أن توحّد مواقفها، في هذه المعركة التاريخيّة، التي هي معركة وجود للعراق، ومستقبله، والمطلوب من الحكومة، أن تُسخر مختلف إمكانيّاتها؛ لإسناد المقاتلين ودعمهم؛ فإنّ لهم الأولويّة القصوى في هذه الظروف... المُتوقّع، من السيد رئيس مجلس الوزراء، الذي هو المسؤول التنفيذي الأوّل في البلد-وقد أبدى اهتمامه بمطالب الشعب، وحرصه على تنفيذها- أن يكون أكثر جرأة، وشجاعة، في خطواته الإصلاحيّة، ولا يكتفي ببعض الخطوات الثانويّة، التي أعلن عنها مؤخرًا؛ بل يسعى إلى أن تتخذ الحكومة قرارات مهمّة، وإجراءات صارمة، في مجال مكافحة الفساد، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة؛ فيضرب بيدٍ من حديد، من يعبث بأموال الشعب، ويعمل على إلغاء الامتيازات، والمُخصّصات غير المقبولة، التي منحت لمسؤولين حاليّين، وسابقين في الدولة؛ ممّا تكرّر الحديث بشأنها.

إنّ المطلوب منه أن يضع القوى السّيّاسيّة أمام مسؤوليّاتها، ويشير إلى من يعرقل مسيرة الإصلاح أيّا كان، وفي أيّ موقع كان.

وعليه، أن يتجاوز المحاصّصات الحزبيّة، والطائفيّة، ونحوها؛ في سبيل إصلاح مؤسسات الدولة، فيسعى في تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب، وإن لم يكن متميًّا إلى أيّ من أحزاب السلطة، وبغضّ النّظر عن انتمائه الطائفي، أو الإثني. ولا يتردّد في إزاحة من لا يكون في المكان المناسب، وإن كان مدعومًا من بعض القوى السّيّاسيّة، ولا يخشى رفضهم واعتراضهم؛ معتمدًا في ذلك على الله تعالى، الذي أمر بإقامة العدل، وعلى الشعب الذي يريد منه ذلك، وسيدعّمه، ويسانده في تحقيقه.

نستخلص، من تلك الخطبة الإصلاحيّة للمرجعيّة الدينيّة، الخطوط الرئيسيّة، والتي تضمّنت مجموعة من التوجيهات، التي تصل إلى مستوى الأوامر المباشرة

لأعلى الهرم الحكومي، ألا وهو رئيس الوزراء. من تلك التوجيهات:

- الإشادة بتضحيات القوّات المسلّحة، والمتطوّعين (الحشد الشعبي)، وأبناء العشائر من الغيارى السُّنّة، الذين حقّقوا الانتصارات، في وقف الهجمة الداعشيّة، بعد احتلال الموصل، ثمّ الأنبار.
- التّضامن مع النّازحين السُّنّة، من المحافظات التي تعرّضت لاحتلال داعش.
- الطلب من القوى السّياسية أن تنهي خلافاتها، وتوحّد مواقفها في تلك المرحلة التاريخية، التي يتهدّد فيها وجود العراق ومستقبله.
- إلغاء الامتيازات، والمخصّصات غير المقبولة، الممنوحة للمسؤولين السّابقين، والحاليين.
- على رئيس الوزراء، تجاوز المحاصصة الحزبيّة، والطائفيّة؛ في سبيل إصلاح مؤسّسات الدولة. وأن يُعيّن الشخص المناسب في المكان المناسب؛ حتى لو كان غير مُتمّ لأيّ حزب في السلطة، ومهما كان انتماءه الطائفي، أو الإثني.
- الطلب من الحكومة تقديم كل إمكانياتها، وذلك لتوفير احتياجات المقاتلين، الذين يجب أن يحظوا بأهميّة كبيرة، ضمن مخطّطات الحكومة.
- يتوق الشعب إلى أن يقدّم النّواب الذين قد اختارهم، وتحّدّى السيارات المُفخّخة، والتهديدات الأمنيّة، بأن يوفّر حياة كريمة، ويحقّق العدالة الاجتماعيّة.
- مخاطبة رئيس الوزراء مباشرة؛ بوصفه المسؤول التنفيذيّ الأول، والطلب منه أن يكون أكثر جرأة، وشجاعة، في خطواته الإصلاحيّة، ولا يكتفي بالخطوات الثانويّة التي أنجزها.
- مطالبة رئيس الوزراء باتّخاذ قرارات مهمّة، وإجراءات صارمة؛ لمكافحة الفساد، والضرب بيد من حديد على من يعبث بأموال الشعب.
- بتلك الوصايا، والإرشادات الإصلاحيّة، وتطبيق الإجراءات الإصلاحيّة وتنفيذها، في مختلف الصُّعد سواء السّياسيّة، أم الاقتصاديّة، أم الاجتماعيّة، حرص

سماحته على تماسك النسيج الوطني، وأثره في بناء الشخصية الوطنية الفاعلة. أمّا بالنسبة إلى البُعد السياسي، فتبدو المواطنة اليوم أقرب إلى نمط سلوكيّ مدنيّ، وإلى مشاركة نشطة، ويوميّة، في حياة المجتمع، أكثر ممّا هي وضع قانونيّ مرتبط بمنح الجنسية، فالمواطن الصالح مشارك في الحياة العامة، بكل تفاصيلها؛ وهذا الوضع يشمل: حرية تشكيل الأحزاب، حق التظاهر، الاعتصام، المساهمة في تشكيل النظام السياسيّ؛ فيتجسد في مجموعة من الحقوق، والحريات، والواجبات، التي يقررها دستور الدولة، وللمواطنين وحدهم حقّ ممارسة الحقوق السياسية، وحق الاستفادة من الخدمات الاقتصادية، والاجتماعية التي تقدمها أجهزة الدولة وهيئاتها، مثل: العلاج، والتعليم؛ كما تقع عليهم وحدهم الأعباء، والتكاليف العامّة. ومن هنا، يظهر الارتباط الوثيق بين مبدأ المواطنة، ومبدأ تكافؤ الفرص، وتساوي المواطنين في الحقوق، وكذلك ارتباط هذا المبدأ بالنظام الديمقراطيّ، كما تتطلب المواطنة قيام نظام سياسي ديمقراطي^(١).

عندما سُئل السيد السيستاني دامتْ ظِلتهُ عن شكل الحكومة التي يريدّها: «شكل نظام الحكم في العراق، يحدّده الشعب العراقيّ، وآليّة ذلك أن تجري انتخابات عامّة؛ لكي يختار كل عراقيّ من يُمثّله في مجلس تأسيسيّ لكتابة الدستور، ثمّ يُطرح الدستور الذي يقرّه هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه»^(٢)، فهو لم يذكر أيّ خيارات مثلاً: جمهوري، رئاسي، برلماني، مختلط، وغيره. وفي مكان آخر: يُحدّد سماحته آليّة تحديد شكل الحكم بقوله: «شكل نظام الحكم يحدّده الشعب العراقيّ، وآليّة ذلك أن تجري انتخابات عامّة؛ لكي يختار كل عراقيّ من يُمثّله في مجلس تأسيسيّ لكتابة الدستور، ثمّ يُطرح الدستور الذي يقرّه هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه»^(٣).

١- د. رأفت دسوقي، الحريات السياسيّة والرقمية للموظف العام، دار الكتب القانونيّة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٨٨.

٢- السيد سلمان، حيدر نزار، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني نموذجاً: ص ٤٤.

٣- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن ساحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ص ١٨ في حديث لوكالة الأسوشيتد برس.

يؤكد السيد السيستاني دامت بركاته أن شكل العراق من حيث هويته، إن كانت قومية عربية، أو هوية إسلامية، يُحددها الشعب العراقي، بجميع مقوماته ومذاهبه، من خلال جمعية وطنية منتخبة، تكتب الدستور مع عدم تدخل المرجعية الدينية في ممارسة دور في السلطة، والحكم، والنأي بالحوزة العلمية عن التصدي لممارسة العمل السياسي، وترى أنه على علماء الدين النأي بأنفسهم عن تسلّم المناصب الحكومية.

تتمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع، ومن مختلف شرائح المجتمع ومكوناته؛ وذلك لمواقفها الوطنية التي لم تُفرّق بين مُكوّن وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق؛ تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي؛ لعدم وقوع حرب طائفية، أو أهلية، وصولاً إلى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت إلى التهدئة في العديد من الأحداث، ومنها: تفجير الإمامين العسكريين عليهما السلام فكان لذلك التأييد الشعبي الواسع لها، كدعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، وعُدّت الملجأ الأول والأخير للعراقيين؛ للوقوف بوجه السياسة الإدارية غير الفعالة في العراق.

المبحث الثاني: المواطنة، من مضامين القيم التربوية لدى المرجعية الدينية

تُعَدُّ المواطنة ركيزةً مهمّةً من ركائز بناء الدولة، وتفعيل دور المؤسسات؛ وهي تقوم على عناصر الحقوق، والواجبات المتبادلة. فحقوق التعليم، والصحة، والأمن؛ يُقابلها واجب الأفراد حماية الوطن، وأداء الضرائب.

ففي نظره إلى دولة المواطنة ومهامها وطريقة تشكيلها رسم السيد السيستاني دامت بركاته معالمها من قبل، حسب ما يأتي:

حكومة منبعثة من إرادة الشعب، حيث يقول سماحته: «الذي نريده هو أن يفسح المجال لتشكيل حكومة منبعثة من إرادة الشعب العراقي، بجميع طوائفه وأعراقه»^(١) فهي حكومة تُمثّل جميع المكونات، والقوميات، والطوائف، وليست

١ - حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، ص ١٨.

حكومة طائفة واحدة، أو قومية معينة مهما كان عددها.

أولاً- الاهتمام بدولة المواطنة:

لقد سعت المرجعية الدينية منذ سقوط النظام الاستبدادي السابق في أن يحلّ مكانه نظام يعتمد التعددية السياسية، والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع، في انتخابات دورية حرة ونزيهة، وذلك إيماناً منها بأنه لا بديل عن سلوك هذا المسار في حكم البلد، إن أريد له مستقبل ينعم فيه الشعب بالحرية، والكرامة، ويحظى بالتقدم والازدهار، ويحافظ فيه على قيمه الأصيلة، ومصالحه العليا^(١).

إنّ المشاركة في هذه الانتخابات حقّ لكل مواطن تتوفر فيه الشروط القانونية، وليس هناك ما يلزمه بممارسة هذا الحق إلا ما يقتنع هو به من مقتضيات المصلحة العليا لشعبه، وبلده، نعم ينبغي أن يلتفت إلى أن تخليّه عن ممارسة حقه الانتخابي يمنح فرصة إضافية للآخرين في فوز متخبيهم بالمقاعد البرلمانية، وقد يكونون بعيدين جداً عن تطلعاته لأهله، ووطنه، ولكن في النهاية، يبقى قرار المشاركة، أو عدمها متروكاً له وحده، وهو مسؤول عنه على كل تقدير، فينبغي أن يتّخذ عن وعي تامّ، وحرص بالغ على مصالح البلد، ومستقبل أبنائه^(٢).

من تجلّيات دولة المواطنة، لدى المرجعية الدينية في النجف الأشرف، فنرى في بيان مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظلّه حول التعرّض للكنائس المسيحية في بغداد، والموصل: ففي مسلسل الأعمال الإجرامية التي شهدتها العراق العزيز، واستهدفت وحدته، واستقراره، واستقلاله، تعرّض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد، والموصل إلى اعتداءات آثمة؛ أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الأبرياء بين قتيل، وجريح، كما تضرّر الكثير من الممتلكات العامة والخاصة. وإنّنا؛ إذ نشجب وندين، هذه الجرائم الفظيعة، ونرى ضرورة تضافر الجهود، وتعاون

١- بيان من مكتب السيد السيستاني دام ظلّه يوضح فيه موقفه من المسائل المهمة في النظام السياسي العراقي، صدر في

يوم الجمعة ١٧ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ٤ آذار ٢٠١٨ م.

٢- المصدر نفسه.

الجميع -حكومة وشعباً- في سبيل وضع حدٍّ للاعتداء على العراقيين، وقطع دابر المعتدين، نؤكد وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين، وغيرهم من الأقليات الدينية، ومنها: حقهم في العيش في وطنهم العراق، في أمن وسلام^(١).

من المواضيع التي تصبّ في التنشئة على المواطنة: نبذ العنف والاعتداءات والفتن الطائفية.... أكد، سماحة السيد السيستاني رحمته الله، مدى الحاجة إلى رص الصفوف، ونبذ الفرقة، والابتعاد عن النزعات الطائفية، والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية...؛ لتوثيق أواصر المحبة، والمودة، بين أبناء هذه الأمة، ولا أقلّ من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل، وبعيداً عن المشاحنات، والمهاترات المذهبية، والطائفية، أيّاً كانت عناوينها...^(٢)

ثانياً- مفهوم مبدأ المواطنة

إنّ المواطنة منظومة متكاملة من الحقوق الطبيعية التي يتعيّن أن يتمتع بها كل إنسان، وعلى السلطة توفيرها، والالتزام بها، طالما أنّ هذه السلطة تستمدّ شرعيّتها من إرادة مواطنيها.

لقد ركزت دساتير الدول الحديثة^(٣) وقوانينها على تحديد ملامح المواطنة وحقوقها وشروطها، ودرجت تلك القوانين لمراحل طويلة، على تحديد حقوق المواطن، وواجباته، وأبعاد المواطنة.

تُعَدّ المواطنة من أسمى درجات العدالة، عند التعامل مع أبناء الوطن جميعهم؛ بوصفهم متساويين في الحقوق، والواجبات، لا فرق بين مواطن، وآخر، ولا تفرقة بين المواطنين على أساس الدين، أو الجنس، أو الأصل، أو اللغة.

١- بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله حول التعرض للكنائس المسيحية في بغداد والموصل، بتاريخ ١٥ ج/ ١٤٢٥هـ، الموافق: ٢/ ٨/ ٢٠٠٤م النجف الأشرف.

٢- بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية، بتاريخ ١٤ من المحرم ١٤٢٨هـ، الموافق: ٢/ ٣/ ٢٠٠٧م.

٣- دستور الجمهورية التونسية لسنة ٢٠١٤.

في ضوء ما تقدّم، سنقسمها على القسمين الآتين:-

أولاً:- التعريف بمبدأ المواطنة.

أ- التعريف بمبدأ المواطنة

لقد تطوّر مفهوم المواطنة عبر مراحل تاريخيّة، وحضاريّة؛ ما صعب من وضع تعريف جامع مانع له، وخاصة أنّه يُعدّ مصطلحاً سياسياً مُتحرّكاً، إلّا أنّ ذلك لم يمنع من تعريفه.

تُعدّ المواطنة رابطة قانونيّة بين الفرد، والدولة التي يقيم فيها، ينشأ عنها جملة من الحقوق، والواجبات؛ ويعبر عن الفرد بلفظة المواطن، حسب الرابطة السابقة، ويعبر عن هذه الرابطة - القانونية والسياسية- بالجنسية التي تجعل الفرد بمركز التبعية القانونيّة، والسياسيّة لدولته، كوجه للتمييز عن غيره، ممن يحمل الجنسية كالأجنبي^(١). وهذا يؤدي إلى إيجاد معنيين للمواطنة، لا يتقاطعان؛ وإنما يكملان المعنى الأساس للمواطنة، المعنى الأول؛ الذي يقوم على الصلة، أو الرابطة القانونية بين الفرد، والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت؛ فهي في وضع قانوني للفرد في الدولة، تترتب عليه حقوق، يتمتع بها الفرد بوصفه مواطناً، وواجبات يتحمل مسؤوليتها تجاه الدولة. أمّا المعنى الآخر، فتقتصر المواطنة على الجانب السياسي. ومن ثمّ؛ تعرف بأنها «عضوية الفرد التامة، والمسؤولية في الدولة، بما يترتب على ذلك، من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الفرد، والدولة، نسميها: الحقوق، والواجبات»^(٢).

أمّا في الاصطلاح فالوطنية تعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه^(٣)؛ بينما المواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه

١- د. قيس حسن عواد، «مبدأ المواطنة في التشريع الضريبي»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٤.

٢- د. أحمد احمد الوافي، المواطنة على ضوء التعديلات الدستورية، دار النهضة العربية، دون تاريخ، ٢٠٠٨م، ص ١١.

٣- د. أحمد فكاك البدران، «حقوق وحريات المواطن في الدساتير العراقية (دراسة تاريخية مقارنة)»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩م، ص ٣٤٤.

إلى وطن^(١)، فإنّ هناك علاقة عضويّة بين المواطنة والوطنية؛ لكونهما مشتقتين من جذر لغويّ واحد، وتشيران إلى معنى السكنى في مكان واحد (الوطن)، والمشاركة في الحياة العامّة (المواطنة).

كما تُعرّف الوطنية بأنها الشعور الجمعيّ، الذي يربط بين أبناء الجماعة، ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعاً عنهما، وتُعدّ صفة الوطنية أكثر عمقاً من صفة المواطنة، أو أنّها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب صفة المواطنة، بمجرد انتسابه إلى جماعة، أو دولة معيّنة، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلّا بالعمل، والفعل لصالح الجماعة، أو الدولة. وتصبح المصلحة العامة لديه أهم من مصلحته الخاصّة^(٢)؛ أي أنّ الوطنية هي الإطار الفكريّ (النظريّ) للمواطنة، التي هي الممارسة العملية بمشاركة أبناء الوطن (المواطنين). وبذلك، تكون المواطنة التجسيد الحقيقيّ لمفهوم الوطنية في الانتماء، والعطاء^(٣).

من ثمّ، يمكن القول بأنّ المواطنة هي عملية مشاركة المواطنين جميعاً، بفاعليّة في الحياة السياسية العامّة لمجتمعهم، ودولتهم، وتشكيل البنية الأساسية في النسيج الاجتماعيّ المتكامل، بغضّ النظر عن الاختلافات بين المواطنين (الطبقية، والثقافية، والسياسية، والعقائدية)، ويتجلّى هذا النسيج الاجتماعيّ في التقيّد التام بأنظمة المجتمع (الوطن) وقوانينه، وتحمل المسؤوليات تجاهه، وبما يسهم في ديمومة هذا الوطن وتقدّمه، وازدهاره، وتضمن المواطنة، في المقابل، حقوق كل مواطن في العمل، والعيش المشترك الآمن، في إطار التآخي، والتعاون، والمساواة^(٤).

إذن، تعريف المواطنة هي عضوية كاملة في دولة، أو في بعض وحدات الحكم.

١- د. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مجلد (٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دون تاريخ، ١٩٩٠م، ص ٣٧٣.

٢- د. وليد الشبيب الخلي ود. سلمان عاشور الزبيدي، مصدر سابق، ص ٣٦٢-٣٦٣.

٣- د. عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، مصدر سابق، ص ٥١.

٤- د. عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، مصدر سابق، ص ٤٣.

وأنّ الوطنية هي الجانب الحقيقي والفعلي للمواطنة؛ لأنّ الفرد قد يتمتّع بجنسية الدولة، ولكن لا يوجد لديه حسّ الوطنيّة، متمثلاً بالانتماء، والولاء لذلك البلد. أمّا المواطنة، فهي علاقة الفرد بدولته، علاقة يحددها الدستور، والقوانين المنبثقة عنه، والتي تحمل، وتضمن معنى المساواة بين المواطنين، في الحقوق، والواجبات. ثانياً- أهمّ الواجبات السياسيّة التي تتعلّق بمبدأ المواطنة هي :-

أ- واجب الدفاع عن الوطن

تتمثّل الأعباء العسكريّة في أداء الخدمة العسكريّة التي يعدّها أداؤها واجباً وطنياً على كل مواطن؛ لحماية الوطن، والدفاع عنه، فالدفاع عن الوطن وأرضه واجب مقدّس، ولا يقصد بالدفاع عن الوطن مجرد أداء الخدمة العسكريّة، فهذا الواجب يعدّ فقط أحد صوره الأساسيّة والجوهرية^(١).

إنّ هذا الواجب يتمثّل بالسلوكيات الإيجابيّة التي يسلكها المواطنون، ولكن أبرزها ما يسمى بواجب الخدمة العسكريّة، فهو واجب مطلوب من كل مواطن للدفاع عن وطنه، ومواطنيه في حالات السلم، والحرب؛ وهو واجب منطقي؛ لأنّه سيدافع عن وطن حقق له مواظنته الحرة والكرامة من خلال ما وفّره له الدولة من حقوق، وحرّيات، وخدمات مكنته بالتالي من المشاركة في الحكم، إضافة الى الشعور، بالعدل من خلال تحقيق مبدأ المساواة بين أفراد الشعب؛ ما يعزز الانتماء الوطنيّ لديه^(٢).

ما يحكم واجب الأفراد في الدفاع عن الوطن، مبدأ أساس، هو مبدأ المساواة أمام الأعباء العسكريّة، ويقصد بمبدأ المساواة في هذا المجال، أن ينخرط كل مواطن في الخدمة العسكريّة من دون استثناء، أو إعفاء أحد بسبب مركزه الاجتماعيّ، أو وضعه الاقتصاديّ، أو مركزه الوظيفيّ، أو لأيّ سبب آخر غير مشروع، وأن يكون

١- كوثر عبد الهادي محمود الجاف، التنظيم الدستوري لعلاقة الدولة بالفرد، رسالة ماجستير، كليّة القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص ٢٧٤.

٢- ايمان أحمد ونوس، الدولة والمواطنة... حقوق وواجبات
نُظِر إلى الموقع الإلكتروني بتاريخ ١/١/٢٠٢٣ :- syria-news.com

أداء الخدمة العسكرية لمدة متساوية بالنسبة إلى جميع المواطنين^(١).

لا يوجد أدنى شك في ضرورة تساوي المواطنين جميعاً في أداء هذا الواجب القومي ، طالما أنهم متساوون في الإفادة من الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة لهم^(٢) .
لقد نصّ الدستور العراقي النافذ على هذا الواجب في المادة (٩/ أولاً وثانياً)؛ إذ نصّت الفقرة أولاً على أنه (تتكون القوّات المسلّحة العراقية، والأجهزة الأمنية من مكوّنات الشعب العراقي، بما يراعي توازنها، وتمثيلها، دون تمييز، أو إقصاء، وتخضع لقيادة السلطة المدنيّة، وتدافع عن العراق، ولا تكون أداة لقمع الشعب العراقي، ولا تتدخل في الشؤون السياسية، ولا دور لها في تداول السلطة)، كما نصّت الفقرة ثانياً على أن (تنظم خدمة العلم بقانون)، ولكن كغيره من القوانين الأخرى، لم ير النور إلى حدّ الآن، والذي من شأن إصداره أن يوحد العراقيين بالدفاع عن وطنهم.
بعد وصول التنظيمات الإرهابيّة إلى المناطق المقدّسة، والآهلة بالسكان، وقتلها الآلاف من العراقيين في الموصل، وصلاح الدين، على أساس طائفيّ، وعدم وجود قوّات عسكريّة نظاميّة من الجيش، والشرطة قادرة على وقف تقدّم الإرهاب ، أدركت المرجعيّة الدينيّة، ممثّلة بالسيد السيستاني عليه السلام ، خطورة الوضع الأمنيّ الحالي، واحتمال انجرار البلاد إلى الحرب الأهلية الشاملة. لذا، جاءت دعوة المرجعيّة الدينيّة، لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي؛ للدّفاع عن الوطن، والمقدّسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي، ودعمهم بالمال، والسلاح؛ إذ إنّ تحاذل السياسيين، والانقسام بين الكتل، والأحزاب السياسية، دفعها لأن تأخذ زمام المبادرة في الدفاع عن الوطن، والمقدّسات، والشعب.

إنّ السيد السيستاني عليه السلام، وفي فتواه للجهاد الكفائي، وفي وصاياه للمقاتلين، ركّز على المواطن والمواطنة، لا على العناوين الدينيّة والمذهبيّة، فهو قد مارس

١ - كوثر عبد الهادي محمود الحاف ، التنظيم الدستوري لعلاقة الدولة بالفرد، مصدر سابق ، ٢٧٦.

٢ - د. سعيد السيد علي ، النصوص الدستوريّة ومراقبة البرلمان للسلطة التنفيذية ، دار الكتاب الحديث، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٤٥٦-٤٥٧ .

الوحدة عملاً أكثر مما مارسها قولاً. وبذلك، خلق جَوْاً من التآلف، والتلاقي، بحكمته ، وبخطواته العملية المدروسة^(١).

إنّ سماحته قد ركّز على فكرة الدولة المدنية، والتي - بدورها - أسهمت في عملية الانسجام، والترابط بين أبناء الوطن الواحد، الذي يضمّ أقليّات من الديانات الأخرى؛ كالمسيحية، والأيزيدية، والصابئة، فضلاً عن المذاهب الإسلامية المختلفة؛ ما يضمن لهم حرّية ممارسة طقوسهم، وشعائرهم الدينية، وذلك يتمثل في الدولة المدنية التي تقوم على صناديق الاقتراع، والتمييز بين السلطات الثلاث...

في زمن (الكورونا) ، أصدر سماحة المرجع السيد السيستاني رحمته الله ، وفي سبيل تأزر أفراد المجتمع الواحد مع بعضهم بعضاً، بياناً يدعو فيه أبناء الوطن الواحد إلى التعاون ، والتعاقد مع بعضهم بعضاً ؛ للحدّ من أضرار تلك المحنة العصبية، التي عصفت بكل البلدان، ومنها العراق العزيز...

بيان مكتب سماحة المرجع الدينيّ السيد علي السيستاني رحمته الله^(٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ توفير الحاجات الأساسية، للعوائل المتضرّرة ، من الأوضاع الراهنة، هو بالدرجة الأساس من مسؤولية الجهات الحكومية المعنية، ولكن في ظل عدم الاهتمام الكافي منها، بذلك لا مناص من التوجّه إلى سائر الأطراف القادرة على المساهمة في هذا الأمر المهمّ، الذي هو من أفضل الخيرات، والقربات.

والعمل بما يفي بالمقصود يتطلّب تعاوناً وثيقاً من أطراف عدّة:

١- أهل الخير؛ من المتمكّنين ماليّاً، بأن يساهموا بما تيسّر لهم في هذا المجال، ويمكنهم احتساب ما يدفعونه من الحقوق الشرعية، مع رعاية الضوابط المقرّرة في كيفية صرفها، وتوزيعها.

١ - منير الحجاز، مقال بعنوان «السيد السيستاني يدعو إلى التركيز على الدولة المدنية في العراق».

٢ - بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله الصادر في ٢٥ رجب ١٤٤١ هـ.

٢-التجار ممن تتوفر لديهم المواد الغذائية، ونحوها، بأن يعرضوها للبيع، ولا يرفعوا من أسعارها؛ بل ينبغي أن تكون مدعومة.

٣-مجاميع من الشباب الغيارى، يتطوعون للتعرف إلى العوائل المتعققة، وإيصال المواد المخصصة لها، بعد التنسيق في حركتهم مع الجهات الرسمية، في ظل منع التجول الساري في معظم المناطق، ولا بُد من أن يتخذوا كافة الإجراءات الاحترازية؛ لئلا تنقل العدوى إليهم لا سمح الله.

ينبغي لأصحاب المواكب الحسينية الكرام-الذين كان لهم دور مُشرف في رفد المقاتلين الأبطال بكل ما يحتاجونه في أيام الحرب مع داعش-أن يستعيدوا نشاطهم، باتجاه دعم وإسناد العوائل المتضررة في الوقت الراهن مع رعاية ما تقدم آنفاً. وبتلك الإرشادات، والتوجيهات الإصلاحية لسماحته، حرص سماحته على تعاون أبناء المجتمع الواحد، وتعاضدهم في مؤازرة بعضهم بعضاً؛ لمواجهة الظروف الاقتصادية، والمعيشية، والصحية الطارئة.

المبحث الثالث: المواطنة والدولة في المفهومين: الإسلامي، والغربي

أولاً-المواطنة والدولة في الفكر الغربي:

ظهرت المواطنة بمفهومها الغربي في ظل سيادة القوانين المدنية (Civil Codes) التي كانت تضمن المساواة بين المواطنين، وبعضاً من الحقوق لفائدة الغرباء، ثم ما لبث أن تطوّر الأمر؛ لتكون المساواة شاملة، دونما استثناء مع مرور الزمن. لقد ركّزت الأدبيات الغربية في تحديدها لمفهوم المواطنة على الالتزام بالمبادئ المدنية، والقيم الديمقراطية، وإدانة جميع الفوارق الجنسية والعرقية؛ بل وحتى الدينية؛ لتنصهر في بوتقة واحدة هي «الهوية المدنية»، والتي تضمّ جميع المواطنين، في ظلّ سياسيّ مشترك ووحيد، وهذا الفهم للمواطنة، يركز على جملة من المفاهيم الأساسية.^(١)

١ - سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٩.

إنّ المواطنة، في الفكر الغربيّ، اتّخذت أشكالاً عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، ومنها:

١- المواطنة التقليدية: وهي المواطنة المبنية على الخصوصية الثقافية، وهي تتعارض مع ما تدعو إليه الثقافة العالمية، التي تقوم بتسويقها القوى الكبرى المهيمنة على العالم.

٢- المواطنة الدستورية: وهي المرتبطة بالحقوق والواجبات، حيث لم يعد الأمر مرتبطاً بالولاء للهوية القومية؛ وإنما مرتبطاً بالولاء الدستوريّ؛ أي الجنسية.

٣- المواطنة العالمية: وهي المواطنة المبنية على الاهتمام بالشأن العالمي، والمتغيرات الدولية، وهو نتاج ظاهرة العولمة، وتأثيراتها على الشعوب.^(١)

في أدبيات الفكر الغربيّ، مرّ مفهوم المواطنة بمحطات تاريخية متعدّدة، حتى وصل إلى الحدّ المتعارف عليه الآن، فقد ارتبط بتطوّر الجماعة السياسية في الغرب، وتشكّل الأنساق الاجتماعية داخلها، بداية من مجتمع المدينة اليونانية، مروراً بتشكّل الطبقات الاجتماعية خلال الثورة الصناعية، ثمّ ظهور الرأسمالية والدولة القومية، وبحسب «كرستيان ليملك» (Christian Lemke)، فإنّ ظهور الدولة القومية ، في أوروبا قد أثر بشكل كبير في ترسيخ مبدأ المواطنة، وقد تعدّدت المداخل في المدرسة الغربية التي تدرس مسألة المواطنة، فهناك المدخل الفلسفيّ، والذي يربط مفهوم المواطنة بقيم العدالة، والمساواة، وحقوق الإنسان، وهناك المدخل الاجتماعيّ الذي يتناول بالدراسة؛ تحليل علاقة الفرد بالمجتمع، وارتباط مفهوم المواطنة بمفهوم الهوية، والمجتمع المدني.^(٢)

في هذا السياق، تطورت التحليلات، والدراسات من مستوى علاقة الفرد بالمجتمع إلى علاقة الفرد بالدولة؛ لتمثّل التعريف الأساس، والجوهريّ لفكرة المواطنة.^(٣)

١- مسعود الريفي، أثر العولمة في المواطنة، في: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٩، صيف ٢٠٠٨، ص ١١٨.

٢- محمد عبد الوهاب، الهوية والمواطنة في الخطاب الليبرالي المعاصر، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢١١١٧، يناير ٢٠١٢.

٣- محمد عبد الوهاب، الهوية والمواطنة في الخطاب الليبرالي المعاصر، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢١١١٧، يناير ٢٠١٢.

في هذا الإطار، يمكن الإشارة إلى الإسهامات الكبيرة التي قدّمها «جون جاك روسو» في تطوير مفهوم المواطنة من خلال تركيزه على علاقة الفرد بالدولة ، وقد تحدّث في نظريّته عن العقد الاجتماعيّ بضرورة استقلاليّة الفرد، وضمان تمتّعه بحريّته وحقوقه في مواجهة الدولة، وأشار «مارشال» إلى تطور نظريّة المواطنة من خلال الحقوق الفرديّة المختلفة فقد ظهرت الحقوق المدنيّة أولاً كالحريات العامّة والمساواة القانونيّة في القرن الثامن عشر، ثمّ تطورت الحقوق السياسيّة إلى المواطنة السياسيّة ثانياً كالحق في الانتخابات، والمشاركة السياسيّة، ثمّ تطور المفهوم إلى المواطنة الاجتماعيّة ، كالحق في الانتفاع من الموارد الطبيعيّة.^(١)

يُلاحظ من التناول الغربيّ للمواطنة وأبعادها اعتماد الفكر على مفهومي الخطية، والجبريّة في تحقيق المساواة، والديمقراطيّة؛ فكل دول العالم مجبرة على أن تتّبع الخط الأوروبي في هذا المجال، وأنه لا سبيل إلّا اتباع هذا الخط الذي تمثل أوروبا قمته وتصنّف المجتمعات البشريّة طبقاً لقرّبها، أو بُعدها عن هذا الخط.

ثانياً- المواطنة في المفهوم الإسلاميّ:

ينبني الفكر الإسلاميّ لمفهوم المواطنة على رُوح الجماعة ومُشاركتها وتفاعلها داخل جسم الأمة (الدولة) بشتّى صوره ومظاهره الدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وذلك من خلال احتواء الروابط، والعلاقات؛ بعيداً من كلّ التّجاذبات، والحساسيّات تحت مصطلح جامع هو الأمة، والذي لا يخضع لأيّ تعصّب، أو انتهاء مذهبيّ، أو عرقيّ، أو دينيّ.^(٢)

إنّ الإسلام يبني مجتمعاً عقائديّاً مفتوحاً لكلّ العقائد والأجناس، يتمتّع فيه الجميع بحقوق المواطنة إمّا بعقد الإسلام، أو بعقد الدّمّة؛ أي المواطنة، أو الجنسيّة. ومعه تكون المواطنة حقّاً يتمتّع صنفان رئيسان من الناس في الدولة الإسلاميّة:

١- المصدر نفسه.

٢- د. علي عبد المنعم طالب، «المواطنة بين قوسي الدولة والهويّة (مقاربة معرفيّة في ضوء الرؤيتين: الغربيّة والإسلاميّة)»، في: مجلة المنافذ الثقافيّة، العدد الرابع والعشرون/ حريف ٢٠١٨، ص ٤٤

المسلمون القاطنون في حدودها، وغير المسلمين القاطنين داخل حدود الدولة، والذين يقرّون لها بالطاعة والولاء.^(١)

عند مراجعة ما جاء في بنود الصحيفة النبويّة الكريمة، نلاحظ أنّ الإسلام رسم علاقات المجموعات مع مؤسسات الدولة الناشئة، حيث جاء في النصّ الحرفي للصحيفة ما يلي: «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ بين المؤمنين من قريش، وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس». فأوردت الصحيفة كلمة (الأمة) للدلالة على أنّ جميع قاطني تلك الدولة هم أمة واحدة ضمن دولة واحدة متساوون في الانتماء لها دون تمييز، وكل باحث، ومفكر يمتلك الموضوعيّة، والحياديّة سيجد في مصطلح (الأمة) التعبيرين القانونيّ والدستوريّ للمواطنة، وأنها كانت خطوة حضاريّة متقدّمة، تجاوزت في بُعديها: القانونيّ، والاجتماعيّ الزمن، والتاريخ.^(٢)

هناك موقفان في الفكر السّياسي الإسلاميّ المعاصر، إزاء الوطن والوطنية، أحدهما: يحسب أنّ وطن المسلم هو الوطن الإسلاميّ بمعناه الواسع، ولا يعترف بالأوطان الصغيرة داخله التي أنشأتها الحدود السياسيّة الحديثة التي يرون أنّها ليست من الإسلام في شيء، وأنّها من فعل الاستعمار الذي عمل على تجزئة الوطن الإسلاميّ إلى دويلاتٍ صغيرة؛ لكي يسهل عليه استعمارها، والسيطرة عليها. أمّا الرأي الآخر، فهو لا يرى بأساً في الوطنية إذا كانت تعني حبّ الوطن والدفاع عنه، والعمل من أجل خيره، حتى لو كان المقصود هو الوطن السياسيّ المحدّد بالحدود السياسيّة الحديثة، دون أن يعني ذلك التخلّي عن عالميّة الإسلام، أو عن فكرة العالم الإسلاميّ المرتبطة بالعقيدة الإسلاميّة.^(٣)

١- د. محمد حسن دخيل، التّظّم الإسلاميّ، دار روافد، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٤٤٥.

٢- زغب السرجاني، مفهوم المواطنة في الدولة الإسلاميّة، موقع قصّة الإسلام، (تاريخ التّصفّح: ٢٠-٢-٢٠٢٣م) (istanstory.com)

٣- محمد عبد الجبار، الوطنية من منظور إسلاميّ، في: مجلة المعهد، معهد الدراسات العربيّة والإسلاميّة، لندن، العدد الثالث، تشرين الأول ٢٠٠١م، ص ١٢٩.

هناك من المفكرين من يشير إلى «فقه المشاركة»؛ أي المواطنة بمضامينها الإسلامية، حيث تقوم على:

- تكافؤ الفرص لكل الأجناس المنخرطين في الإسلام، انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: «لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى».

- المساواة والاعتراف بالآخر انطلاقاً من قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١).

- مشاركة المسلم للخلفاء، أو الولاية في مهمّة إصلاح المجتمع، وتقويم العوج فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر استنباعاً لقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه».

فإذا كانت المواطنة بالمفهوم الغربيّ تعني بالتحديد تلك المبادئ الثلاثة، التي تتواءم مع الخطوط العريضة للشريعة ومقاصدها، فيكون الانتقال من «فقه المشاركة»، إلى تبني «المواطنة» أمراً ممكناً.^(٢)

إذن؛ للمواطنة دور مهمّ، وتأثير واضح، في تثبيت الاستقرار المجتمعيّ، وتعزيز ركائز الوحدة الوطنيّة.

تُسهم القوى الوطنيّة، والمُجتمعيّة، ومُنظّمات المجتمع الأهليّ، في أداء دور المؤجّه، وتفعيل مهامّ التضامن الوطنيّ، والتعاون في الوحدة، والاندماج، والتكامل، والانسجام الوطنيّ.

في هذا الإطار، يبرز دور المرجعيّة الدينيّة، في النجف الأشرف، في رفد أُسُس المواطنة، وتقريب الأفكار المجتمعيّة، والمواطنين بعضهم بعضاً.

عاجلت الدّراسة أهمّ الأُسُس التي اعتمدتها المرجعيّة الدينيّة، المُمثّلة في السيد السيستاني (دام ظلّه)، في تبني تلك الطّروحات، وتشجيع تلك المَقوّمات.

١- الآية ٩٠، التّحل/١٦.

٢- صادق الموسوي، الحركات الإسلاميّة بين خيار الأُمّة ومفهوم المواطنة، دار الغدير، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٧٢.

الختامة:

حرصاً من المرجعية الدينية على تفعيل الجانبين: المعنوي، والرؤوي في المجتمعات ارتأت التركيز على القيم بوصفها ضامناً للحياة الكريمة.

نظراً إلى أهمية دور المواطنة في البناءين: الحضاري، والمؤسسي للدول، دعت المرجعية الدينية لإيلاء عنصر المواطنة الاهتمام الكافي، والدور المهم. وكي لا يتعد الحكام من هموم المواطنين وتطلعاتهم، كان للمرجعية خطاب مؤثر تضمن إشادة بالمظاهرات السلمية، ودعوة لاستماع المطالبين، وسرعة في الاستجابة لها، وتحقيقها بما يخدم المجتمع، ويطور واقعه.

للمرجعية الدينية دور فاعل في ترسيخ القيم، والمفاهيم الإنسانية، والتربوية، والمعايير الأخلاقية، ومرتكزات المواطنة، وعناصر الوحدة الوطنية.

كان دأب المرجعية الدينية في النجف الأشرف على الدوام، مُتمثلاً بتعزيز أواصر المجتمع، بكل أطرافه وتلاوينه، وبث قيم الاعتدال، وأسس التفاهم، والاعتدال. دعت خطابات المرجعية الدينية، في النجف الأشرف، إلى المحافظة على المال العام، والممتلكات، وترسيخ مبدأ المواطنة، بتلك الوصايا، والإرشادات الإصلاحية، في مختلف الصُّعد؛ سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، حرص سماحته (دام ظلّه)، على تماسك النسيج الوطني، وأثره في بناء الشخصية الوطنية الفاعلة.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الوثائق:

١. -دستور الجمهورية التونسية الصادر في العام ٢٠١٤م.

المراجع:

٢. -أمين فرج شريف، المواطنة ودورها في تكامل المجتمعات التعددية، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠١٢م.

٣. د. أحمد احمد الموافي، المواطنة على ضوء التعديلات الدستورية، دار النهضة العربية، دون تاريخ، ٢٠٠٨م.

٤. -ابن منظور، معجم لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

٥. -بشير نافع وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية ، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.

٦. د. حيدر نزار السيد سلمان، سلطة النص الديني وبناء الدولة السيد السيستاني نموذجاً، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٥م.

٧. -حامد الخفاف (إعداد)، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، في حديث لو كالة الأسوشييتد برس.

٨. -حمد محمد الزلباني، القيم الاجتماعية، مطبعة الاستقلال الكبرى، دون مكان للنشر، ١٩٧٣م.

٩. د. حسام الدين فتحي ناصف، مركز الأجانب ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٠. د. رأفت دسوقي، الحريات السياسية والرقمية للموظف العام، دار الكتب القانونية، القاهرة، ٢٠١٠م.

١١. سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٢. د. سعيد السيد علي، النصوص الدستورية ومراقبة البرلمان للسلطة التنفيذية، دار الكتاب الحديث، بيروت، ٢٠١٨م.

١٣. شهاب الدين أبو عمرو، المنجد ، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٤. صادق الموسوي، الحركات الإسلامية بين خيار الأمة ومفهوم المواطنة، دار الغدير، بيروت، ٢٠١٢م.

١٥. د. عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨م.

١٦. د. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مجلد (٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دون تاريخ، ١٩٩٠م.

١٧. غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٣ م.
 ١٨. قباري محمد إسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦ م.
 ١٩. كمال التابعي، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م.
 ٢٠. د. محمد حسن دخيل، النظم الإسلامية، دار روافد، بيروت، ٢٠١٨ م.
 ٢١. د. محمد الروبي، الجنسية ومركز الأجانب في القانون المقارن، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

٢٢. منير البعلبكي، المورد، مطبعة باقري، طهران، ٢٠٠٦ م.
 ٢٣. د. ناصر عثمان محمد عثمان، الجنسية ومركز الأجانب، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
 ٢٤. منير الحجاز، مقال بعنوان «السيد السيستاني يدعو إلى التركيز على الدولة المدنية في العراق».
 ٢٥. د. وليد الشهب الخلي ود. سلمان عاشور الزبيدي، التربية على حقوق الانسان، مطبعة الأحمد، العراق، ٢٠٠٧ م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

٢٦. عبد الله بن سعيد بن محمد آل عبود، قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي، أطروحة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠١٠ م.
 ٢٧. كوثر عبد الهادي محمود الجاف، التنظيم الدستوري لعلاقة الدولة بالفرد، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠٠٧ م.

الخطابات:

٢٨. بيان من مكتب السيد السيستاني رحمته الله يوضح فيه موقفه من المسائل المهمة في النظام السياسي العراقي، صدر في يوم الجمعة ١٧ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ٤ آذار ٢٠١٨ م.
 ٢٩. بيان السيد السيستاني رحمته الله من التظاهرة التي كانت بتاريخ ٢٥ شباط ٢٠١١ م، بعد يوم من التظاهرة أصدر سماحته ذلك البيان؛ أي بتاريخ ٢٢/٣/١٤٣٢ هـ الموافق في ٢٦/٢/٢٠١١ م.
 ٣٠. بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله حول التعرض للكنائس المسيحية في بغداد والموصل، بتاريخ ١٥ ج/ ١٤٢٥ هـ/ ٢، الموافق: ٢/٨/ ٢٠٠٤ م النجف الأشرف.
 ٣١. بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية، بتاريخ ١٤ من المحرم/ ١٤٢٨ هـ، الموافق: ٣/٢/ ٢٠٠٧ م.
 ٣٢. بيان مكتب سماحة السيد السيستاني رحمته الله الصادر في ٢٥ رجب ١٤٤١ هـ.
 ٣٣. في خطبة الجمعة بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الموافق ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٤ شباط ٢٠١٧ م.
 ٣٤. خطبة الإصلاح الحكومي للمرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني رحمته الله: في خطبة الجمعة يوم ٧ آب ٢٠١٥ الموافق ٢١ شوال ١٤٣٦ هـ.

المجلات:

٣٥. د. أحمد فكاك البدران، «حقوق وحريات المواطن في الدساتير العراقية (دراسة تاريخية مقارنة)»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩ م.
٣٦. د. بان غانم احمد الصائغ، «التأصيل التاريخي لمفهوم المواطنة»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩ م.
٣٧. د. طارق محمد طيب القصار وطارق محمد ذنون الطائي، «أثر العامل الخارجي في المواطنة»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩ م.
٣٨. ظاهر محسن هاني الجبوري، «مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة»، في: مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد (١)، العدد (١٨)، ٢٠١٠ م.
٣٩. د. علي عبد المنعم طالب، «المواطنة بين قوسي الدولة والهوية (مقاربة معرفية في ضوء الرؤيتين: الغربية والإسلامية)»، في: مجلة المنافذ الثقافية، العدد الرابع والعشرون/ خريف ٢٠١٨.
٤٠. د. قيس حسن عواد، «مبدأ المواطنة في التشريع الضريبي»، في: مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (١٣)، السنة (٥)، ٢٠٠٩ م.
٤١. محمد عبد الجبار، «الوطنية من منظور إسلامي»، في: مجلة المعهد، معهد الدراسات العربية والإسلامية، لندن، العدد الثالث، تشرين الأول ٢٠٠١ م.
٤٢. محمد عبد الوهاب، الهوية والمواطنة في الخطاب الليبرالي المعاصر، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢١١٧، يناير ٢٠١٢.
٤٣. مسعود الريفي، «أثر العولمة في المواطنة»، في: المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ١٩، صيف ٢٠٠٨.
- المصادر الأجنبية:

44. Bart van Steenberghe ، The Condition Of Citizenship، Sage Publications Ltd ، London ، 1994.

45. Nash ، Kate ، Between Citizenship and Human Rights ، Article ، Goldsmiths Library ، University of London ، 2009.

المواقع الإلكترونية:

٤٦. إيمان أحمد ونوس ، الدولة والمواطنة حقوق وواجبات
٤٧. نُظِر إلى الموقع الإلكتروني بتاريخ ١/ ١/ ٢٠٢٣ - syria-news.com
٤٨. أحمد عبد الحفيظ ، الطريق للحرية (أوراق التدريب النظري لأعضاء شبكة رسل الحرية) ، مصر:
٤٩. نُظِر إلى الموقع الإلكتروني بتاريخ ٢/ ١/ ٢٠٢٣:

50. www.freedom.messengers.net

٥١. زغب السرجاني، مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية، موقع قصة الإسلام، (تاريخ التصفح: ٢٠٢٣-٢-٢م) (istanstory.com)

52. [http:// Muolaynadjem.elaphblog.com
posts.aspx?u=3706&A=839](http://Muolaynadjem.elaphblog.com/posts.aspx?u=3706&A=839)



البحث الثاني

بلاغة الاستجابة الجماهيرية لخطاب المرجعية فتوى الجهاد الكفائي مثالا

أ.م.د. تغريد عبد الأمير الخفاجي / كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء

الملخص

البحث يقع ضمن الحقل المعرفي لبلاغة الجمهور الذي يعد المخاطب فيه طرفاً مهماً في صناعة الخطاب ، ومن ثم إعادة انتاج خطابات بديلة تحررية تقاوم بلاغة المتكلم وتكشف تحيزاته ، وكذلك تمد بلاغة الجمهور المتكلم بآليات تمكنه من إنجاح سلطته في الخطاب بفعل البلاغة الانشائية التي تعطيه الأدوات الإقناعية اللازمة لتحقيق أغراضه ، ونجاحه يكون فيما لدى صاحب الخطاب من ثقة لدى الجمهور .

والخطاب الديني - خطاب الفتوى - له أهمية كبيرة في حياة الجماهير العراقية التي كانت تنتظر موقفاً من المرجعية ، نتيجة الظروف الصعبة والأحداث المتسارعة من احتلال داعش للأراضي العراقية وتهجير الكثير من العوائل الآمنة من مناطقها والمجازر التي ارتكبت بحق الأبرياء وسلب ممتلكاتهم وتهديد المقدسات ، لتسجل بذلك المرجعية موقفاً مشرفاً انماز ببطوليته وحرصه على العراق وأهله ومقدساته .

والبحث سلط الضوء على هذا الأمر عبر محورين الأول منهما درس خطاب المرجعية وأساليبه التي تروم الاقناع والتأثير على الجماهير لتطويع استجاباتهم لصالح الخطاب فبين الدور الاسلامي الرائد للمرجعية ، وقيادة الجماهير المستمدة من قيادة الإمامة لها فكان لذلك أهمية في إعداد مقبولة لخطاب الفتوى عند الجمهور العراقي ، فدرس خطاب الفتوى بين إرهاصات

الحرب والواقع المؤلم ، والعينة هي خطب الجمعة في كربلاء المقدسة في الفترة ما قبل خطاب الفتوى وما بعده فضلا عن خطاب الفتوى نفسه ووسائل تأثيره وقد بين الأسباب في انتاج استجابات شعبية فاعلة من أجل التغيير المنشود حيث استرداد الأرض والإنسان من الإرهابيين ، فدرس في المحور الثاني الاستجابات الجماهيرية لخطاب الفتوى الفعلية المتزامنة منها والافتراضية واللغوية والأدائية عبر أنماط مختلفة من الاستجابات التي وصفت بأنها بليغة داعمة للخطاب ومؤيدة لمسيرته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد...

فإنّ خطاب الجمعة يعد منبرا للوعظ الديني والبناء النفسي والروحي للإنسان وتلقي التعليمات حول المجريات والأحداث السياسية ومناقشة الواقع الاقتصادي والاجتماعي وانتقاد الظواهر الفاسدة فيه والسير بالناس نحو بر الامان والعيش ضمن واقع أمثل يضمن للإنسان العيش بسلام ورفاهية .

خطاب منبر الجمعة في كربلاء وفضلا عما سبق يصدر عن تمثيلية المرجعية العليا في النجف الأشرف ذات المكانة العلمية المهمة في نفوس المسلمين في العراق والعالم ، فمثّل هذا الخطاب حلقة الوصل بين المرجعية والناس لذلك كان من المهم أن يدرس خطاب الجمعة دراسة فاحصة تشمل أهم الخصائص والمميزات التي أسهمت في جعله خطابا ناجعا ومؤثرا يمارس الإقناع في نفوس المتلقين ويسعى إلى الإصلاح وينتج مجتمع واعٍ ، فيتّج بذلك استجابات بليغة تتفاعل معه في تحقيق الأهداف المرجوة .

ومن هنا سندرس في البداية نماذج مختارة من خطب الجمعة عام ٢٠١٤

وفق المعطيات السياسية والاجتماعية التي يحملها والتي مهدت لظهور خطاب الفتوى ودراسة هذا الخطاب وما بعده ، والأدوات الإقناعية التي مارسها على الجمهور من اجل بقاء تأثيره عليها ومن ثم دراسة الاستجابات الجماهيرية المختلفة لهذا الخطاب وانماطها .

والله ولي التوفيق

المبحث الأول // خطاب الفتوى بين ارهاصات الحرب والواقع المؤلم

تعد الخطابة " لقاء الثقافة والتاريخ والحجاج واللغة وما يتضمنه ذلك اللقاء من تفاعل عميق"^(١) وإن المشهد العراقي كان زاخرا بالعديد من الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية المختلفة التي لها تأثيرا مهما على حياة الناس آنذاك ، والمرجعية العليا لم تتخذ موقفا صامتا أو محايدا بل وقفت الى جانب الشعب العراقي تتحسس آلامه وتعي احتياجاته وتتطلع الى تحقيق آماله فتصدر بذلك المرجعية توصيات متعددة لضمان سير أفضل للعملية السياسية وتجنب فتن الجماعات الدينية المضللة التي همها التفرقة بين ابناء الشعب الواحد . الخطب التي سبقت جمعة الفتوى كانت تتناول موضوعات انتخابات مجلس النواب وتشكيل الحكومة وهي مؤطرة بالحديث عن سلطة المرجع التي تعد امتدادا لسلطة الامام وتأثيره على النفوس وهذا متناسب مع التوصيات المنبرية لضمان التغيير المنشود .

ففي خطبة الجمعة يوم ٢٥ جمادى الآخرة عام ١٤٣٥ كان فيها حث على المشاركة الفاعلة في الانتخابات البرلمانية نساء ورجالا شبيهاً وشباناً مشاركة واسعة تسهم في تغيير الواقع الامني والخدمي نحو الافضل احتجاجاً بواقع العراق المأساوي وما يعانيه من فساد وسوء خدمات وتردي بالواقع الامني وتعد المرجعية الانتخابات فرصة عظيمة للتغيير نحو الافضل عبر اختيار

١ - أدبية الخطابة الإسلامية: ٢٢٥.

القائمة الصالحة التي تمتلك رؤية متكاملة لإدارة العراق لأربع سنوات آتية وانتخاب مرشحين يتصفون بالكفاءة والنزاهة والحرص على مصلحة العراق أكثر من مصالحهم ، وفي ظل هذه الاحداث المرجعية لا تؤيد طرفا دون آخر ولا تحدد للمواطنين من يختارون بل إن الاختيار بأيديهم يختارون ممثليهم بأنفسهم ، ليس لأنها تساوي بين الصالح وغيره من المرشحين ، ولا هي تتنصل من مسؤوليتها الشرعية ، بل لأنها ترى أن مصلحة العراقيين حاضرا ومستقبلا تقع فيما يختارونه بحسب قناعاتهم لا قناعتها .^(١)

وتواصلا مع ما سبق من تقديم المشورة في الانتخابات الى إصدار التوصيات للحكومة والشعب ، يعرض المنبر المرجعي لمسألة مهمة ألا وهي مسألة الرجوع الى المرجع باعتبار سلطته من سلطة الامام فتتحول الممارسة البلاغية في خطاب الجمعة الى ممارسة سلطوية مستمدة من سلطة الخطاب المرجعي وهو خطاب ديني سلطوي طبيعي ((يقف فيه الخطاب عند حدود السلطة المقبولة التي يسمح بها المخاطب لإتمام العملية التواصلية بغرض التعلم والانتفاع بما لدى الواعظ))^(٢)

في خطبة الجمعة المصادف ٢ من رجب ١٤٣٥ الموافق ٢ أيار ٢٠١٤ طرح قضية اللجوء الى المرجع في بيان الموقف الصحيح وكشف الدعوات الضالة والمنحرفة وكشف زيف الادعاء للمقامات الدينية ؛ لأن المرجع ممثل الامام المعصوم وبها يتصف به أيضا من نبل في الاخلاق والتقوى والورع والزهد التي تؤهله لقيادة الأمة .^(٣)

بعد الشكر لكل من ساهم في انجاح العملية الانتخابية تطرح المرجعية في خطبة الجمعة الموافق ٩ رجب ١٤٣٥ في ٩ أيار ٢٠١٤ طرح مسألة مراجعة أخطاء الماضي والعمل على اصلاح ما فسد فأثمر الخطاب عن مجموعة

١ - ينظر : خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ : ٢٢٣-٢٢٤ .

٢ - بلاغة الجمهور مفاهيم ومنطلقات : ٢١٠ .

٣ - ينظر : خطب الجمعة : ١/ ٢٣١ .

مطالب من السلطتين الجديتين التشريعية والتنفيذية تسهم في تقويم سير العملية السياسية وبما يخدم مصالح الناس خاصة وإن الكثير منها خرج من رحم معاناتهم ومن واقعهم المأساوي ، وذلك عبر السعي الحثيث لإصدار القوانين التي تخدم مصالح الشعب وكسب ثقته وتشكيل اللجان الفاعلة في متابعة ما أوكل اليها وتفعيل الدور الرقابي للبرلمان على مؤسسات الدولة ، والمحافظة على الأمن في ظل التحديات الكبرى والمهنية في اختيار الوزراء والمحافظة على ثروات البلد من الهدر والاهتمام بالمشاريع الاستراتيجية التي تحافظ على ثروات البلد .^(١)

وجملة (أن يكون الوزير مهنيًا لا سياسيًا) وكذلك (أن يكون رجل الأمن هو أقوى رجل في الشارع) تعريض خطابي والتعريض ضد التصريح ويعني إطلاق الكلام والإشارة به الى معنى آخر يُفهم من ظروف الخطاب^(٢)

وهو هنا يحمل تلميح لحالات مخزونة في ذاكرة العراقيين شوهت الواقع السياسي وفوضت بعض القوى السياسية بالسيطرة على المشهد العراقي والافادة منه لمصالحها الشخصية على حساب الشعب ، وهذا الأمر يثير مخاوف المتصددين لمطالب الناس - المرجعية والشرفاء - من تعاضم التحالفات بين الكتل من أجل مصالح سياسية ضيقة وكذلك شكوى مسؤولي الدوائر الخدمية المهمة من تدخل بعض السياسيين في عملهم ، وقد ذكر ذلك بشيء من التفصيل في خطبة الجمعة في ٦ رجب ١٤٣٥ الموافق ١٦ أيار ٢٠١٤ التي ابتدأت بأربع استفهامات حول عدم إقرار الموازنة ودورها المهم في انجاز وتخطيط المشاريع ذات النفع العام والبحث عن الاسباب الحقيقة وراء

١ - ينظر : خطب الجمعة ١ / ٢٥٠ - ٢٥٢ .

٢ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ٣٨١

ذلك^(١) وكرر ذلك مرتين فضلاً عما يوحيه تجاهل العارف الذي يكون عماده الاستفهام المجازي ويعني ((إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً))^(٢) والمرجع والشعب يعرفون الاسباب الحقيقية ولكن هذا التجاهل يوحى بإنكار تأخيرهم والتوبيخ على ذلك .

ومن التعريض الخطابي ما جاء في أحد الخطب من أن النائب يجب أن تكون له رؤية للأمور المصرية في البلد يقول ممثل المرجعية معرضاً بأحد النواب اشتهر عنه كلمة (لا أعرف): ((ولا يحق لأحد من النواب أن يقول : لا أعرف فهم الآن في موقع لا بد أن يعرفوا))^(٣)

وتستمر توصيات المرجعية في الخطب اللاحقة لمرحلة ما بعد الانتخابات في البرلمان والحكومة ضمن الخطبة الثانية بعد أن يمهد لموضوع يناسبها في الخطبة الأولى والحديث عن أثر الأشهر المقدسة في تربية الانسان والاعتقاد الحق الذي يؤثر على سلوك الانسان ، فالأخلاقيات التي يجب ان يتصف بها ممثلو الشعب في البرلمان والحكومة يجب أن تؤثر في سلوكهم ، يجب أن يحملوا الروح الأبوية ويسعوا دائماً إلى الخير فالنائب دائماً يكون أباً للجميع^(٤) وهذه البلاغة الأبوية تكون من خلال الاستعارة الإدراكية^(٥) التي يحى بها الخطاب فتكون الفكرة قريبة من وعي المتلقي ، فالخطيب استعار دور الأبوة للنائين عليهم أن يكونوا مسؤولين عن الذين انتخبوهم واعطوهم ثقة تمثيلهم في العملية السياسية فضلاً عن تعاطفهم واحساسهم بالأمم الفقراء والمحتاجين وتلبية طموحاتهم.

١ - ينظر: خطب الجمعة : ١/ ٢٦٤-٢٦٥

٢ - كتاب الصناعتين : ٣٩٦.

٣ - خطب الجمعة : ١/ ٢٧٧.

٤ - ينظر: خطب الجمعة : ١/ ٣١٠.

٥ - تنهض هذه الاستعارة على نموذج معرفي يتبلور حول قدرة اللغة وكفاءتها على التوسع الإنزياحي والمجازي والاستعاري التي يمكن أن تمثل أفانيم وقوالب تحتوي أطراً مفاهيمية تختزل الواقع في اللغة، ينظر : الاستعارة المفاهيمية للنافذة والإطار في ديوان «ما يراه القلب الخافي في زمن الأحذية» بحث في مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ٨٢ : ٢٠٢١، ٥٤.

أما خطاب الفتوى فقد وافق ١٤ شعبان ١٤٣٥

في ١٣ حزيران ٢٠١٤ فقد مهّد له بالخطبة الدينية الأولى عن المعرفة الصحيحة بالإمام المهدي عجل الله فرجه واستشعار وجوده ورقابته وشهادته على الاعمال ليكون ذلك حاجزا للنفوس عن ارتكاب المعاصي فضلا عن الارتباط به وجدانيا والاحساس ببركات وجوده الشريف وتربية النفس على ذلك وسبيل ذلك هو طاعة الله تعالى والانقياد للإمام والورع عن المحارم والتحلي بمكارم الأخلاق والتوحد في مواجهة التحديات والثبات والصمود وكأنه يشير الى شعلة الأمل المشرق وسط ظلمات الفساد والإرهاب ، فيطرح حجته في الزام المتلقي ما يطرح عليه والقبول به والتسليم له فالإمام في حال الغيبة لا يمكن الاتصال به مباشرة ، إذن كيف يوصل حبل الطاعة ؟ عبر مراجع الدين الذين تتوفر فيهم شروط نيابة الإمام في قيادة الأمة الاسلامية وان طاعتهم واجبة ويجب الالتزام بإرشاداتهم وتوجيهاتهم ليس فقط في الاستفتاءات الشرعية وإنما في كل شيء يصدر عنهم^(١)

واحتج لذلك بشاهد نوري عن الامام الهادي عليه السلام قال الإمام : ((لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم -عليه الصلاة السلام- من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج اله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دينه ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله))^(٢)

وهذا من بلاغة الأيتوس التي يتمتع بها صاحب الخطاب بقصد التأثير على الجمهور^(٣) ، وقد مارس منبر الجمعة ضمن هذا الحيز البلاغي حجة

١ - ينظر: خطب الجمعة : ١ / ٣١٧ .

٢ - الاحتجاج : ٥٢٥ .

٣ - محاور استراتيجية الأيتوس يدور حول مؤهلاته لكسب ثقة الجمهور ينظر : الخطابة : ٤٤ .

السلطة على الجمهور من أجل تطويع استجاباتهم والتمهيد لإلقاء خطاب مصيري قوامه طاعة المرجع التي هي بالتالي طاعة للإمام وبه صلاح للأمة لكنه يحتاج إلى توحيد الصفوف ونبذ الفرقة بين أبناء الشعب الواحد وبذل النفس والمال من أجل تحرير العراق من الإرهاب الذي احتل ثلثه آنذاك ومساعدة النازحين والمتضررين ، والوقوف بثبات وصمود أما التحديات التي واجهها العراق مسؤولية شرعية ووطنية عظيمة تقع على عاتق الجميع .

ابتدأت خطبة الفتوى بمجموع من التوصيات أولها حمل روح التجريد البلاغي ومضمونه ((خلق كينونة نصية لأننا المتكلم / الخطيب ومتوحدة معها وهكذا تتكون للخطيب هويتان هويته الشخصية ، والهوية الرسمية))^(١)؛ فتمكن هذه التقنية من استمالة قناعات الجمهور نحوه لأنه أبدى تعاطفاً مع الجميع وأن المصاعب التي يواجهونها جميعاً واحدة^(٢)؛ إذ إن هذه التحديات لا تواجهها محافظة معينة أو طائفة واحدة من الشعب وإنما جميع المدن مستهدفة ومنها المدن المقدسة وتصدي المرجعية واستنهاض الهمم للدفاع عنها ليس فقط لصالح المدن الشيعية المقدسة وغيرها بل من أجل العراق بأكمله .^(٣)

ثم ينعش الذاكرة الخطابية ببسالة هذا الشعب وشجاعته في مواجهة المحن والشدائد التي يمر بها و((المسؤولية الوطنية والشرعية في ظل هذه الظروف الصعبة تتحتم عليه أن يضحي في سبيل الحفاظ وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته من أن تهتك من لدن هؤلاء المعتدين ، ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف

١ - حروب بلاغية بحث ضمن مجلة ألف ع ٣٢: ٢٩٥.

٢ - وتستخدم هذه التقنية كثيراً في الخطابات السلطوية للتأثير على الجمهور ، وخصوصية خطاب المرجعية هنا لا يحمل هويتين بقدر ما يحمل روح الوحدة ورص الصفوف عبر ايقونته الشهيرة : ((لا تقولوا اخواننا بل قولوا انفسنا))

٣ - ينظر خطب الجمعة : ١ / ٣١٩.

والإحباط في نفس أي واحد منهم))^(١)

ثم يصفّر خطابه بآيات قرآنية تحث على الوحدة والصبر والثبات في مواجهة الاعتداءات لضمان تحقيق النصر وحفظ المقدسات ، عبر تقنية التصفير الخطابى التي تكسب الخطاب قوة إقناعية من النصوص التي يتفاعل معها .^(٢)

منها قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))^(٣) ، وقوله تعالى : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين))^(٤) فضلا عن ذلك ان دفاع أبناء العراق عن بلدهم يستلزم توحيد صفوف القيادات السياسية ونبذ التناحر والخلافات ليكسب ذلك قوة لأبناء القوات الأمنية ويزيدهم ثباتا ؛ لأن دفاعهم مقدس ضد القوى الظلامية البعيدة عن روح الاسلام ومبادئه وتعاليمه .

وتشيع روح استنهاض الهمم للدفاع عن العراق عبر بلاغة الالتفات من الغيبة للخطاب إذ قال ممثل المرجعية : ((يا أبناءنا في القوات المسلحة أنتم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية وأجعلوا قصدكم ونيّتكم ودافعكم هي الدفاع عن حرّيات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح .

وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم وتحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر ، وإن من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله واعراضهم فإنه يكون شهيدا - إن شاء الله تعالى -))^(٥)

١ - المصدر نفسه : ١ / ٣٢٠ .

٢ - ينظر : بلاغة الجمهور : ١٢٩ .

٣ - سورة آل عمران : ٢٠٠ .

٤ - سورة البقرة : ١٩٠ .

٥ - خطب الجمعة : ١ / ٣٢١ .

فهذا الاستنهاض المغلف بالترغيب ونيل المكانة السامية -مرتبة الشهادة- يروم التأثير في النفوس لكسر أبواق الحرب التي يعزف عليها المعتدون من شمال العراق وحتى وسطه ، فالمطلوب ما صرح به وهو حث العائلة أولادها في الدفاع عن العراق والنتيجة هي تحريره وصون مقدساته .

وهنا دعوة صريحة للجهاد وبالصيغة الأمرية يدعو المرجع كل من هو قادر على حمل السلاح بالتطوع لمقاتلة الارهاب والانخراط ضمن صفوف القوات الأمنية دفاعا عن العراق شعبا وأرضا ومقدسات دفاعا كفايا لا يستنزف طاقات الشعب ، وهذا الدفاع واجب على العراقيين ، ولهذا الوجوب وعظم الطرح أمام الجماهير اقتضى الحديث في الخطبة الاولى عن امتداد المرجعية لخط الإمامة لتأتي مرحلة ما بعد الفتوى بحمولات الباتوس المؤثر .

ما بعد الفتوى

عندما يراد لحركة الجهاد ومقاومة الباطل أن تستمر ، فإدامتها تقوم على تكريم القائمين بها - القوات الأمنية - وإعطائهم استحقاقاتهم وبيان ثواب الجهاد عند الله والحديث عن الجهاد النفسي كمقدمة في الخطبة الدينية الأولى ينفذ منها للحديث عن جهاد الإرهابيين العكسري وبيان آثاره والمتناسب مع مضامين الخطبة السياسية الثانية .

في خطبة الجمعة ٢٨ شعبان ١٤٣٥ الموافق ٢٧ حزيران ٢٠١٤ في أيام اقتراب شهر رمضان شهر الصبر توصي المرجعية بأن جهاد النفس هو مقدمة للجهاد القتالي والسبيل المؤدي للخيرات جميعها هو بالتغلب على المعوقات وترك الراحة والدعة لما يضمن به تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع قال ممثل المرجعية : ((وفي هذه الأيام وقد اقترب شهر الله شهر المجاهدات النفسية دعينا للدفاع عن العراق وشعبه وكرامته وعزته ووحدته وعن مواطنيه وأعراضهم وعن مقدسات العراق ، وقد يوفق البعض لأداء هذا الواجب

وقد لا يوفق البعض الآخر))^(١)

استعيرت حالة الدفاع عن العراق لحالة الدعوة للضيافة الإلهية من المغفرة والرحمة في هذا الشهر الكريم عبر الاستعارة الإدراكية ، فالإنسان والحضارة والمقدسات في خطر عظيم استوجب الأمر من الخطيب تسليط الضوء عليها بالحديث عن ثواب الجهاد والعطاء الإلهي للشهداء بتفسير خطابي من القرآن الكريم ونهج البلاغة ، فالأمة التي تريد أن تصنع مجدها لابد وأن تمتلك قوة الإرادة والعزيمة لمواجهة التحديات.

قال ممثل المرجعية : ((إن الذي يسقط شهيدا في هذا السبيل له شيء عند الله تعالى والقرآن يقول : ” ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله “^(٢) وما الشيء الذي أوتي لهم ؟ والقرآن أبهم في هذه الآية أبهم المسألة لعظم ما يحصلون عليه بما آتاهم الله من فضله ... ولكن حالة الفرح والقرآن يؤكد هذا أكثر من ذلك ، قال : ” ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون “^(٣) وهذه الصورة الرائعة التي يعرضها القرآن الكريم في أسطر ما بين طائفة مؤمنة تخشى الله تعالى وتدافع عن مبادئ وطائفة تثبط وطائفة تحاول ان تقعد وامير المؤمنين عليه السلام له كلام في قضية النفرة الى القتال قال : ” معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ وأكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في أعمادها قبل سلها ، واعلموا أنكم بعين الله تعالى ، ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب ونار في يوم الحساب “^(٤)))^(٥)

١ - خطب الجمعة : ١ / ٣٣٣ .

٢ - سورة ال عمران : ١٦٨ .

٣ - سورة ال عمران : ١٦٩ .

٤ - نهج البلاغة : ١٠٤ .

٥ - خطب الجمعة : ١ / ٣٢٧-٣٢٨ .

فالتفسير الخطابي مع القرآن ونهج البلاغة أعلى من بلاغة النص ودعم حجة الخطاب في الدعوة الى الجهاد وترك الدعة وأثر هذا الجهاد في حياة الأمة الاسلامية .

ودعوة القتال تجمع العراقيين كلهم وليس فقط من نشترك معهم في الدين والمذهب وإنما الشعب العراقي بكل طوائفه ومكوناته ومقدساته أيضا كل ذلك كان هدفا لداعش ، ودعوة المرجعية للتطوع لم تكن من منطلق طائفي بل هي تحت الجميع لشد أو اصر الألفة والمحبة بينهم وتوحيد كلمتهم في مواجهة التكفيريين الغرباء فضلا عن أن دعوة المرجعية الدينية إنما كانت للأنخراط في القوات الأمنية الرسمية وليس لتشكيل مليشيات مسلحة خارج إطار القانون ، فإن موقفها المبدئي من ضرورة حصر السلاح بيد الدولة واضحاً^(١) .

وفي خطبة الجمعة ٢٧ شعبان ١٤٣٥ الموافق ٢٧ حزيران ٢٠١٤

يستمر التفسير الخطابي بالآيات الكريمة ودعمها لما تريد المرجعية بيانه حول مسألة الجهاد ضد قوى الشر والظلام ، أي على الانسان العراقي الغيور إما أن يقاتل او يدفع الآخرين الى القتال إن كان لا يستطيع ثم يبين مسألة الصراع بين الحق والباطل هو صراع لا ينتهي والأساليب تتجدد لكلا الطرفين ثم يسرد مثالب أهل الباطل وصفة النفاق التي تطغي عليهم وحججهم الواهية في التخلف عن الجهاد ”هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم“^(٢) المهم هو قوة الارادة ورباطة الجأش في مواجهة الصعاب وليس الكلام فقط والأمة التي تفقد ارادتها تعيش ذليلة منكسرة والانسان صائر الى الموت في النهاية ، والموت المشرف في النهاية هو الموت من أجل الدفاع عن العقيدة والقيم والمبادئ^(٣) ويحتج لذلك بأحاديث للمعصومين

١ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٣٠ .

٢ - سورة آل عمران : ١٦٩ .

٣ - ينظر : خطب الجمعة : ١ / ٣٣٥ .

تبين أهمية الجهاد وآثاره منها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: "ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه ، أما أصله الصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد"^(١)

فالجهاد يتحقق به علو الإسلام ورفعته وعزة الأمة الإسلامية وكرامتها وبتركه يكون ذلها وهوانها ، ويحتج بخطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الجهاد قائلا: "أما بعد... فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، والجهاد لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ..."^(٢)

وبلاغة الباتوس عبر التخويف والترغيب واضحة في الخطاب وقد أسهمت في تقوية العملية الإقناعية التي يمارسها الخطيب على الجمهور لتضمن استمرار الجهاد حتى النصر .

ثم يستعرض حججا أخرى يأخذ بها الآخر للتخلف عن الجهاد ويفندها منها الركون الى الدنيا والانشغال بها والخوف من الموت والجراح والعوق فيبين أن الدنيا لم يجعلها الله دار مقر وخلود حتى يتمسك بها وأما الخوف من الموت فكلنا صائرون إليه فما أجمل أن يختم الفرد حياته بجهاد يوصله الى الجنة لذلك لابد من ترسيخ الجانب المعنوي وهو الاعتقاد بأنك أيها المؤمن المدافع عن دينك وعن وطنك وعرضك ومقدساتك أنك على الحق وأنتك تدافع عن الحق وأن الله تعالى معك^(٣).

ولم يغب عن خطاب الجمعة بعض تفصيلات المشهد السياسي رغم الهجمة الشرسة لداعش واحتلالها اجزاء مهمة من العراق ، حيث أكد على رفض مسألة التقسيم الذي أيدته اسرائيل ، ومراعاة التوقيتات الدستورية في

١ - أصول الكافي: ٢ / ٢٧-٢٨ .

٢ - نهج البلاغة : ٦٤-٦٥ .

٣ - ينظر: خطب الجمعة : ١ / ٣٣٦-٣٣٨ .

اجتماعات البرلمان ، والتوصية بالوحدة والتكاتف بعيدا عن أي شحن طائفي أو إعلامي أو قومي بين أبناء الشعب العراقي ، والحذر من إشاعات المغرضين فإنها من الأسلحة الفتاكة التي تفتك بوحدة الصف وتدمر معنويات المجاهدين ، فضلا عن الدعوة الى العناية بالنازحين وإغاثتهم والوقوف معهم بموقف انساني يليق بحجم معاناتهم وهذا جزء من الجهاد ونصرة الحق ، والجهاد له صور وأشكال مختلفة منه الجهاد بالكلمة والجهاد بالمساعدة الطبية والجهاد بالأموال ^(١).

قال تعالى : ”الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون“ ^(٢).

و نهاية الخطبة يتواشج فيها بلاغة الدعاء مع خلاصة ما يريده صاحب الخطاب لتنبي عن أنها من النهايات الجملة والمؤثرة قال الخطيب : ((نوصي مقاتلينا ونوصي كل من هب للدفاع عن العراق ومقدساته وشعبه ووحدة أرضه أن يتوكل على الله تعالى ويثق بنصره مهما كانت الظروف ، فإنه سيكون من أقوى الناس حيثئذ وسيتمكن من تحقيق النصر)) ^(٣).

المحور الثاني / / الاستجابة الجماهيرية للفتوى وأنماطها

تعتبر الاستجابة عن ردة فعل الجمهور بما يعرض عليه من الخطاب فييدي بذلك استجابات مختلفة لغوية وغير لغوية - أدائية - وهو ما بين مشارك متزامن للخطاب وغير مشارك ^(٤).

وبلاغة هذه الاستجابة تقوم على إمداد الجمهور بأدوات تمكنه من كشف تحيزات خطاب السلطة وكشف مغالطاته ، وبيان زيف ادعاءاته ، أو أن يكون الجمهور داعما ومؤيدا لما يلقي عليه من الخطابات وييدي استجابات ايجابية

١ - ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣٤١-٣٤٣.

٢ - سورة الأنفال : ٧٢.

٣ - خطب الجمعة : ١ / ٣٣٩.

٤ - ينظر : لماذا يصفق المصريون : ٢٢٧.

وخاصة الدينية منها لسلطة الدين ومن يمثله على الناس .

وخطاب الجمعة في كربلاء له أهمية عظيمة لخصوصية هذه الشعيرة الدينية ولأهمية صاحب الخطاب فيها وهو المرجع الأعلى السيد علي السيستاني دام ظله الوارف وقد حظي خطاب الفتوى في ١٣ حزيران ٢٠١٤ باستجابات فعلية ضمن السياق التواصلي مع الخطيب وكانت استجابات جماهيرية واسعة ناسبت أهمية الخطاب والأحداث التي مر بها العراق وبأنماط مختلفة :

الاستجابة الحماسية

وهذا النوع من الاستجابات التي تنتج في سياق التواصل الجماهيري وتستهدف مقاومة الخطابات السلطوية والتلاعيبية وتدعيم الخطابات التحررية وتتنوع أشكال الاستجابة البليغة فقد تكون امتناعا عن التصفيق لخطيب مضلل ، او هتافا داعما لخطيب يدافع بعقلانية ورشاد عن حقوق الفقراء ، أو تعليقا ناقدا لمنشور عنصري...^(١)

وهذه استجابة فعلية قامت بها الجماهير المشاركة ضمن الحيز الفيزيائي البلاغي في خطبة الفتوى وكأنهم ينتظرون هذا الخطاب في ظل الظروف المأساوية التي مر بها العراق ، فقد علت الأصوات بـ ((اللهم صل على محمد وآل محمد)) فصبح الجهاد ضد الظالمين قد أسفر ، والأمر العظيم وقع ، والنداء بالاستنصار قد علا فما كان منهم وأثناء إلقاء خطاب الفتوى أن ينادوا ((لبيك يا حسين)) ويكررونها لأنهم علموا أنه نداء الحق والصدق وليس نداء لمصالح شخصية ، إنها دعوة الدين لدحر الظالمين وصون المقدسات وصاحبها هو ممثل الامام ونائبه في أمته لذلك علت الهتافات مرة أخرى بـ ((تاج تاج على الراس سيد علي السيستاني)).

الاستجابة الجغرافية الواسعة

١ - ينظر: البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات : ٤٦١ .

فكان لخطاب الفتوى صدى واسع بين مؤيد ومتربح حذر ومعارض أثر حياة الذل ، فقد حاز على تفاعل شرائح واسعة من أبناء العراق من الشيعة وهم من طائفة المرجع وأصحاب الاستجابة الأكبر والأكثر تفاعلا وتغانيا رغم أن مناطقهم لم تكن في دائرة الخطر الفعلي ولكنها مهددة ، وجهادهم ضد داعش قد سيطروا فيه أروع قصص البطولة والفداء والامثال للقادة الدينيين والعلماء الربانيين فهم يشعرون بالانتماء الحقيقي لهذا البلد وأنهم جزء من ترابه ، فما يجري على أي محافظة من اعتداء يجري عليهم ، وقد شاركت شرائح واسعة من الطوائف المسيحية في الدعم والقتال وكذلك أبناء السنة في تلك المناطق شاركوا في الدعم المالي والمعنوي وحاربوا ووقفوا ببسالة أمام داعش وتذكر بذلك الموقف البطولي الشهيد علي في منطقة الشرقاط الذي صعد على برج كهرباء ورفع علم العراق تعبيرا لرفضه سياسة داعش الارهابية فأعدم في نفس المكان ، والكثير من المواقف، وكذلك شاركت بعض الفصائل الأيزيدية والتركمانية التي تعرضت لمناطقها للسلب والقتل والاحتلال من قبل داعش، فضلا عن التفاعل الإعلامي الكبير من القنوات الفضائية والصحف ومواقع التواصل وكثرة المشاركات للخبر والتعليقات المؤيدة التي تشير إلى أن الفتوى جاءت في وقتها في ظروف صعبة تستلزم اصدار مثل هذه الخطابات فكونت استجابات بليغة داعمة للخطاب تساعد على انتشاره وسأعرض بعض التعليقات من اليوتيوب على خطاب الفتوى الذي ألقاه ممثل المرجعية في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي^(١) :

قال بوغبا اليونايدي : كردي من السليمانية .. روعي فداء للسيد السيستاني .. والله انقذ البلد ومن ضمنها الإقليم من الهلاك .. تحية لكل عراقي شريف .

AzelTvd يوميات قالت : أنا سنية وأقول الحق لو عدنا رجل دين مثل السيستاني لهرمنا العالم جميعا ما شاء الله عليه فعلا عالم دين شريف ونزيه وذكي لا يضرب الكرة إلا في المرمى .

Nel نيل قال : سني من الأردن موقف السيستاني لن ينساه التاريخ .
قال حسين العكيلي : كسرت ظهر التاريخ وحميت كل المنطقة ليس فقط العراق بهذه الفتوى المباركة يا سيد علي السيستاني يا عظيم النجف روعي لك الفداء

قال ذياب محمد : طلعت عشيرتنا عراضة بوقتها وكانت من أجمل لحظات عشتها خفاجة/ الغراف/ ذي قار .

قالت تقى الشيباني : السلام على من أفتى

السلام على من لبى

السلام على من ضحى

حفظك الله يا سيدي

ورحم شهداءنا الأبرار

وهذه الممارسات الكتابية في سياقات التواصل أنجزت وظائف مختلفة منها بيان البعد الإقناعي وحجم التأثير لخطاب الفتوى في نفوس جماعات واسعة من الناس على اختلاف طوائفهم وقومياتهم .

الاستجابة الفدائية

وهي التي تكون لب الاستجابة الجماهيرية لخطاب الفتوى والمحقة لغرضه ، عبر النشاط اللغوي والأدائي للجماهير العراقية ، فالنشاطات اللغوية تمثلت بالهتافات وكتابة المقالات والقصائد المؤيدة لموقف المرجعية تجاه هذه الأحداث والظروف الصعبة ، فضلا عن سيطرة هذا الحدث على الفضاء الإعلامي وأصبح محورا للتحليلات السياسية وعتبة مهمة للأخبار حول الشأن العراقي .

أما النشاطات الأدائية فلها عظيم الأهمية وشملت تطوع الآلاف من أبناء الشعب العراقي ضمن القوات المسلحة للدفاع عن العراق شيئا وشباناً وحتى من كان وريق عمره غضا حديث عهد بالحياة وأراد أن يَحْتَمِها بالسعادة مثل مثنى قاسم الكلابي وغيره .

فانخرطوا في تشكيل مسلح أرادت له المرجعية أن يكون جزءاً من تشكيلات الدولة الأمنية

سمي فيما بعد بـ (الحشد الشعبي) فتلوا آيات الشهادة والفداء من كتاب العشق ليلحقوا بالفتح ومنهم من ينتظر ببذل الغالي والنفيس من أجل رفعة الإسلام والحفاظ على الأرض والعرض .

وهي استجابة أدائية غاية في الطاعة والالتزام بأوامر المرجعية العليا ومن شرائح مختلفة حتى طلبة العلوم الدينية ، وقد شكلت دعماً وإسناداً للقوات الأمنية وفي بعض المناطق تقود تشكيلات الحشد عملية التحرير بنفسها .

وصوت الدم يحتاج إلى من يرفعه فكانت قوافل المساعدات والحملات

التبرعات من المؤسسات والمواطنين وحملة الدعم من أصحاب المواكب الحسينية فضلا عن الدعم الحكومي الذي كان له أبلغ الأثر في استكمال العمليات العسكرية ضد داعش .

الاستجابة العاطفية

إن لبلاغة الباتوس عظيم الأثر على المتلقي لأنها تمس وجدانه فتشمر في عمله^(١)، وكانت الاستجابات العاطفية لخطاب الفتوى كثيرة وواسعة وهي متداخلة مع الاستجابات الأخرى

فالجماهير لبث نداء المرجعية وقد حملت تفاعلا وجدانيا وقناعة عقلية بأحقية الخطاب ومن صور التفاعل العاطفي - ضمن الفضاء الافتراضي - مع خطاب الفتوى التعبير بقشعريرة الجسد والبكاء عند سماعه وسأعرض بعض التعليقات من موقع العتبة الحسينية في اليوتيوب وهو يعرض خطبة الجمعة التي تضمنت فتوى الجهاد الكفائي والتي بلغت أكثر من ستة آلاف تعليق^(٢):

AYAICTS قالت : كلما أسمع الخطبة ولحد الآن يتتابني نفس شعور اهتزاز

شي بداخلي

وقشعريرة جسدي ..

و يا رب أرحم الشهداء الذين بذلوا أرواحهم فداءً للوطن

قال حسن علي : جسمي كزبر

اللهم احفظ شيعة العراق من كل الفتن واحفظ جميع العراقيين

قال محمد علي : لحد هذه اللحظة عندما اسمع هذه الخطبة يتقشعر جسدي

، ويهتز شي بداخلي الله يرحم الشهداء.

١ - وهذه من صور الحجاج الجيد والمنع الذي يقتضي المعرفة بما يهز الذات التي يتوجه إليها بالخطاب فيغيرها ويجرّكها ، ينظر: في خطابة أرسطو الباتوسية ، محمد الولي بحث ضمن مجلة علامات ع ٢٦ : ٤٨

2- <https://youtu.be/aFO5KonPlcE>

قال وابل الجبوري : منو مثلي من يسمع الخطبة جلده يكزبر وتخنكه العبره
ويبجي ... بالأخص من يمول عالمواطين الذين يتمكنون من حمل السلاح .
قال علي العسكري : كان لي عظيم الفخر أن أكون مجاهدا في هذه الفتوى
المباركة أعيدها دائما و عيوني تغرك بدموعي تاريخ مشرف
badri-Moal قال : كلمات تلامس القلب وتهز الأبدان ، وترفع الهمم ،
والاستماع لها مرارا يقوي النفس والعقيدة
قال **AHMEDTHMEN** : ليو منا هذا أعيد الخطبة ويرتعش جسدي
وقلبي فرحا لوجود هكذا مرجع استطاع أن ينقذ العراق وشعبه وهذا بفضل
الدماء التي سالت من اجل أرض العراق
قال **Alsalman Ahmed** : بكيت مرتين في حياتي مره ع الحسين ع ومره
الثانية بسماع الفتوى في وقتها فقد استحضرت قضيه الحسين والخيانة
هذا التفاعل الوجداني الذي أنجزه خطاب الفتوى تابع لأهمية الخطاب
ومكانة صاحبه والظروف السياسية والدينية التي تشكل الخطاب من خلالها.

الختامة

في نهاية الدراسة عن بلاغة جمهور خطاب فتوى المرجعية خرجت بمجموعة نتائج هي :

بيان الدور الاسلامي الرائد للمرجعية وقيادة الجماهير المستمدة من قيادة الإمامة لها كان له أهمية في إعداد مقبولية لخطاب الفتوى لدى الجمهور العراقي .

إن دراسة ما قبل خطاب الفتوى وما بعده فضلاً عنه بينت الأسباب في انتاج استجابات جماهيرية داعمة ومؤثرة .

لم يغب عن خطب الجمعة في كربلاء تفصيلات المشهد السياسي والانتخابات والواقع الاقتصادي والاجتماعي للعراقيين وهذا جزء من انتهاء المرجعية للشعب وتحسسها لمعاناته ولم تكن بعيدة عنه بل تراقب الواقع وتنقد الأخطاء وتصصح المسار بما يرسم صورة مشرقة للوضع العراقي حكومةً وشعباً .
بين البحث أن خطاب الفتوى أسهم في انتاج استجابات شعبية بليغة داعمة له وفاعلة معه من اجل التغيير المنشود حيث استرداد الأرض والانسان من الارهابيين .

أنماط هذه الاستجابات مختلفة وإن كان يجمعها التعاطف والحماس فإن أقواها تأثيراً هي الاستجابات الفدائية .

إن بلاغة الجمهور لا تنضوي تحتها دراسة استجابات الجمهور فقط وإنما الخطاب السلطوي الذي ينتج هذه الاستجابات وأسهم في جعلها بليغة وفاعلة .

مصادر البحث

القرآن الكريم

١. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧.
٢. أدبية الخطابة الإسلامية مدرسة نهج البلاغة انموذجاً، د. علي مهدي زيتون، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ٢٠١٢.
٣. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن محمد الطبرسي، دار المتقين، بيروت، ط ١، ٢٠١١.
٤. الاستعارة المفاهيمية للنفاذة والإطار في ديوان (ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية)، د. رائدة مهدي العامري، محمد خليف خضير الحياني، بحث ضمن مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٩، العدد ٥، ٢٠٢١.
٥. أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: الشيخ محمد جواد الفقيه، فهرسة وتصحيح: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠.
٦. بلاغة الجمهور مفاهيم ومنطلقات، تحرير وتقديم: د. صلاح حسن حاوي، د. عبد الوهاب صديقي، دار شهريار، البصرة العراق، ط ١، ٢٠١٧.
٧. البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط ١، ٢٠٢١.
٨. حروب بلاغية مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، د. عماد عبد اللطيف، مجلة ألف، العدد ٣٢، ٢٠١٢.
٩. الخطابة، أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.
١٠. خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٤ (١٤٣٥-١٤٣٦ هـ)، العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، ٢٠١٦.
١١. في خطابة أرسطو الباتوسية، د. محمد الولي، بحث ضمن مجلة علامات، العدد ٢٦.
١٢. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، علق عليه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨.
١٣. لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بال جماهير في السياسة والفن، د. عماد عبد اللطيف، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٩.
١٤. موقع العتبة الحسينية باليوتيوب <https://youtu.be/aFO5KonPlcE>.
١٥. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمعه الشريف الرضي، مؤسسة الأندلس للمطبوعات، بيروت - النجف، ط ٢، ٢٠١٢.

(الابعاد الاجتماعية لفتوى الدفاع الكفائي وانعكاساتها على عراق مابعد داعش) دراسة تحليلية بمنظور سوسيولوجي

كلية الادب - الجامعة بابل

م.م. سارة علي جابر

الملخص

مثلت هجمات تنظيم داعش الارهابي على العراق وفرض سيطرته على المناطق التي احتلها تهديدا كبيرا اختزل ضمن أطره مخاطر جمة انعكست سلباً على واقع الامن المجتمعي وهذا ما اتضح من خلال سلوكياته وطريقة ادارته للمناطق التي خضعت لسيطورته التي شهدت اساليب لا تتفق مطلقاً مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع العراقي وقد دفع ذلك الامر بالمرجعية الدينية المتمثلة بالسيد السيستاني الى اصدار فتوى الجهاد الكفائي بغية انهاء سيطرة التنظيم الارهابي، فكانت النتيجة ان تطوع الآلاف العراقيين من كافة اطيافه في تنفيذ مضمون الفتوى المباركة التي نادى بضرورة الدفاع عن العراق ومقدساته وحرماته فشكل على اثر ذلك حشد شعبي مقاوم رديف للجيش العراقي ومسانداً له في تقويض حلم الجماعات الارهابية في السيطرة على عموم العراق فكان حشد المجاهدين القوة التي ابرزت واقع العقيدة الجهادية التي كان يؤمن بها المقاتلون في حروبهم التي خاضوها ضد عصابات لتنظيم الداعشي فكانت النهاية نصراً عسكرياً قوض الارهاب وعزز من واقعية الابعاد الاجتماعية التي وظفتها الفتوى في انطلاقها من خلال دعوتها لكل العراقيين بضرورة الدفاع عن تلك الابعاد والمحافظة عليها بالقدر الذي يعزز من وجود عراق آمن ومستقر لفترة مابعد داعش يؤمن افراده بواقعية التنوع المجتمعي كمسار لتحقيق الوحدة المجتمعية / الوطنية التي جاهد وضحي واستشهد من أجلها حشد مجاهدوا الفتوى المباركة.

Abstract.

The Attacks of the Terrorist Organization ISIS on Iraq and the imposition of its control over the areas it occupied represented a great threat that summarized within its framework many risks that negatively affected the reality of community security. The order of the religious authority represented by Mr. Sistani to issue a fatwa of sufficient jihad in order to end the control of the terrorist organization ISIS, and the result was that thousands of Iraqis from all walks of life volunteered to implement the content of the blessed fatwa, which called for the need to defend Iraq and its sanctities and sanctities. And supporting him in undermining the dream of the terrorist groups to control the whole of Iraq, so the mobilization of the Mujahideen was the force that highlighted the reality of the jihadist ideology that the fighters believed in in their wars that they fought against a gang to organize the ISIS, so the result was a military victory that undermined terrorism and reinforced the realism of the social dimensions that the fatwa employed in its launch By calling on all Iraqis to defend and preserve these dimensions to the extent that strengthens them From the presence of post-ISIS Iraq, its members believe in the realism of societal diversity as a path to achieving societal/national unity for which the mujahideen of the blessed fatwa fought, sacrificed, and were martyred.

المشكلة / لقد مثلت فتوى الجهاد الكفائي رداً موازياً على تنظيم داعش الارهابي الذي اجتاحت العراق في حزيران من عام ٢٠١٤ وعلى اثر تلك الفتوى المباركة تطوع الالاف من العراقيين للذود عن الوطن والمقدسات ومن هنا تدور مشكلة بحثنا الحالي حول سؤال محوري مفاده (ماهي الابعاد الاجتماعية لفتوى الدفاع الكفائي وماهي انعكاساتها وكيف تجسدت تجلياتها على واقع ونفوس العراقيين في مرحلة ما بعد داعش)

الاهمية / تنبثق اهمية بحثنا الحالي من كونه يلقي الضوء حول الابعاد الاجتماعية للفتوى وانعكاساتها ليس في تحقيق النصر فحسب وانما امتدت ابعادها وتجلياتها على المدى المستقبلي للمجتمع العراقي ، فرغم الخسائر البشرية والمادية التي تكبدها العراقيون ازاء حربهم مع داعش الا ان الفتوى المقدسة والتي اقتضت المواجهة مع داعش اثمرت مشروعا جهاديا ذات ابعاد سياسية واجتماعية وامنية مهمة للمرحلة اللاحقة.

الاهداف / يهدف البحث الحالي الى :

- تبيان مفهوم فتوى الجهاد الكفائي ومبادئها
- تبيان مفهوم الحشد الشعبي
- تبيان الابعاد الاجتماعية للفتوى وانعكاساتها على عراق ما بعد داعش
- وعليه يركز البحث على ثلاثة محاور

المحور الاول / فتوى الدفاع الكفائي وتأسيس الحشد

المحور الثاني / الابعاد الاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي : قراءة في الابعاد

المحور الثالث / العراق والحرب ضد داعش : المواجهة والانعكاسات

المحور الاول / فتوى الدفاع الكفائي وتكوين الحشد الشعبي

اولاً/ فتوى الجهاد الكفائي

ان السلام هو القاعدة الاساسية للعلاقات والتي تنشدها الشعوب ولكن هناك مواقف يصبح فيها القتال والمواجهة ضرورة لا بد منها للوصول الى بر الامان كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧)^(١) ففي الاية الكريمة اشارة الى التحريض على القتال واعتبار التقاعس عنه إذعان مع وعد الهي بتحقيق الظفر والفوز ويريد الله ان يحق الحق ويعليه بأمره ويستأصل المعتدين بالهلاك ،

وعليه انطلقت الفتوى المباركة للمرجعية الدينية فتوى الجهاد الكفائي والتي اطلقها السيد السيستاني من الصحن الحسيني الشريف على لسان ممثل سماحته الشيخ عبد المهدي الكربلائي يوم (١٣ / حزيران / ٢٠١٤) الموافق (١٤ / شعبان / ١٤٣٥) وتعد من اعظم الفتاوى في التاريخ الحديث والمعاصر التي اطلقت من قبل المرجعية في النجف الاشرف ، وذلك لقوة الخطر الداعشي الذي هاجم العراق اذ سقطت مدنا عديدة بيد هذا التنظيم الارهابي وعلى رأسها نينوى وصلاح الدين^(٢)

وكانت الفتوى (فتوى الجهاد الكفائي) الذي اصدرها المرجع الديني وهو اعلى مرجعية شيعية في العراق ولكن لم تكن موجهة الى الشيعة فقط او فئة مقلدي المرجع صاحب الفتوى فقط (الامام السيستاني « دام ظله ») ولم تكن موجهة الى فئة جغرافية او طائفية او منطقية معينة بل هي كانت ولحد الان موجهة لجميع العراقيين ولكل الوانة طيفهم ، فمن يقدر على حمل السلاح للدفاع عن العراق ككل ومقدساته ككل دون تمييز او استثناء لمكون عن اخر او لمنطقة عن اخرى لأن داعش يهدد الجميع^(٣)

حيث مثلت فتوى الجهاد الكفائي للمرجع الاعلى في العراق علي السيستاني (دام ظله) نقطة تحول مهمة في مسار الاحداث العراقية وادت الى تشكيل قوات الحشد الشعبي بهدف مواجهة تمدد تنظيم داعش الارهابي التي سيطر على اجزاء البلاد حينها^(٤) وفي حين اشارت الفتوى الى ان العراق يواجه تحديا كبيرا ،فانها اكدت ان مسؤولية التصدي للارهابيين هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون اخرى او طرف دون اخر وشدد ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي وان من يضحى يكون شهيدا ان شاء الله^(٥)

وهنا تعتقد المرجعية بجملة من المبادئ والاسس في مواجهة تنظيم داعش^(٦) :

- ان العراق وشعب العراق يواجه تحديا كبيرا وخطرا عظيما وان الارهابيين لا يستهدفون بعض المحافظات كنيوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم ومن هنا فأن مسؤولية محاربتهم والتصدي لهم هي مسؤولية الجميع .
- ان التحدي وان كان كبيرا الا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والاقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة اكبر من هذه المخاطر والتحديات ، فأن المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا ومقدساته من هذه المخاطر وهذه توفر حافز لنا للمزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته من ان تهتك من قبل هؤلاء المعتدين ، ان القيادات السياسية في العراق امام مسؤولية وطنية وشرعية كبيرة وهذا يقتضي ترك الاختلافات والتناحر خلال هذه الفترة العصيبة وتوحيد كلمتها واسنادها ودعمها للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة اضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات .

-ان دفاع ابنائنا في القوات المسلحة وسائر الاجهزة الامنية هو دفاع مقدس

ويتأكد ذلك حينما يتضح ان منهج هؤلاء الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام يرفض التعايش مع الاخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء واثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنة على مختلف المناطق في العراق ودول اخرى .

كما ان الفتوى لم تنطلق منفردة دون ظوابط والتزامات تقع على عاتق المجاهدين بل ان الامام السيستاني كللها بتوجيهات وارشادات للمتطوعين حثهم فيها على نظافة الحرب والالتزام بالمعايير الاسلامية والانسانية في التعامل مع النساء والاطفال وكبار السن فترجم رجال الحشد تلك التوجيهات على ارض الواقع فجميعنا شاهدنا خلال شاشات التلفاز وما ينشر في المواقع الالكترونية كيف ان مجاهدي الحشد يوفرون الممرات الامنة لخروج المواطنين العزل ورأينا كيف يستقبلونهم محتضنين لرجالهم ومهدئين لنسائهم واطفالهم ، بل حتى انهم تقاسموا معهم الماء والغذاء ، وفي مشاهد اخرى شاهدنا كيف ان ابناء الحشد يعتنون بالمزارع والحيوانات في المناطق المحررة ، ولم يعتدوا عليها ، بل انهم وفروا لها كل سبل الحياة والانتاج^(٧)

وعليه كانت الفتوى بالجهاد الكفائي بمثابة "طوق نجاة" للعراق بعد الذي حدث من جراء انتهاكات عصابات داعش الارهابية

ثانياً/ الحشد الشعبي :

فما ان صرح (السيد علي «دام ظله») بفتوى الجهاد الكفائي ، حتى لبي واستجاب المؤمنون من كل حذب وصوب لتتدافع تلك الجموع الغفيرة وتتزاحم على تسجيل انفسهم مشاريع تضحية وفداء تلبية لنداء المرجعية الرشيدة وللذود والدفاع عن ارض الوطن والمقدسات وعن اعراض الناس ودمائهم ولا يريدون من جهادهم وتبليتهم جزاء ولا شكورا من احد او من جهة ما سوى طلب وجه الله ، بتلبية نداء العقيدة والدين ، ليتصدوا لقوى الشر والطغيان ويوقفوا

القتلة والفجرة من الدواعش ، وليفكوا الاسر عن المدن والمناطق التي اغتصبوها ، مضحين بدمائهم الزكية^(٨)

لقد تجند عددٌ كبير من العراقيين ردا على هذه الفتوى تجاوبا مع ذلك تأسيس تنظيم عرف بأسم قوات الحشد الشعبي وكان ذلك بعدما استولى مايسمى تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) على ثلث اراضي العراق وفي الوقت الذي سرت مخاوف حقيقية من احتمال اطباق مقاتلي الدولة الاسلامية الارهابية (داعش) على العاصمة بغداد والسيطرة عليها فقد تطوع عشرات الالاف من العراقيين في الخدمة العسكرية لاستعادة السيطرة على هذه الاراضي^(٩) فالحشد يمثل مجموعة من افراد الشعب العراقي انتظموا بشكل طوعي للدفاع عن البلد ولهم هدف يتمثل بتحرير اراضيهم من الجماعات الارهابية^(١٠)

وتشير الدلائل ان عدد متطوعي التشكيل اليوم اكثر من ١٠٠٠٠٠ مقاتل علاوة على ٣٠٠٠٠ مقاتل مرتبط بوزارة الدفاع وان كان الاعم الاغلب من المشاركين فيه من الفصائل الشيعة وهذا يرجع الى سبب ان الطائفة الشيعية تمثل اليوم الغالبية الديموغرافية في المجتمع العراقي ، لكنها ضمت مع ذلك مقاتلين من العشائر من سُنّة العراق على سبيل المثال من محافظة الانبار وصلاح الدين ومن اهالي الموصل ، ولم يقتصر الحشد الشعبي على الشيعة والسنة فقط فقد ضم عدد من المتطوعين كذلك من المسيح والشبك والتركمان^(١١)

قوات الحشد الشعبي تحضى اليوم بأعتراف الدولة ككيان شرعي متفرع عنها وهو بذلك يعد مؤسسة رسمية ذات صفة قانونية وتعمل بموجب القانون العراقي فهو غير منفصل عن الحكومة العراقية ، فالاخيرة ومن خلال رئاسة الوزراء هي من تشرف عليه تحديدا وذلك من خلال تأسيس (هيئة الحشد الشعبي) بناءً على الامر الديواني المرقم ٤٧ لعام ٢٠١٤ وخصصت له الاموال من ميزانية الدولة العراقية وفي شباط / ٢٠١٦ ووفق الامر الديواني المرقم

٩١ أصبح الحشد وبصفة رسمية (تشكيلا عسكريا مستقلا وجزءاً من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة) ^(١٢) وعلبه فالحشد يعد العمود الفقري المساند للقوات العسكرية العراقية والجيش الرديف للجيش العراقي الذي منح الصفة الرسمية للدفاع عن العراق ^(١٣)

فالحشد الشعبي لم يؤسس لمصلحة شخصية ولا فتوية ولا يطلب ثأراً ولا ضد فكر او مجموعة او دين وانما تأسس بفتوى ربانية دعت كل العراقيين اولا وكل الناس الاحرار الشرفاء المحبين للحياة والمحترمين للانسان للدفاع عن القيم الانسانية عن الارض والعرض والمقدسات ^(١٤)

وينظر الشعب العراقي الى تجربة «الحشد الشعبي» بكل فخر واعتزاز كونه يمثل رمزا وطنيا يدل على السلام والتعايش بعيدا عن العنصرية والطائفية

المحور الثاني / الابعاد الاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي: قراءة في الابعاد

من الجدير بالذكر ان فتوى المرجعية العليا لاقت قبولا من جماعة علماء العراق واكدت على اهمية الجهاد الكفائي بحمل السلاح وطرد داعش ومرتزقته والمأجورين من الخونة وملاحقتهم والقصاص منهم لما ارتكبوه من مظالم ومجازر ليس بحق المسلمين فقط ، بل بحق جميع فئات المجتمع بأختلاف دياناتهم ومذاهبهم وقومياتهم ^(١٥)، وقد نصت الفتوى على محاور عدة ذات ابعاد اجتماعية ودينية وسياسية وانسانية ومنها:

-الابعاد الاجتماعية

ان فتوى الدفاع المقدس للسيد السيستاني شكلت منعطفاً مهماً في حياة العراقيين فقد اثبتت المواقف والتضحيات الجسام بأن فريق المرجعية الدينية هو القيادة الحقيقية للارث الحضاري والتاريخي للشعبة ، وايضا اغلقت الابواب امام الانتهاك المتوقع لحرمة المقدسات بفضل اندفاع المجاهدين والقيادات الميدانية والذين برزوا البعد الوطني للفتوى المقدسة بعد استجابتهم على مختلف منابهم

ومشاريعهم وتوجهاتهم للتصدي للزمر التكفيرية التي ارادت تدمير حضارة بلاد الرافدين^(١٦) فهي بذلك (الفتوى المباركة) قدمت حصانة اجتماعية اسهمت بقدر كبير في حفظ السلم الاهلي ووحدة المجتمع في البلد الواحد رغم اختلاف مكوناته دينياً ومذهبياً وقومياً فالمرجعية العليا الشريفة اقتدرت و بجدارة على منع تفكك البلد وتقسيمه وافشلت مخططات العدو الداعشي واسياده في تحقيق حلمهم بتقسيم العراق على اسس طائفية او قومية^(١٧)

ولم يكتف المرجع السيد السيستاني بفتواه في الجهاد الكفائي لمواجهة تنظيم داعش بالبعد العسكري والامني ، بل عمل على مسارات اخرى مكمله للفتوى واهم تلك المسارات البعد الانساني للفتوى فقد عمل المرجع على ايلاء موضوعه النازحين اهتماما خاصا ومباشرا من حيث توفير الامكانيات المادية والمعنوية وحشد المخلصين من هيئات ومنظمات وعشائر وفعاليات اجتماعية ومؤسسات حوزوية لتقديم جميع الامكانيات لأهالي المناطق التي تتعرض لعمليات نزوح وقتال^(١٨) اذ جاء في توجيهات سماحته «ان مئات الالاف من المواطنين لايزالون مهجرين نازحين من قراهم ومدنهم فإننا نهيب بالمواطنين الذين تفضل الله عليهم بالرزق الواسع ان يساهموا في إغاثة اخوانهم النازحين وتأمين احتياجاتهم فأن ذلك من افضل اعمال الخير والبر ويعبر عن عمق الشعور بالمسؤولية والحس الوطني » ولأجل حماية اموال المواطنين اصدر السيستاني فتوى بتحريم التعدي على اموال المواطنين في المناطق المحررة من الارهابيين اذ اعتبر ان هذا التعدي له اثاره السلبية بالغة السوء على التعايش السلمي بين ابناء الوطن الواحد^(١٩)

-الابعاد السياسية

حيث ثبتت الفتوى المقدسة انها ذات ابعاد سياسية كبيرة تكمن في احمادها بؤادر الفتن الطائفية والحرب الاهلية المخطط اشعالها والتي كادت تجر المنطقة الى تقسيم جغرافي - سياسي فمع ماحققته الفتوى المباركة من انتصارات في الجانب

الميداني ، فأنها ركزت على ضرورة وجود جهود سياسية لمعالجة مصادر الارهاب وتجفيف منابعه وفتح باب الحوارات الناضجة بدون انتهاك لسيادة العراق ، فالأنفتاح العراق بعلاقات دبلوماسية يعزز دوره الحقيقي في المنطقة ويخرجه من عزلته الاقليمية التي كانت نتيجة للسياسات الخاطئة لحكومته السابقة ، لذا فأن الفتوى المقدسة شخّصت اخطاء مرحلة ما قبل صدورها ، واهمها تقييد الشحن الطائفي والقومي الذي كان يثار موسمياً ، حتى بات منهجاً للاممات في العراق كما انها وحدت الرؤى والمواقف السياسية المتباينة في مرحلة ما قبل داعش ، ليكن العراق والعالم بعد ذلك امام حقيقة ولادة « مؤسسة للمتطوعين الغيارى » الوليد الشرعي لفتوى الدفاع المقدس والركيزة الاساسية لأنقاذ الوطن والمقدسات ، الذي استطاع بالتوكل على الله وارادته العقائدية مسك زمام المبادرة الامنية والعسكرية^(٢٠)

- كذلك للفتوى الشريفة بعد عقائدي واخلاقي وقيمي ووطني تجلّى بالتضحية والشهادة وتحمل الجراحات من قبل المجاهدين الابطال وتقديم اهل الخير لهم دعماً معنوياً ولوجستياً، ومواساة عوائل الشهداء والمصابين ، ورسخ هذا البعد روح الدفاع والمقاومة والرفض للعدو المنحرف عقائدياً وسلوكياً واخلاقياً ، وذلك بإظهار المقاتلين الغيارى في مواقع العمليات تعاملًا حسنًا والتزاماً صادقاً بتوصيات المرجعية الشريفة في ما يخص التعامل الشرعي مع الابرياء والممتلكات الخاصة ، وعدم اخذ البريء بجريمة المسيء في مجريات الاحداث اثناء معارك التحرير^(٢١)

- واما من الناحية الفقهية والشرعية كان الغرض منها هو دفع خطر العدو وحماية الانفس والاموال والاعراض والمقدسات والبلد بالتصدي الفعلي من قبل المجاهدين المتطوعين للقتال لرد وضرب العصابات الداعشية الاجرامية والحاق الهزيمة بها وتحرير المدن التي سيطرت عليها ، والحمد لله تعالى قد تحقق النصر المبين والظفر المكين عليهم ، فتجلت الحكمة عياناً وواقعاً وثناءً .

-واما من الناحية العسكرية: فقد شكلت الفتوى الشريفة متطوعين عقائدين مخلصين قادرين على تحمل المسؤولية الدفاعية والامنية ، يجعلون نصب اعينهم الرؤية الشرعية والوطنية في حفظ امن البلد ومقدساته واعراضه^(٢٢) ويتبين مما سبق ان حكمة السيد علي السيستاني وبعد نظره ، واطلاعه التفصيلي على مجريات الاحداث الاجتماعية والسياسية ، جعلته يتخذ القرار المناسب بالوقت المناسب .

المحور الثالث/ العراق والحرب ضد داعش : المواجهة والانعكاسات

اولا/ العراق و داعش : دراسة في تحديات المواجهة

المؤسسة العسكرية العراقية عانت من تراجع كبرى عقب حرب ٢٠٠٣ ، وخصوصا بعد قرار الحاكم الامريكي (بول بريمر) بحل الجيش العراقي، الذي كان ذاته متعبا بعد حروب اقليمية مدمرة ناهيك عن الوضع مابعد الحرب ، الاشكالية بأن استراتيجية داعش تعتمد على حرب المدن والعصابات دون تكتيك واضح ، ولهذا فأن مثل هذه الحروب لايمكن التعامل معها بمنطق الجيش النظامي ، ولهذا كانت ضرورة تأسيس بديل شعبي جماهيري عبر تأسيس (الحشد الشعبي) كمعادل عملياتي في حرب الشوارع والمدن لمواجهة وحشية التنظيم .اذن فكرة الجيوش الرديفة تقوم على مبدأ المساندة والمعاوضة للقوات الامنية (المؤسسية) لهدف تكامل تحقيق الامن الانساني^(٢٣)

منذ حزيران ٢٠١٤ استطاع المتطوعون في الحشد الشعبي من السيطرة على مسك الارض ب ١٢٠ ينظر العراقيون بفخر الى ظاهرة الحشد الشعبي ، وقد عد الحشد الشعبي من قبل العراقيين رمزا وطنيا يعوضهم عن فشل الاجهزة الحكومية ، اذا كانت القيادة الدينية والسياسية قد دعت الشعب الى التعبئة ، وكانت نتيجة الاستجابة قوية ، وبدلا من الشعور بالضعف ، شعر العراقيون بالقوة مرة اخرى ووصل التجنيد في تلك الوحدات الى ١٢٠ الف متطوع على

الفور وقد شعرت العائلات العراقية بأمان أكثر لقيام ابنائهم بالقتال في وحدات تمتلك من الحافز الكبير تحت قيادة ضباط لم يتخلوا عن ابنائهم او يلقوهم الى العدو، ويبقى تأسيس الحشد الشعبي الأنموذج لمقاتلة حرب المدن والعصابات الارهابية هو امر جيد فقد حقق العديد من الانتصارات في تحرير المناطق خلال عام ٢٠١٥-٢٠١٦ ومنها تحرير (مدينة جرف الصخر - مدينة امري - بيحي - الفلوجة و تعد هذه المعركة ضمن المعايير العسكرية والامنية انتصارا كبيرا ساهم الحشد بشكل كبير في التهيئة للدخول لهذه المدينة ، ومحاصرة تنظيم داعش من عدة محاور وتحقيق النصر^(٢٤)

ثانياً / اهمية المواجهة (المقاومة العسكرية)

على الرغم مايؤكدده بعض الباحثين والمختصين ، بأن المقاومة الشريفة تكون على عدة انواع واشكال ومنها المقاومة السلمية اي لا تكون حصرا على المقاومة العسكرية - حمل السلاح - والمواجهة المباشرة ، الا ان بعض الاعتداءات والاحتلالات لا تجدي معها المقاومة السلمية نفعا ، مالم تصاحب تلك المقاومة بأعمال عسكرية تجبر المعتدين (الدواعش) على التسليم والقضاء السلاح وتقطع الطريق امام خططاتهم البغيضة والدينية الساعية الى تدمير البلاد وعلية يمكننا القول بأن المقاومة العسكرية جديرة بأن تكون لها الاهمية الرئيسية لأسباب عدة: (٢٥)

- ١- اذا نضرنا الى المقاومة العسكرية من ناحية قوتها وشدتها لوجدنا انها اكثر تهديدا لاي محتل او عصابات داعش التكفيرية واعظم فتكا بالعدو مما توقعه من اضرار مادية وبشرية تدفع بالدواعش الى التسليم او على مغادرة البلاد .
- ٢- ان المقاومة العسكرية تربك الدواعش وتشل حركتهم وتضيق عليهم الخناق فتقطع عليهم طريق تطبيق اجنداتهم التكفيرية المتطرفة الخبيثة .
- ٣- ان عصابات داعش التكفيرية مجاميع قذرة وهمجية وتفتقر الى الحنكة العسكرية والتعاملات المهنية بسبب همجيتها فلا ينفع معهم الحوار او التفاوض كونهم

مجرمين وقتلة ماجورين فما لم يذوقوا وبال نار ابناء البلد من استعادة عافيته.

٤- ان المقاومة العسكرية المتمثلة (بالحشد الشعبي) والقوات الامنية من الجيش والشرطة وجهاز مكافحة الارهاب هي مفخرة للبلد ورفع شانة في المجتمع الدولي فرجال المقاومة يصنعون المجد والتاريخ الوطني للبلد باناملهم الشريفة.

٥- تسهم المقاومة والتصدي العسكري ف خلق رؤية وطنية موحدة وهدف مشترك يتمثل في الموقف من العصابات التكفيرية داعش مما تسهم في خلق حالة نوعية من رص الصفوف وتوحيد الكلمة فالقاعدة السوسولوجية تقضي بانه خلق عدو تعني جميع الداخل .

٦- السعي الى رفع مستوى المعيشة عن طريق تقديم الخدمات للمواطنين اثناء الازمات وتامين حياتهم وحماية ارزاقهم فضلا عن رعاية عوائل شهداء المقاومة ومتابعة قضايا الاسر والمواطنين المخطوفين لدى عصابات داعش التكفيرية والسعي لاطلاق سراحهم وتحريرهم .

٧- المقاومة الوطنية والاسلامية (الحشد الشعبي) وكما هو معلوم لم تكلف خزينة الدولة فهي قوة دفاعية شبه مجانية عرفت كيف يكون الدعم وكيف يوظف لخدمة الوطن وكيف تفوز المقاومة الوطنية بجائزة التحرير بعد ان رصت الصفوف مع الجيش والشرطة والاجهزة الامنية فهي تدافع عن ارض الوطن وعن المقدسات بلا تبجح .^(٢٦)

ثالثاً / مخرجات النصر وانعكاساته على عراق مابعد داعش : رؤية تحليلية

لتجربة المشروع الجهادي

لقد واجه العراق بعد عام ٢٠٠٣ العديد من التنظيمات الارهابية التي ارتكبت بحق شعبه الجرائم النكراء من القتل والتفجير والتهجير القسري الخ حتى حزيران من عام ٢٠١٤ اصبح العراق في مواجهة اعلى زمرة ارهابية وهو تنظيم الدولة الاسلامية (الارهابية) تنظيم داعش ، والذي تمكن انذاك

من فرض سيطرته على مدينة الموصل وبعض المناطق الغربية وطالت تهديداته بغداد والمحافظات الاخرى حتى جاء الرد الموازي من المرجعية الدينية (السيد السيستاني «دام ظله») بفتوى الدفاع الكفائي حيث تطوع الالاف من العراقيين لتلبية النداء بكل ثقة وعزيمة ووطنية لمواجهة داعش والدفاع عن الارض والوطن والمقدسات وبعد حروب ومواجهات دامية سطر فيها العراقيون بكل اطيافهم اروع صور البطولة والتضحية تم اعلان تحرير العراق من دنس عصابات داعش الارهابية ، ولا يمكن ان نختزل تحقيق النصر كأحد مخرجات الفتوى المباركة في تلك الاونة فحسب بل انها اعادت الامور الى نصابها واثمرت ابعادها نتائج مؤثرة وحاسمة على المدى المستقبلي (في المرحلة مابعد داعش) منها:

-ان القاعدة السوسيولوجية تقتضي بأن وجود عدو خارجي يؤدي الى خلق تماسك داخلي للجماعة ، (وكما يعتقد العالم لويس كوسر) عالم اجتماع امريكي مُحَدَث) ان الصراع الخارجي بين الجماعات يؤدي الى التكامل والتضامن الداخلي للجماعة المشتركة في عملية الصراع^(٢٧)

حيث اسهمت المقاومة ضد داعش والتصدي له في خلق رؤية وطنية موحدة وهدف مشترك واحد الا وهو مقاتلة الارهاب (الداعشي) وهزيمتهم ، حيث لم يكن امام العراقيين خيار سوى الوحدة لمواجهة داعش .

-ان من اهم الانعكاسات الايجابية التي انتجتها تجربة المشروع الجهادي للحشد الشعبي هو تجاوز الاختلافات بين كافة فصائل المقاومة سواء اكانت مذهبية ام قومية او مرجعية دينية ، فقداسة الهدف مثلت ضمانة وحيدة لعملهم القتالي ، وبالتالي نجد اليوم البناء التنظيمي لهيئة الحشد الشعبي يختزل بداخله مزيج المجتمع العراقي المختلف اثنيا وعرقيا ومذهبيا ودينيا^(٢٨)

-لا يمكن نكران الخسائر البشرية والمادية التي خلفتها حرب داعش ولكن هناك انعكاسات ايجابية للحرب ذات بعد امني حيث تم تقويض عمل الجماعات

الارهابية ، فبعد مواجهة داعش وهزيمته رغم امكاناته الطائلة استعاد العراقيون الثقة والروح المعنوية بعد تحقيقهم للأنتصار الباهر وتضاؤل العدو الداعشي امامهم ، وذلك مما قطع السبل واوقف اطماع ممن يحاولون التسلل برداء الدين او مشاكل لإثارة الامن المجتمعي ، ولا سيما بعدما ادركوا قوة العراق حين اصبح موحدًا بكافة اطيافه وقومياته ومرجعياته

-بعد ان خسر العدو الحرب العسكرية فمن المتوقع ان يلجأ (للحرب الناعمة) بمختلف اساليبها الفكرية والاعلامية لاسيما الحملات التي تستهدف التشكيك بدور المرجعية الدينية واستغلال الاختلافات المذهبية الا ان تجربة الحرب ضد داعش اوضحت الخطوط والرؤية امام العراقيين في معرفة العدو الحقيقي واساليب المعتادة واوجدت وساهمت بخلق (وعي جمعي) لصد وردع اي طارئ او سلوك مريب وعدم الانخراط معه ، فمن جهة افرز المشروع الجهادي جيلاً من الناشئة معتزاً بمقدساته ومرجعياته ومؤمناً بوحدته الوطنية من جهة اخرى. ويتبين مما سبق ان حكمة السيد علي السيستاني وبعد نظره ، واطلاعه التفصيلي على مجريات الاحداث الاجتماعية والسياسية ، جعلته يتخذ القرار المناسب بالوقت المناسب ، ليبقى صوت المرجعية الدينية عالياً شاخها على جميع الاصوات، فكان اصداره للفتوى علاج مناسب وضروري لتصحيح الممارسات الخاطئة التي ارتكبت ودليل على عقليته القيادية وقيادته الحكيمة والحريصة على الامة ، اذ ان فتوى الدفاع الكفائي ، تمثل قوة وجود المرجعية الدينية العليا وقراءتها الاستشرافية للمستقبل

الختامة

لقد كان لهذه الفتوى المباركة التنوع الثري من الآثار الإيجابية التي فجرت
مكامن الإيمان في قلوب الرجال فهب الآلاف شيئا وشبابا لتلبية النداء ، وتحقق
ما تحقق من دوي انتصارات وصلت اصداؤها لأقصى العالم ، ليثبت العراقيون ان
النداء الروحي الايماني قد هز اركان الارهاب ، وان اثار فتوى المرجعية المباركة
للدفاع عن العراق قد بينت العديد من الحقائق التي شملت نواحي الحياة
الاجتماعية والدينية والاخلاقية والسياسية وصولا الى خلق حالة من الوعي
العام لدى الشعب العراقي بضرورة تماسكهم ووحدتهم كما ساهمت في اظهار
مكامن الولاء للوطن والمقدسات .

١- فاضل كاظم صادق ، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الاسلامي عند السيد السيستاني (دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة)، بحث منشور ، ، كلية الاداب - جامعة ذي قار، ص ١٢٢

٢- انوار محمد عيدان السوداني، الايثار بين اصحاب الامام الحسين «ع» والحشد الشعبي من وجهة نظر نفسية ، بحث منشور ، ملتقى الطف الدولي العلمي والثقافي العاشر، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٨، ص ٤٥٧

٣- وكالة الجزيرة ، 2021 Aljazeera.net

٤- حيدر محسن سلمان الشويلي، دور المرجعية في حفظ المجتمع من الارهاب «فتوى الجهاد الكفائي انموذجا» ، بحث منشور ، كلية التربية للعلوم الصرفة جامعة ذي قار، ص ٤
٥- فراس عبد الكريم محمد علي ، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣، بحث منشور، مجلة قضايا سياسية ، العدد ٦٢، ٢٠٢٢، ص ١٥٧

٦- اسعد كمال الشبلي ، سلوك الحشد الشعبي بين الحقيقة والتضليل ، مؤسسة كتابات ، ٢٠١٦، ص ١

٧- سوزان محمد ، رسول مطلق محمد، الطف والحشد : درس وعبر دراسة اجتماعية لتأصيل الفعل لمقاوم، ملتقى الطف العلمي والثقافي الدولي العاشر في كلية الاداب - الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٨، ص ٣٨٠

٨- وسام صالح عبد الحسين واخرون، واقعة الطف واثرها في سلوكيات مقاتلي الحشد الشعبي ، بحث منشور، ملتقى الطف الدولي العلمي والثقافي العاشر ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٨، ص ٥٢١

٩- مصدق عادل ، التنظيم الدستوري للحشد الشعبي والتشكيلات المسلحة في العراق ، دراسة في التأصيل الدولي والدستوري والتشريعات الوطنية والمقارنة ، ط ١، بيروت ، ٢٠١٧، ص ١٨١

١٠- ياسر عبد الحسين ، الفاعلون من غير الدول: الحشد الشعبي انموذجا، صحيفة الاخبار اللبنانية ، العدد ٢٦٢٩، بيروت، ٢٠١٥، ص ٢

١١- وسام صالح عبد الحسين، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢١-٥٢٢

١٢- حسين عدنان هادي وانور عادل محمد ، فكرة جيوش الظل (الحشد الشعبي : ماهيته - عقيدته - هيكلته في كتاب : الحشد الشعبي «الرهان الاخير» ، ط ٢، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية ، بغداد، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٩

- ١٣- حيدر محسن سلمان الشويلي ، مصدر سابق، ص ٨
- ١٤- نضال حنش شبار الساعدي ، فتوى الجهاد الكفائي ودورها في بناء الانسان (رؤية قرآنية معاصرة) ، بحث منشور ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد، ص ١٣٤
- ١٥- عمار العامري ، الابعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي ، دراسات في الميزان، منتدى الفتوى المقدسة
- ١٦- مرتضى علي الحلي، الذكرى السادسة لفتوى الجهاد الكفائي ، منتدى الفتوى المقدسة.
- ١٧- كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ط ١، مركز الرافدين للحوار، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠، ص ٢٣٠
- ١٨- فاضل كاظم صادق ، مصدر سابق، ص ١٣٨-١٣٩
- ١٩- عمار العامري ، مصدر سابق
- ٢٠- مرتضى علي الحلي ، مصدر سابق.
- ٢١- المصدر السابق نفسه.
- ٢٢- ياسر عبد الحسين ، عراق مابعد داعش قراءة في السياسة العراقية لمواجهة الارهاب ، بحث منشور، دراسات دولية ، العدد السادس والستون، ص ٣٠٣-٣٠٤
- ٢٣- المصدر السابق نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧
- ٢٤- سوزان محمد، ورسول مطلق محمد، مصدر سابق، ص ٣٧٦
- ٢٥- المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٧
- ٢٦- معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، ط ٢، منشورات دار الافاق ، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٣
- ٢٧- وسام صالح واخرون ، ص ٥٢٨

المصادر

١. القرآن الكريم، (سورة الانفال - ٧)
٢. اسعد كمال الشبلي، سلوك الحشد الشعبي بين الحقيقة والتضليل، مؤسسة كتابات، ٢٠١٦، ص ١
٣. انوار محمد عيدان السوداني، الايثار بين اصحاب الامام الحسين «ع» والحشد الشعبي من وجهة نظر نفسية، بحث منشور، ملتقى الطف الدولي العلمي والثقافي العاشر، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص ٤٥٧
٤. حسين عدنان هادي وانور عادل محمد، فكرة جيوش الظل (الحشد الشعبي: ماهيته - عقيدته- هيكلته في كتاب: الحشد الشعبي «الرهان الاخير، ط ٢، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، بغداد، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٩
٥. حيدر محسن سلمان الشويلي، دور المرجعية في حفظ المجتمع من الارهاب «فتوى الجهاد الكفائي انموذجا»، بحث منشور، كلية التربية للعلوم الصرفة جامعة ذي قار، ص ٤
سوزان محمد، رسول مطلق محمد، الطف والحشد: درس وعبر دراسة اجتماعية لتأصيل الفعل لمقاوم، ملتقى الطف الدولي العلمي والثقافي العاشر في كلية الاداب - الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص ٣٨٠
٦. عمار العامري، الابعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي، دراسات في الميزان، منتدى الفتوى المقدسة فاضل كاظم صادق، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الاسلامي عند السيد السيستاني (دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة)، بحث منشور، كلية الاداب - جامعة ذي قار، ص ١٢٢
٧. فاضل كاظم صادق، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الاسلامي عند السيد السيستاني (دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة)، بحث منشور، كلية الاداب - جامعة ذي قار، ص ١٢٢
٨. فراس عبد الكريم محمد علي، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣، بحث منشور، مجلة قضايا سياسية، العدد ٦٢، ٢٠٢٢، ص ١٥٧
٩. كارولين مرجي صايغ، المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، ط ١، مركز الرافدين للحوار، بيروت، لبنان، ٢٠٢٠، ص ٢٣٠
١٠. مرتضى علي الحلي، الذكرى السادسة لفتوى الجهاد الكفائي، منتدى الفتوى المقدسة
١١. مصدق عادل، التنظيم الدستوري للحشد الشعبي والتشكيلات المسلحة في العراق، دراسة في التأصيل الدولي والدستوري والتشريعات الوطنية والمقارنة، ط ١، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٨١

٢١. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، ط٢، منشورات دار الافاق، بيروت، ١٩٩١، ص٤٣
١٣. وسام صالح عبد الحسين واخرون، واقعة الطف واثرها في سلوكيات مقاتلي الحشد الشعبي، بحث منشور، ملتقى الطف الدولي العلمي والثقافي العاشر، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٨، ص٥٢١
١٤. وكالة الجزيرة، Aljazeera.net 2021
١٥. ياسر عبد الحسين، عراق مابعد داعش قراءة في السياسة العراقية لمواجهة الارهاب، بحث منشور، دراسات دولية، العدد السادس والستون، ص٣٠٣-٣٠٤

البحث الرابع

اطروحة السيد السيستاني للتعايش السلمي وصداها في
الاعلام العالمي-قراءة موجزة لأسس ومبادئ التعايش السلمي
في خطاب المرجعية العليا خطبة الجمعة انموذجاً
الباحث حسن علي الجوادي

المقدمة

العالم في حياة كل امة يمثل الرمز الذي يحركها وتتفاعل معه من اجل
إبقاء وجدانها وما يتعلق به قيد الفاعلية والتأثر، به تترقى الامة الى كمالها
المنشود، وكل مجتمع يتحرك نحو الخير انما يتحرك بواسطة اعلامه ورموزه،
وهذا العالم الرحب اليوم لم يكن ليتقدم لولا جهود اعلامه في مختلف العلوم
والفنون، ولا ازيد على هذا الايضاح اكثر لوضوحه وضرورته ومن اجل ان
تكون المساهمة جادة وجيدة ادليت بما يمكن ان ادلوا به من بحث وحديث
حول المرجع الأعلى وصورته الناصعة في الاعلام الحر المنصف، وربما غيره
ايضاً ممن اضطر الى ان يدون تلك الحقائق لأغراض وأسباب كثيرة، فصار
هذا الفقيه حقاً هو وجه العراق الناصع في الاعلام، والرمز الذي تتلهف
اليه كل الوجوه والقلوب معاً، والشخصية الفذة في تاريخ العراق المعاصر،
حتى غدى من اكثر الاشخاص بحثاً واهتماماً من قبل الاعلام العالمي
لمواقفه الحكيمة التي حيرت الكثير من الباحثين والدارسين، مما جعل افئدة
من الناس تهوى حيث مسكنه الذي بات بوصلة للوعي والحكمة والاتزان
والعقلانية رغم ان هذا المكان على بساطته يجذب كل من يمر به، ومآثر
سماحته كثيرة وعديدة، ولا ريب ان شخصية المرجع الأعلى تكتنز من القيم
ما تصلح كشواهد تربوية وفكرية تستحق الدراسة، ولا ريب ان ذلك لم يأت

من فراغ انما هي إفاضات صدرت من نفس طيبة كريمة استقت ذلك من عبير التنزيل الحكيم، من اجل هذا واكثر ارتأيت ان اساهم في مؤتمر فتوى الدفاع الكفائي الذي تقيمه العتبة العباسية المقدسة منذ سنين عدة، ف جاء البحث لتغطية مساحة مؤثرة من افاضات مرجعنا الأعلى واثرها في الاعلام وقد وقع الاختيار على صدى أطروحة التعايش السلمي الذي أسس لها سماحته عبر مواقف كثيرة وكان من بينها منبر الجمعة الذي كان ترجمة للوعي الذي أرادت المرجعية ان ترسله عبر المشهد الحسيني المبارك، وقد تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث، الأول حمل عنوان مفهوم التعايش السلمي وأهميته في كلمات العلماء، و المبحث الثاني: الاصداء العالمية للمرجعية في إرساء مبادئ التعايش السلمي و المبحث الثالث: إرساء مبادئ التعايش السلمي من خلال خطب الجمعة واختتم بخاتمة موجزة.

المبحث الاول: مفهوم التعايش السلمي واهميته في كلمات العلماء.

المطلب الاول: تعريف التعايش السلمي

١- التعايش السلمي في اللغة:

قال ابن فارس: العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء قال الخليل العيش الحياة والمعيشة الذي يعيش بها الإنسان من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة والمعيشة اسم لما يعاش به وهو في عيشة ومعيشة صالحة والعيشة مثل الجلسة والمشية والعيش المصدر الجامع والمعاش يجري مجرى العيش تقول عاش يعيش عيشا ومعاشا وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش^(١).

جاء في المعجم الوسيط: عايشه، عاش معه، وتعايشوا، عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي^(٢).

يتضح من مجموع التعاريف المذكورة، أن مفردة التعايش ضاربة في القدم وجذرها اللغوي يحكي اهميتها، حتى أن الخليل فسر العيش بالحياة، وهذه التفاتة دقيقة ومهمة يحسن التوقف عندها والتأمل في مجراها.

ان التعايش يحرك الانسان لان يجد نفسه ضمن الناس، وهذا يحتم عليه ان يجري نفس الرؤية تجاه الآخرين، حيث انهم يفترض كما هو شعور فطري ان يشعروا بهذا المفهوم كما هو يشعر تماما، ومن هنا فان حق العيش الذي هو الحياة الطبيعية ينبغي ان يتوفر للجميع بنظرة كلية شاملة، وهذا المعنى يظهر قربة من المعنى الاصطلاحي في الاساس العام.

معظم المعجميون أدرجوا مصطلح التعايش السلمي عقيب مفردة التعايش بمعناها اللغوي، اما لقرب المصطلح من المفردة، او أن المفردة تشغل مساحة في هذا المصطلح أعني به « التعايش السلمي ».

١ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، ج ٤، ص ١٩٤.
٢ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٦٤٠، دار الفكر، ط ٣، القاهرة ١٩٩٨ م.

٢- التعايش السلمي في الاصطلاح:

قال الحنفي في معنى السلمي: يقصد به في غالب الأحوال الحالة التي تقوم بين الدول من حيث عدم وجود حروب بينها، أو استمرار حالة الهدنة قائمة لا تعكرها اضطرابات أو خصومات أو مشاحنات بين الحين والآخر، وخير من ذلك أن يكون المفهوم العام للسلام هو أن تكون حالة السلم متوسطة، وأن يكون السلام مستقرا.

فخلص الى أن التعايش السلمي، هو تعاون وتآلف وتوائم مختلف المذاهب والعقائد والنظم، ومن ذلك حوار الأديان، وحوار الحضارات وهما من مصطلحات التعايش الجديدة^(١).

وللتعايش السلمي، عدة اشكال، منها ما يكون بين المجتمعات في داخل الدولة الواحدة، ومنها ما يكون بين دولتين فاكثر، والتعايش السلمي بين الدول: الاتفاق بينها على عدم الاعتداء^(٢).

واما التعايش ذي المدلول السياسي فانه يحمل معنى الحد من الصراع او ترويض الخلاف أو العمل على احتوائه او التحكم في إدارة الصراع بما يفتح قنوات للاتصال والتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية^(٣). يتسلف من التعاريف أعلاه، ان التعايش يحمل صبغة اجتماعية وصبغة سياسية وأخرى دولية، وكل صوره مطلوبة حيث يراد منها السلام المستبطن للأمان والخير وهو مقصد البشرية لأنه جزء من تحقيق طموحاتها المشروعة على الأرض، لذا فانه لا يختلف على ضرورته واهميته عاقل، فمنذ هذا المنطلق قد تتعدد وجهات النظر في الدقة الحدية لهذا المفهوم الا ان نهايات المقاصد تجتمع في رحاب معنى السلام، وهو ما نقصده من هذا البحث ايضاً.

١ - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ص ٢٠٣.

٢ - معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، ج ٢، ص ٨٣. عالم الكتب ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣ - التعايش السلمي: د. عبد العزيز علي الجهالي، بحث منشور في مجلة الجامعة الوطنية العدد (١٥) ٢٠٢٠ م، ص ٨٨.

المطلب الثاني: فضاء التعايش السلمي في الفكر الاسلامي

اختلف في المراد من التعايش السلمي، هل هو في المنحى السياسي فحسب، في ينظر له من فكرة اجتماعية ينبغي تطبيقها، ام فكرة دولية ضمن المواثيق والعهود الدولية والعالمية، ام انه قائم على فكرة الوحدة البشرية في كل بقاع العالم، ام هي أطروحة متجذرة في الدين الإلهي لها ابعادها وتاريخها؟ تعددت مشارب المصطلح الا أنه حيث يشمل فكرة الامن الاجتماعي والسلم الأهلي والعلاقات سواء كانت محلية او دولية صار له نوع من الاهتمام في العصر لما له من نتائج تعطي انعكاساتها على الواقع الاجتماعي والإنساني، فيتخذ منه ثقافة لمنع الدماء وإيقاف العنف والتباغض والشد والكرهية في المجتمع العالمي، وربما تركز العديد من الشخصيات والمنظمات على ان يكون التعايش في اطار الدولة او البلد الواحد ومن ثم ينتعش العالم خطوة بعد خطوة بالتسامح والسلام والوئام.

اما على مستوى الفكر الإسلامي فقد اتسعت ساحة الإسلام لتشمل هذا المفهوم بعبارات واضحة على مستوى المصدر الأول فيه القرآن الكريم، حيث فصل القرآن في العلاقة العامة بين الكفار والأعداء الذين يتخذون موقفاً سياسياً أو عسكرياً عدوانياً ضد المسلمين، وبين الكفار العاديين الذين لا موقف لهم عدائي. حيث نهى القرآن الكريم - كما جاء في سورة الممتحنة - عن ولاء القسم الأول ومودته، وأجاز البر والقسط للقسم الثاني: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون).

ويشير إلى ذلك أيضاً ما ورد من تأكيد أهمية الدعوة لله والحوار بالأسلوب الذي يتسم بالعقلانية والمحافظة على العلاقة الانسانية الاجتماعية العامة، من خلال الحكمة والموعظة الحسنة مع الكفار أو الآخرين من غير المسلمين أو الناس عامة بدون فرق بين المسلم وغيره^(١).

وعلى مستوى المصدر الثاني: النص الصادر عن المعصوم وممارساته وما أثر عنه والمتمثل بأهل البيت عليهم السلام فيشهد التاريخ الإسلامي ان الائمة الاطهار عليهم السلام قد اقرؤا مبدأ التعايش وعدم الاحتراب، فكان منهمجهم السلم والعفو والرحمة، يقول السير توماس آرنولد: (لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع بحق أن نحكم أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح)^(٢)، وقد سبق هذا الدين جميع المنظمات والمؤسسات في الغاء التمايز العنصري، وأعلن الاسلام منذ فجر تأريخه إلغاء التمايز العنصري، واعتبره ضرورة اجتماعية لا تستغني عنه الحياة، فان التمايز ينم عن مجتمع متخلف قد فقد عناصر الفكر والوعي. إن الاسلام - بكل فخر واعتزاز - نظر إلى المجتمع الانساني بعمق وشمول فلم يميز عنصراً على عنصر، ولا قوماً على آخرين، يقول الرسول الأعظم عليه السلام: « لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، كلكم لآدم، وآدم من تراب » على هذا الأساس المتميز بالأصالة والوعي أقام الاسلام مجتمعه الذي أمد العالم بجميع مقومات الارتقاء والنهوض. وتبنى الفكر الشيعي هذه الظاهرة^(٣).

١ - دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، ج ١، ص ٤٨٦

٢ - النظام التربوي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ص ٣٥٦.

٣ - حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ٢، ص ١٢١

ولم يكن السيف هو الحد الفاصل بين المؤمنين وغيرهم، وإنما كان أداة للحرب في حال الاعتداء أو الدفاع، فقد عاش الذمي والنصراني واليهودي في أيام نبوة الخاتم ﷺ وأيام الامام علي عليه السلام لما كانت إدارة الامة الإسلامية بأيديهما وهكذا سائر المواقف النبيلة منهم، ولعل من اكثر العبارات صراحة ما ورد عن الامام علي عليه السلام في عهد مالك الأشتر بقوله: فإنهم - الناس - صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه^(١)، وهذا الأصل المبارك يُعد حجر الزاوية في تثبيت التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد^(٢).

١- قال المفسر الشيخ مغنية: أقر الاسلام مبدأ الاخوة والمساواة في المجتمع، وحث على التعايش السلمي وحل المنازعات والخصومات بالحكمة والموعظة الحسنة: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ - آل عمران ٦٣ » ، أي تعالوا إلى العدل والمودة لا إلى المؤامرات والدسائس والضغائن وإلى الثقة والتبادل الثقافي والاقتصادي لا إلى السلب والنهب ، وإلى الأمن والأمان لا إلى الأحلاف العسكرية والاستعدادات الحربية^(٣).

٢- قال المفسر الشيخ ناصر مكارم: أن الإسلام قد أكد على مسألة التعايش السلمي مع أتباع الأديان السماوية الأخرى ، وقد وردت في الآيات والروايات والفقه الإسلامي بحوث مفصلة في هذا الباب^(٤).

٣- قال العلامة القرشي: إن إلغاء التمايز العنصري الذي رفع شعاره الإسلام يحقق التعايش السلمي بين جميع الشعوب ويحطم الفوارق والامتيازات التي

١ - نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧م، ج ٣، ص ٨٤
٢ - أصول التعايش السلمي: محمد ناصر العذاري ومحمد حسن الدربندي، مؤسسة نهج البلاغة ط١، ٢٠١٧م، ص ٤٧.

٣ - الاسلام والعقل، محمد جواد مغنية، دار ومكتبة الهلال بيروت - لبنان ٢٠٠٠م، ص ١١٩.

٤ - الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٦، ص ٣٣١.

لا تزال موجودة بأجلى مظاهرها في هذا العصر^(١).

٤- يقول المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم (قدس): العراق - ككثير من البلاد - قد جمع طوائف مختلفة في الدين والمذهب والقوميات وغير ذلك من الانتماءات . وهذا أمر واقع فرض نفسه علينا يجب الاعتراف به ، والتعايش معه بالحكمة وحسن التصرف ، بنحو يجنب الجميع المشاكل والمضاعفات الخطيرة التي تفرزها الخلافات والمشاحنات ومهما بلغ الخلاف بين الفئات والطوائف المذكورة شدةً وحدةً فليس من الحكمة إلغاء بعضها لبعض وتجاهلها ، والتعدي عليها وهضم حقها ، لأن ذلك :
(أولاً) : ظلم للحقيقة .

(وثنانياً) : سبب لتعصب الطرف الذي يتجاهل - مهما كان ضعيفاً - لواقعه ، وتمسكه به ، والاستجابة لدعوات التطرّف ، بنحو يزيد من شقّة الخلاف ، ويمنع من فرص التلاقي والتقارب والحوار^(٢).

٥- يقول المرجع الديني الشيخ بشير النجفي: أن الإسلام يؤمن بالسلام والمحبة والتعايش السلمي، وخير دليل على ذلك ما قدمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من مشروع التعايش السلمي في المجتمع في وصيته للمالك الأشتر (رضوان الله عليه): «النَّاسُ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرُكَ لَكَ فِي الْخَلْقِ»، وليس هناك مشروع إصلاحٍ يوازي هذا المشروع^(٣).

١ - النظام السياسي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ص ٣٠٥.

٢ - رسالة إلى الشعب العراقي، السيد محمد سعيد الحكيم، ص ٧ - ٨.

٣ - من كلمة له خلال لقاء سباحته مع وفد مؤسسة قرطبة الانسانية، موقع المكتب المركزي الشيخ بشير النجفي بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٠.

المبحث الثاني: الاصداء العالمية للمرجعية في إرساء مبادئ التعايش السلمي

ارست المرجعية العليا في النجف الاشرف المتمثلة بآية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني، دعائم التعايش السلمي وخطت الطريق الامثل للخروج بالعراق من ازماته الامنية والمأزق الطائفي، وابتعدت به كثيراً عن الفوضى المقدر أن تقع فيها البلاد، الا أن حكمة هذا الرجل انقذت العراق من اكثر من فتنة وخطر، وهذا ما اثر بوضوح على المشهد العام في البلاد وانعكست هذه الاصداء في العالم، حيث كان العالم يتابع اخبار العراق ولا سيما ابان سنوات التغيير الاولى، حيث شهدت تطورات امنية وارتباك شديد ينذر بكارثة كبرى، وازاء هذه المخاطر كانت هنالك شخصية تدير الامور وتثبت الصالح وتدفع بالضرار، تضع الامر في موضعه، لا تثار بفتنة ولا تستفز بكلمة، كأنها ترى الامور من منظار لم تنظر اليه الناس ابداً..

كل ذلك واكثر جعل من شخصية السيد السيستاني (دام ظله) محط اهتمام الشخصيات العالمية من رؤساء وعلماء وكتاب وباحثين وصحفيين، وشخصيات اخرى تمت اللقاء به والوصول بين يديه، مع انه لم يظهر في الشاشة في اي خطاب طيلة عقود من الزمن، منذ تصديه للمرجعية والافتاء والى يومنها هذا..

اخذت شخصية سماحة السيد أثرها في الاعلام والصحافة العالمية والعربية والمحلية، منذ بدايات تغيير نظام البعث، وزاد تسليط الضوء في ايام الاحداث الطائفية ولا سيما تلك التي شهدت حدوث مشاكل تتعلق بالهوية الدينية للمؤمنين، فانبرى لها سماحته واثبت حكمته وعمق نظرته ودقة رأيه، مما حدى بالشخصيات المعروفة والمشهورة ان تسجل مواقفها وانطباعاتها، وها نحن نذكر الذين تأثروا بمساهمات المرجعية الدينية العليا في وقف التطرف والعنف وبث روح التسامح والتعايش السلمي.

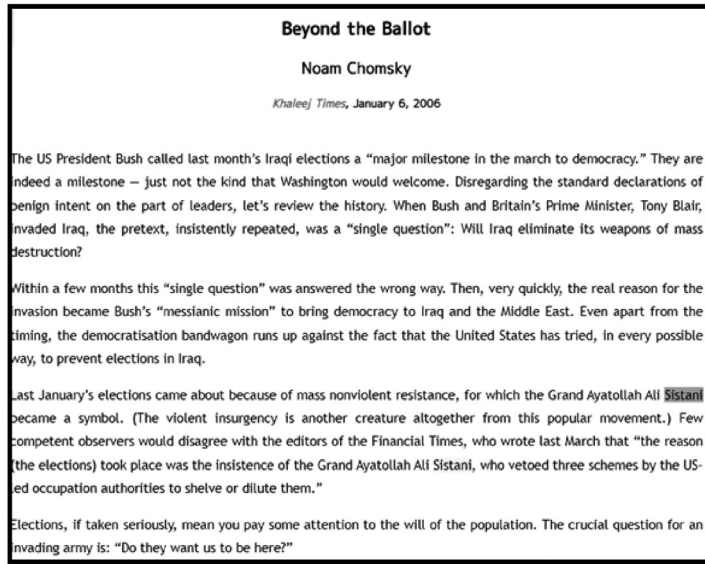
١- جمال خاشقجي: كان الصحفي السعودي الشهير جمال خاشقجي يرى أن السيد السيستاني (دام ظلّه) يستحق جائزة نوبل واكثر، بل يستحق جائزة خدمة الاسلام^(١)، لأنه يستحقها - بحسب تعبيره - بسبب: (سعيه الحثيث لمنع وقوع حرب أهلية بين الشيعة والسنة في العراق، بإلحاحه على اتباعه من العراقيين الشيعة باللجوء إلى الحكمة والصبر على آذى الغلاة المنسوين إلى السنة والسلف، الذين لم يخفوا يوماً نيتهم للزج بالعراق وأهله في أتون حرب أهلية طاحنة لا تبقي ولا تذر، ولا يخرج منها منتصر، ورفضه الحاسم الانتصار لهوى النفس والرغبة في الانتقام)^(٢).



٢- نعيم تشومسكي: تحدث في غير واحد من مقالاته عن سماحة السيد السيستاني ودوره المهم في العراق، نعيم تشومسكي أحد أشهر الكتاب والمنظرين والفلاسفة في العصر الحالي، تحدث في مقال له نشر ٦ / ١ / ٢٠٠٦م

١ - جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام هي فرعٌ من فروع جائزة الملك فيصل العالمية، وتُعدّ من أوائل فروع الجائزة إذ تم تأسيسها في سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م ومُنحت لأول مرة في عام ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م
٢ - جريدة الفد الاردنية: نشر المقال في موقع الجريدة بتاريخ ٢٠١١-٠٧-٢٥م، ونشر في عدد قديم.

، عن شخصية السيد السيستاني واثرها في خلق التوازن وقوة سيطرته ومجابهته للعنف والتطرف، ودوره في ضبط المسار السياسي للبلاد أبان الاحتلال الأمريكي ولا سيما في قضية الانتخابات وترجمة ما قاله تشومسكي: (كان نجاح انتخابات كانون الثاني الماضي تنويعاً مشرفاً لمقاومة "اللاعنف" والتي أصبح آية الله العظمى السيد علي السيستاني رمزاً لها)^(١).



اول مقال كتبه تشومسكي وذكر فيه السيد السيستاني كان في سنة ٢٠٠٤ -
واخر مقال كتبه وذكر فيه سماعته كان في سنة ٢٠٠٩ م ، ومجموع مقالاته التي
ذكر في منها السيد السيستاني بلغ (١٤) مقالة، وكلها منشورة في موقعه الرسمي .
صورة توثق عدد المقالات التي ورد ذكر السيد السيستاني في منها التقطتها
من موقع تشومسكي الرسمي .

١ - المقال منشور باللغة الانكليزية كاملاً في موقع الكاتب الرسمي
(<https://chomsky.info/20060106>).

CHOMSKY.INFO

RECENT UPDATES

BOOKS ARTICLES AUDIO AND VIDEO INTERVIEWS BIOS
TALKS DEBATES LETTERS ABOUT

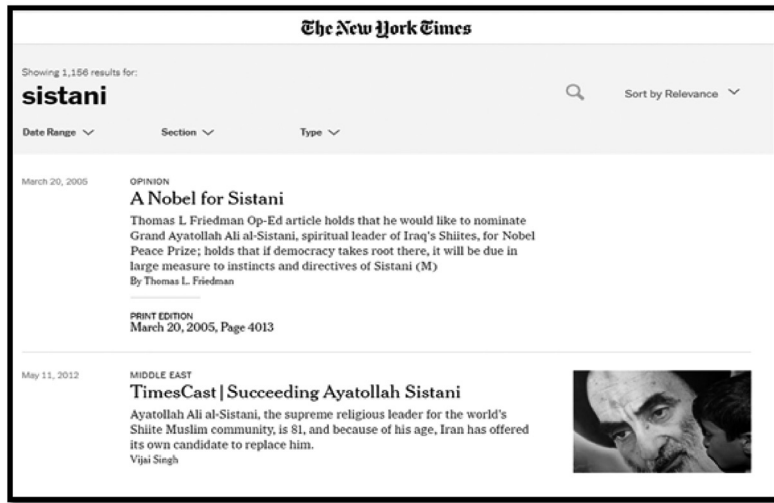
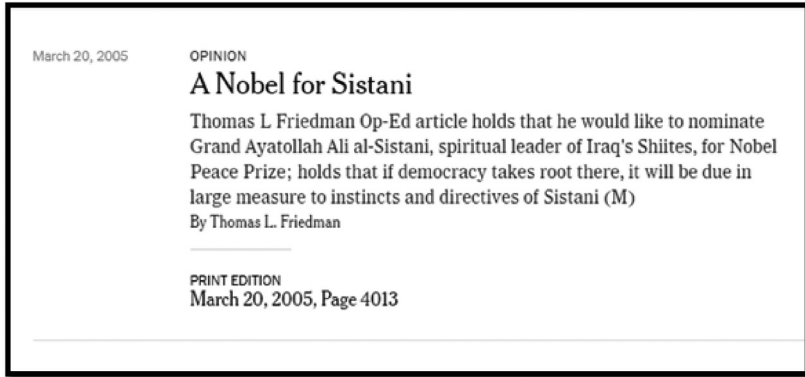
Your search for: "sistani" produced 14 matches.

- Elections 2008 & Obama's "Vision": What we can expect in 2009, given both parties are well to the right of the population. *Z Magazine* February 2009.
- The Election, Economy, War, and Peace. *ZNet* November 25, 2008.
- Iraq and US Foreign Policy. With Peshawa Abdulkhalq Muhammed, in *Kurdistan* Nwe December 25, 2006.
- A View from the West. With Torgeir Norling, in *Global Knowledge* (Norway) June, 2006.
- Beyond the Ballot. *Khaleej Times* January 6, 2006.
- On the Iraq Election. With Andy Clark, on *Radio Netherlands* December 18, 2005.
- Social Change Today. With Steven Duret, on *TowardFreedom.com* November 7, 2005.
- Fight the Power. With Ian Rappel, in *Socialist Review* (UK) July, 2005.
- State and Corp. With *ZNet Germany* May 18, 2005.
- On Globalization, Iraq, and Middle East Studies. With Danilo Mandic, in the *Princeton Progressive Review and Dollars & Sins* March 11, 2005.
- On the War in Iraq. With David McNeill, on *ZNet* January 31, 2005.
- The "War on Terrorism" and the New Rules of World Order. *Antigonish, Nova Scotia* October 13, 2004.
- Doctrines and Visions: Who Is to Run The World, and How? *University of Oxford* May 4, 2004.
- On Iraq, Israel, and the US Elections. With *Simon Mars* April 2, 2004.

٣. توماس فريد مان: الكاتب الشهير والرئيس السابق لصحيفة التايمز، هو أول من فكر في منح السيد السيستاني جائزة نوبل للسلام، سنة ٢٠٠٥م ، وقد كتب مقالاً عن ذلك بعنوان (نوبل للسيستاني) في أشهر صحيفة عالمية «نيويورك تايمز» (**The New York Times**) واهم ما جاء فيه:

كان السيد السيستاني قد أصر على أنه يجب إجراء انتخابات وطنية مباشرة في العراق، ورفض الاقتراح الأمريكي الأصيل الذي قدمته للتكتلات الإقليمية، وكان السيد السيستاني الذي أصر على عدم تأجيل الانتخابات في مواجهة التمرد البعثي^(١).

١ - يمكن مراجعة المقال عبر الموقع الرسمي للمجلة (www.nytimes.com).



تكرر السيد السيستاني في مقالات هذه المجلة (١١٥٦) وهذا الرقم الهائل في أشهر مجلة عالمية تعتمد على نشاطها وتحليلها العديد من الوكالات والمواقع الاخبارية ويهتم لها الملايين من الناس في انحاء العالم. أول مقالة كتبت ونشرت في هذه المجلة سنة ٢٠٠٤م، وتوالت بعدها المقالات في جوانب مختلفة ومتعددة.

٤. نشر موقع صحيفة ^(١) (The Telegraph) بتاريخ ٢٧ / أغسطس / ٢٠٠٤ ، مقالاً بعنوان (السيستاني هو مفتاح السلام في النجف). وجاء فيه: الزعيم الشيعي آية الله السيد علي السيستاني هو الرجل الوحيد القادر على حل أزمة النجف والعبور بها إلى بر الأمان.



المبحث الثالث: إرساء مبادئ التعايش السلمي من خلال خطب الجمعة

المطلب الأول: تأسيس المرجعية للفكر المعتدل المتسامح

أسس السيد علي السيستاني مبدأ التعايش السلمي واضفاء طابع الود بين المكونات منذ الأيام الأولى للتغير، حيث وجه لغرس هذا المفاهيم بمدونة النظام العراقي الجديد وكذا ان تكون روح الدستور مبنية على ذلك ، وقد كان سماحته شديد العناية بمسألة نبذ الطائفية وقد اعتنى بالانفتاح المذهبي وعدم اتخاذ المذهبية كشعار للتطرف وقد بين سماحته رؤيته بخصوص العلاقة بين مكونات الشعب العراقي لا سيما بين الطائفتين الكبيرتين فأجاب بدقة متناهية: (ان العلاقة الأخوية بين الشيعة والسنة في العراق لن تتأثر ببعض الحوادث المؤسفة التي وقعت مؤخراً، وقد سعى الكل في تطويقها واتخاذ ما يلزم لعدم تكررها، ومن المؤكد ان العراقيين جميعاً سنة وشيعة وغيرهم

١ - ديلي تلغراف هي صحيفة يومية محافظة تصدر في بريطانيا. صدر العدد الأول لها في ٢٩ يونيو ١٨٥٥، ومقرها في لندن.

حريصون على وحدة بلدهم والدفاع عن ثوابته الدينية والوطنية، كما أنهم متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقرّ مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية واحترام الرأي الآخر^(١).

وقد اظهرت حكمته العظيمة في موقفه من الفتنة الطائفية ، فقد كان المتصدي لهذه البادرة التي حاول بعض الذين مارسوا روح التفرقة وإثارة النعرة الطائفية ليتقاتل أبناء الشعب فيما بينهم ويتصدى العدو لتحقيق مآربه واطماعه^(٢)، ونجد أن المرجعية الدينية دائماً ما كانت تضع الاسس والمرتكزات لمنع حدوث أي مشاكل مستقبلية، حيث أن سماحته ساهم بصورة واخرى رفض المحاصصة الطائفية والقومية من خلال رفضه لتشكيل مجلس رئاسة يضم ثلاثة أعضاء يمثلون الشيعة العرب والسنة العرب والكرد، وأن هذا المجلس (يكرس الطائفية والعرقية في النظام المستقبلي للبلد)^(٣). والحق أن هذا النهج الاصيل متوارث، إذ أن استقامة المرجعية تاريخياً على الخط الفقهي والديني مرسوم من قبل الائمة عليه السلام فقهيّاً ودينياً وسياسياً^(٤). بالرغم من أن قسماً من المرجعيات الشيعية المقيمة في النجف وكربلاء تنتمي الى أصول قومية وعرقية غير عربية أو غير عراقية، لكنها بقيت في خطابها ومواقفها تسمو فوق اللغات والأعراق والانتهاكات القومية والقطرية^(٥).

ان انطلاق المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف للتأسيس للتعايش

- ١ - النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: الحاج حامد الخفاف ، دار المؤرخ العربي ط١، بيروت - لبنان، ص٢٦٨.
- ٢ - الامام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الاشرف: محمد صادق محمد باقر بحر العلوم، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٣٩.
- ٣ - السيد السيستاني ودوره السياسي في العراق: د. صلاح عبد الرزاق، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠١٩م، بيروت لبنان، ص٩٣.
- ٤ - الرقابة العامة للمرجعية الدينية في العراق الحديث: د. عباس جعفر الامامي، العارف للمطبوعات، ط١، بيروت - لبنان، ص٣٠.
- ٥ - المرجعية الدينية والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية: د. صلاح عبد الرزاق، منتدى المعارف، ط١، بيروت - لبنان، ص٩٣.

السلمي في العراق كان وفق المعطيات الواقعية وليس تنظيراً فحسب، فطالماً اكدت ان التنوع العرقي والديني والجغرافي في البلاد يدعو الى إيجاد نوع من العيش المشترك بين الطرفين، وكانت قد تنبّهت لهذه الحقيقة منذ بدايات المشهد السياسي الجديد، وكان ذلك على لسان ممثليها عبر منبر الجمعة في كربلاء المقدسة، ونورد نموذجاً لذلك التأصيل ما جاء في الخطبة الثانية لصلاة الجمعة لساحة السيد احمد الصافي ٢٤-١١-٢٠٠٦م: (نتحدث بنفس عراقي، اخوتي هناك ثلاث كيانات في الدولة هناك شيعة هناك اكراد هناك سنة قدر العراق ان يعيش الشيعة الى جنب السنة والسنة الى جنب الشيعة والاكراد الى جنبهم وهذا قدر صحي قدر غير نشاز هناك عشائر تلاحمات اسرية قوية جدا هناك تعايش مشترك بين هذه المكونات هذا التعايش المشترك لا بد ان يبقى ليس من المصلحة ان زيد يفرح اذا قتل عشرة من الطرف الاخر وعمر يتسم اذا قتلنا عشرين من الطرف الاخر وفلان يتسم اذا قتل هذه الحالة حالة تودي بالعراق الى الدمار)^(١).

سرعان ما انعكست هذه الإجراءات والخطابات المهمة حول التعايش والسلام في الصحف العالمية، وكانت للصحف العربية حصة منها، واذا كان قد تبني السيد المرجع الأعلى أطروحة التعايش السلمي منذ عشرات السنين فانه ما يزال على نفس المنهج وخير دليل ما حدث من زيارة بعثة الأمم المتحدة لمساحته في العام الماضي (٢٠٢٢م) وقد نشر اللقاء وكانت له أصداء في صحف ومواقع عربية كثيرة منها:

١ - خطبة الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، مركز العميد الدولي - العتبة العباسية المقدسة، م ٢، ج ٢، ص ٣١٣.

١- موقع صحيفة الجريدة / صحيفة سعودية



٢- موقع صحيفة القدس الخبر / صحيفة عربية تأسست في لندن



٣- موقع صحيفة النهار العربي / لبنان



٤- موقع وكالة الانباء الكويتية / الكويت





المطلب الثاني: مبادئ التعايش السلمي التي ارستها المرجعية الدينية

عمد السيد السيستاني الى ادخال مبدأ التعايش السلمي كقاعدة مهمة من اجل الوقوف بوجه التطرف وتعزيز مبدأ الامن الاجتماعي، حيث يحتفظ الانسان بمعتقداته وافكاره دون ان يتطرف في تفكيره المذهبي للاعتداء على الآخر المختلف عنه في المذهب او المعتقد بصورة عامة، واتخذت المرجعية طريق التعايش السلمي الذي يضمن للجميع العيش وفق المشترك الإنساني بعيداً عن شتى أنواع التمايز^(١).

أسس لذلك من خلال المنفذ الفكري والثقافي للمجتمع، خطب الجمعة التي يتناوب عليها سماحة السيد احمد الصافي وسماحة الشيخ عبد المهدي

١ - السيد علي الحسيني السيستاني، رجل المواقف الوطنية والإنسانية: حسن علي الجواد، نشر شعبة الدراسات قسم الشؤون الفكرية العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل، ط ١، رمضان ١٤٣٨ هـ حزيران ٢٠١٨ م، ص ٦١.

الكربلائي (دام عزهما) ولا شك ان الخطب اما ان تكون مكتوبة على صورة بيانات من مكتب المرجعية او ممضاة وتحمل رؤية المرجعية الدينية العليا ولا تحيد عنها ابداً، ولا سيما في موضوعات اجتماعية لها اثرها في النسيج المجتمعي، لان (منبر الجمعة وسيلة قوية للتواصل بين المرجعية وقواعدها الشعبية)^(١) وسنأخذ نماذج من تلك الخطب لنبين اهم المبادئ التي ارستها المرجعية في خطابها الأسبوعي لأكثر عقد ونصف من الزمن.

أولاً: أصالة التعايش السلمي: رسمت المرجعية معالم قاعدة التعايش السلمي واصلت لها من الناحية الدينية وبينت انها من الأصول القرآنية، حيث يدعو القرآن الى أصالة النوع الإنساني: لذلك الاسلام لم يهمل هذه المسألة ووضع منظومة التعايش الاجتماعي السليم بين اتباع الديانات المختلفة بما يحقق المصالح المشتركة ويدفع الضرر عن الجميع.

هذه المنظومة التي سنذكرها فيها القبول بالتنوع والاختلاف، يعني أي انا اقبل والآخرين يقبلون ايضاً امام الاجبار والقسر والاكراه للآخرين على ان يعتقدوا بمعتقددي ويؤمنوا بمعتقددي ويتبنوا معتقدي فلا يقود الا الى العنف والفتن والدمار للجميع ولا ينتفع احد..

الاسس المهمة التي تركز عليها هذه المنظومة:

الاول: وحدة الاصل الانساني:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

وهذه الآية الكريمة تعطي النظرة الصحيحة للإنسان تجاه الآخرين وان اختلفوا بعد الدين والمعتقد، فالكل مخلوق من نفس واحدة أي هنالك وحدة

١ - المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣م: راجي نصير، نشر مركز المعهد الدولي للبحوث والدراسات - ٢٠١٨م، ص ٨٨.

في الاصل الانساني والناس ابناء عائلة انسانية واحدة والله عز وجل هو الذي كرم الانسان دون تمييز وهذا الاختلاف والتنوع والتعدد في اللغات والالوان من آياته للعالمين.

الثاني: حفظ حرمة الدماء والاموال والاعراض:

هنالك الكثير من النصوص التي وضعت محددات بالنسبة للدماء والاموال والاعراض واحتاطت فيها كثيراً وذلك من اجل حفظ الامن والسلام وابعاد المجتمع عن الوان العنف والقتل والختطف والجريمة وهذا لا يقتصر على المسلمين فقط بل يشمل الاخرين ايضاً قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

الثالث: اقامة العدل والقسط في الحكم بين جميع الطوائف:

فلا يجوز ان يكون الموقف السلبي للشخص تجاه الآخر لأي سبب كان ولا سيما الاختلاف في الدين والعقيدة موجباً لسلب حقه والاحفاف في الحكم عليه بابطال حق او احقاق باطل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

الاساس الرابع: التعامل الاجتماعي الانساني واخلاقيات التعاطي مع الاخرين:

فنجد هنا حرص الاسلام على التعامل مع الاخرين على اساس المحبة

والاخوة الانسانية:

أ- الجدال بالتي هي احسن: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

ب- صلة الارحام فالإسلام يأمر بصلة الرحم ولو لم يكن مسلماً.

ج- مشايعة صاحب الطريق.

الاساس الخامس: الاعتراف والاقرار بوجود الآخر^(١).

يتضح من ذلك ان المرجعية الدينية العليا تنطلق في نهجها من روح الإسلام في إقرار مبدأ التعايش السلمي وإقرار مبدأ التواصل الإنساني المرحب به في اطار الاخوة والإنسانية والعيش المشترك وذلك (لرحابة صدر الإسلام واحتواؤه على مبادئ قوية للتعايش السلمي العالمي لجميع الشعوب مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والطائفية والايديولوجية والثقافية والعرقية)^(٢).

ثانياً: ترسيخ ثقافة التعايش وحب الوطن في المناهج الدراسية: فقد تطرق سماحة السيد الصافي في صلاة الجمعة الخطبة الثانية: ٦ ربيع الاول ١٤٣٤ هـ الموافق ١٨ كانون الثاني ٢٠١٣ م قائلاً: (التركيز على اشاعة ثقافة محبة الاوطان، التركيز على ثقافة التعايش السلمي، التركيز لا يمكن ان يكون بشكل جزئي مع حجم هذه التحديات، وانما ان توضع برامج واسعة ابتداءً بالمناهج الدراسية، ان يكون هناك تركيز حقيقي على مسألة محبة البلاد، على مسألة التعامل مع البلد فعلاً كأنه مظلة للجميع، فالمدرس حينما يدرس بالبصرة ويتحدث عن تاريخ مدينته لابد وان يذكر الرمادي، لابد ان يذكر الموصل، لابد ان يذكر ديالى، وعندما يتحدث في الانبار أمام مجموعة من الطلاب لابد ان يتحدث عن العمارة ويتحدث عن كربلاء وعن النجف، عززوا هذه الروح الوطنية في نفوسكم .. لابد ان يكون العراق يداً واحدة يضرب على كل من يحاول ان يفتت هذا الجو الذي نعيش فيه ويفتت هذه الوحدة التي نبحث عنها)^(٣)، وقد استمعت الى هذه الخطبة من خلال أرشيف

١ - جاء ذلك في الخطبة الثانية من صلاة الجمعة (١٨ ذي القعدة ١٤٣٨ هـ) الموافق لـ (١١ اب ٢٠١٧ م) التي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف بإمامة الشيخ الكربلائي.

٢ - مبادئ التعايش السلمي في الإسلام: د عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للاعلام العربي القاهرة ، مايو ١٩٩٦ م، ص ٢.

٣ - خطب الجمعة (توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٣ م): مركز العميد الدولي - العتبة العباسية المقدسة، م، ج ١، ص ٤٦.

خطب الجمعة المحفوظ في شبكة الكفيل، فوجدت ان سماحة السيد الصافي (دام عزه) يشدد ويصر على مسألة التعايش والثقيف الجاد لحب الوطن حتى انه امتدح اعلاناً في القناة الرسمية لأنه ثقف على محبة البلاد التي يراها تسمو بالإنسان وتوقف نزيف الدم وتقطع الخلاف.

ثالثاً: تفعيل منظومة التعايش الاجتماعي في إطار الدين الواحد: او منظومة التعايش الاجتماعي بين الاخوة في الدين وما تستبطن هذه العلاقة، قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وتستند على أسس ومرتكزات منها:

١: الولاية لله تعالى، كل المؤمنين يشتركون في الولاية لله تعالى.

٢: الحب لله تعالى، فالأساس في طبيعة الارتباط الاسمي والانقي والاقوى مع الله تعالى هو الحب لله تعالى ويتفرع عنه الحب للمؤمنين^(١).

وهذا من الأسس والمبادئ التي دعمتها النصوص في حال الاختلاف بين الناس في الدين الواحد، فالعروة الأولى هي الاخوة في الدين التي تستدعي احترام الأخ لأخيه وان اختلف معه في المذهب مع اتحاده في الايمان والاعتقاد بالإسلام، و(أن الأمور التي ورد التأكيد على رعايتها في التعامل مع المخالفين إنما هي من الأمور المستحقة لهم شرعاً، أي كما ثبت في الشريعة المقدسة أن المخالف - بصفته مسلماً - محقون الدم ومحترم البدن والمال، وأنه تجوز المناكحة والتوارث بينه وبين الموالي، ويجب إذا مات تجهيزه بتكفينه والصلاة عليه ودفنه، فلا غرو أن يثبت أيضاً استحباب عيادته إذا مرض واستحباب تشييع جنازته إذا مات واستحباب صلاته والحضور في مسجده ونحو ذلك مما ورد في الروايات المتقدمة.

ولعل التأكيد على رعاية الأمور المذكورة في حقه إنما هو من جهة ما يترتب عليها من تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين في المجتمعات

١ - الخطبة الثانية لصلاة الجمعة ١٢ ربيع الاول ١٤٣٩ هـ الموافق ١/١٢/٢٠١٧ م

الخليطة من أصحاب المذاهب المختلفة، والغرض من ذلك هو تحكيم أسس التعايش السلمي وتوفير العيش المشترك للجميع في أمن وسلام^(١)، وينطلق المسلمون من أصل يوحدهم يسمى بوحدة الشريعة (فالمسلمون عامة في مجال العبادة يقيمون شعائرهم الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد، فلا تجد مسلماً ينكر واحداً من تلك الأمور)^(٢) وانما الخلاف يحصل في جزئيات المسائل الشرعية.

رابعاً: تغليب المصلحة العامة على المصالح الخاصة: المتبوع لسير خطب الجمع يجد المرجعية الدينية العليا عبر منبر كربلاء تصدح بضرورة ان يتمتع المسؤول بتغليب المصالح العامة للبلاد على المصالح الخاصة، وهي ذاتها الرسالة للمكونات والأحزاب عامة ان تغلب مصلحة البلد بصورة عامة على مصالحها الفئوية والحزبية وان لا تكون الأرباح والمكاسب والمنافع الذاتية مدعاة لان ينهار البلد ويعيش الناس فيه حالة من الاضطراب والفوضى، لان بحضور المصلحة العامة ينعيش التعايش السلمي كمبدأ من المبادئ الأساسية في عراق ما بعد ٢٠٠٣م^(٣).

اذا امعنا النظر في أصناف التعايش السلمي مثل، التعايش بين أهل الملة الواحدة، والتعايش بين أهل الملل المختلفة، والتعايش بين الدول المختلفة سياسياً، والتعايش بين القوى الاجتماعية المختلفة^(٤)، نجد لها حاضرة في خطابات المرجعية الدينية منذ السنوات الأولى لتغيير الحكم في العراق والى يومنا هذا، حيث ما تزال البيانات والمواقف تتوالى في ترسيخ هذا المنهج الرصين، وهذا الاستنتاج من مواقف المرجعية الدينية انما هو من ايمانها

١ - بحوث في شرح مناسك الحج: تقرير أبحاث السيد محمد رضا السيستاني، بقلم امجد رياض ونزار يوسف، نسخة محدودة التداول، ٢٠١٧م، ج ١٨، ص ٥٣٢.

٢ - إضاءات في طريق الوحدة والتعايش: الشيخ جعفر السبحاني، نشر مؤسسة الامام الصادق (ع)، قم - ايران ط ٢، ١٤٣٧هـ، ص ١٨.

٣ - الخطبة الثانية لصلاة الجمعة ٢٨ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١-٨-٢٠٠٨م.

٤ - القواعد الكبرى في التعايش السلمي: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في عمان: ص ٨.

العميق بروح الشريعة المحمدية الاصيلة وديننا الحنيف انطلاقاً من (إن الإسلام لا يكنّ لغير المسلمين أية عداوة أو بغضاء ، بل يدعو إلى التعايش السلمي والتعاون معهم في الحياة)^(١).

خامساً: رعاية التعهد الاجتماعي بين الناس في الوطن الواحد، مما يستشف من مجمل خطابات المرجعية الدينية ولا سيما خطب الجمعة على مدار سنوات عدة، يلتمس المتابع ان التعهد الاجتماعي بين الناس يستلزم العيش بسلام، ويأمن الأخ أخيه والجار جاره، ويأمن اهل المنطقة فيما بينهم ويحذرون من الغرباء الى ان تصل الدائرة في التعهد الى الوطن الشامل هذا بحسب مبنى الواقع الاجتماعي، بل يُتلقى في الإسلام ان كل جماعة عاشوا معاً أو متجاورين، وأمن بعضهم بعضاً، فذلك يستبطن تعهداً فيما بينهم والتزاماً بعدم تعرض أحد الطرفين للآخر، ورعايته لحرماته، فان فعل كان غادراً، وعلى ذلك تكون مباغطة بعض أفراد المجتمع لبعض آخر بالاعتداء عليه او سرقة ماله او التجسس عليه خيانة للأمانة، من جهة التعايش السلمي بينهم، وتشمل حرمة الغدر الغدر بالخصوم والأعداء كما يشمل الاخلاء والأصدقاء^(٢).

سادساً: سبق المرجعية الدينية العليا في إشاعة منهج التعايش السلمي، يلتمس الباحث الجاد حقيقة سبق المرجعية الدينية في إشاعة مبدأ التعايش السلمي في العراق والمنطقة من خلال العودة الى خطب الجمعة منذ انطلاقتها ولا سيما في السنوات الأولى (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦) حيث القى فيها سماحة السيد الصافي وسماحة الشيخ الكربلائي مجموعة من الرؤى التي تخص وضع العراق الجديد وصبّ الاهتمام على موضوع التعايش السلمي ونبذ الخلاف والطائفية وما يثير طبقات ومكونات المجمع العراقي، واستمر الخطاب على هذا المنوال حتى سنوات ما بعد تحرير العراق من هجوم داعش الإرهابي

١ - شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، السيد حسن القبانجي، ج ٢، ص ٤٣٠.
٢ - اتجاه الدين في مناحي الحياة: السيد محمد باقر السيستاني، ط ٢، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ص ٢٢٥.

(٢٠١٦-٢٠١٧)، وقد عقدت سلسلة خطابات متواصلة طرحت على منبر الجمعة سنة (٢٠١٧) بعنوان (منظومة التعايش الاجتماعي).

سابعاً: الواقعية في التشخيص، يتمتع المرجع الأعلى بواقعية عالية جداً في التعامل مع الاحداث والمواقف، فليس هو بالمتسرع ولا بالصامت عن ضعف في الرؤية، انما صمته ونطقه على مستوى واحد من الوعي، فهو حيث يتحدث يعني ما يقول، وحين يصمت يعني صمته ويقصده تماماً، فالقصد في مواقفه واضح لمن تأمل في مسيرة هذا الانسان الكبير، وحين نراجع الخطب والبيانات لا سيما في موضوع التعايش السلمي نجد ان الواقعية التي تعامل بها المرجع الأعلى مع الاحداث التي مرت بها البلاد دفعته الى اختيار ما هو مناسب وبلا حظة جميع العوامل الداخلية والخارجية في قراءة الحدث واختيار الطريقة المثلى في إيصال الرسالة الارشادية والأخلاقية الواعية، وتتفرع تلك الواقعية عن الوعي العالي مما يستدعي ان يؤدي ادواره القريبة والبعيدة بنفسه وهو جزء طبيعة المرجع الأعلى كما يقول تلامذته والمقربين منه^(١).

لا ريب ان هذه مهمة جسيمة، وما اصعبها، لكن من يشعر بها؟ حصتنا منه النتائج الباهرة وحصته من الاتعاب الباهضة، وهنا نتمثل بيت تلميذه الراحل الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير:

فقل لأبي الرضا لا زلت حصناً * * * وريف الظل .. متضح الصراط^(٢).

١ - ينظر: معالم المرجعية الرشيدة: السيد منير الخباز، شبكة المنبر، ط١، ٢٠١٣م، ص٥٣.
٢ - المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف مسيرة ألف عام: د. الشيخ محمد حسين علي الصغير، العتبة الحسينية المقدسة. مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٦م، ص٣٠٩.

خاتمة

يرى كل مهتم في الشأن الثقافي والفكري ضرورة ان تدرس معطيات كل فترة زمنية وكل ظاهرة سواء كانت سلبية ام ايجابية لما تحمل من مؤثرات مهمة للغاية، وحين يعتكف الباحث على دراسة سيرة المرجع الأعلى وما ترك من انطباعات في الاعلام يتولد لديه همّة عالية لمواصلة هذا المشوار، وقد درست في هذا البحث الموجز واحدة من ملامح المنهج التصحيحي عند المرجع الأعلى والاضافات والاسهامات الثقافية والاجتماعية التي اضافها طيلة فترة تعاويه مع المتغيرات، وقد ركز البحث على اسهامه في لائحة التعايش السلمي، وكيف أسس لها من خلال مجموعة من التأصيلات الفكرية الرصينة ثم انبثقت عنها رؤية جادة مسكت بها المرجعية العليا المجتمع العراقي من الانهيار المقدر له، وأوقفت سلسلة الخراب الذي اريد للعراق ان ينزلق الى ومن ثم الى الهاوية، فوقف سماحته السد المنيع والعقل الحكيم، فقاد العراق واداره بحنكة وحكمة جعلت من اسمه محل اهتمام شخصيات علمية وعالمية وصار اسمه على لائحة المراكز وفي بطون الصحف والجرائد واشرطة الاخبار ، فاصبح صدى مواقف المرجعية محل اهتمام وعناية فائقة، فلا يصدر أي بيان الا وتسارعت اليه القنوات والصحف فشغل مساحة من الرأي العام، فتقدم الى الناس بمواقفه النبيلة قبل صوته وصورته، وهذا درس بليغ بحد ذاته..

اننا اليوم امام مدرسة من المواقف، ولا سيما موقف التعايش السلمي المؤصل له في خطاب الجمعة الأسبوعي، والذي جعل عدد من الشخصيات والباحثين عرب وغيرهم ان يطالبوا بجائزة نوبل للسلام وغيرها من الجوائز من اجل تسامحه ومواقفه الإنسانية المؤثرة، واثناء الدراسة لاحظنا دقة المرجعية الدينية في التأسيس للخطاب الواعي المتقدم الذي يقود المجتمع الى بر الأمان ما إذا روعي تطبيقه والاهتمام به.

ويستحسن هنا ان أسجل توصية واحدة لا غير:
ضرورة ان تُدرّس مواقف المرجعية العليا وكيفية تعاملها مع الاحداث وان
تؤسس مؤتمرات جادة لهذا الامر، ويتأمل في المواقف على الأصعدة السياسية
والثقافية والاجتماعية، وقراءة هذا النتاج من المواقف ضمن سياقه التاريخي
والثقافي، ومحاولة إيصال هذا الصوت الحكيم الى المؤسسات المعنية والمراكز
البحثية في مختلف دول العالم من اجل الاطلاع أكثر على المنهج الإنساني
والأخلاقي والفكري لسماحة المرجع الأعلى الذي يتسق ويتناسق مع الهوية
الفكرية العامة للإسلام.

المصادر والمراجع

- ١- اتجاه الدين في مناحي الحياة: السيد محمد باقر السيستاني، ط ٢، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ص ٢٢٥.
- ٢- الاسلام والعقل، محمد جواد مغنية، دار ومكتبة الهلال بيروت - لبنان ٢٠٠٠م.
- ٣- أصول التعايش السلمي: محمد ناصر العذاري ومحمد حسن الدربندي، مؤسسة نهج البلاغة ط ١، ٢٠١٧م.
- ٣- إضاءات في طريق الوحدة والتعايش: الشيخ جعفر السبحاني، نشر مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم - ايران ط ٢، ١٤٣٧هـ.
- ٤- الامام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الاشرف: محمد صادق محمد باقر بحر العلوم، دار المحجة البيضاء، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- ٦- بحوث في شرح مناسك الحج: تقرير أبحاث السيد محمد رضا السيستاني، بقلم امجد رياض ونزار يوسف، نسخة محدودة التداول، ٢٠١٧م.
- ٧- التعايش السلمي: د. عبد العزيز علي الجمالي، بحث منشور في مجلة الجامعة الوطنية العدد (١٥) ٢٠٢٠م.
- ٨- جريدة الغد الأردنية.
- ٩- حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي.
- ١٠- خطب الجمعة (توثيق وتحقيق لسنة ٢٠١٣م): مركز العميد الدولي - العتبة العباسية المقدسة.
- ١١- خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، مركز العميد الدولي - العتبة العباسية المقدسة.
- ١٢- دور أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم.
- ١٣- ديلي تلغراف هي صحيفة يومية محافظة تصدر في بريطانيا.
- ١٤- رسالة إلى الشعب العراقي، السيد محمد سعيد الحكيم.
- ١٥- الرقابة العامة للمرجعية الدينية في العراق الحديث: د. عباس جعفر الامامي، العارف للمطبوعات، ط ١، بيروت - لبنان.
- ١٦- السيد السيستاني ودوره السياسي في العراق: د. صلاح عبد الرزاق، دار المحجة البيضاء، ط ١، ٢٠١٩م، بيروت لبنان.
- ١٧- السيد علي الحسيني السيستاني، رجل المواقف الوطنية والإنسانية: حسن علي الجواد، نشر شعبة الدراسات قسم الشؤون الفكرية العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل، ط ١،

رمضان ١٤٣٨ هـ حزيران ٢٠١٨ م.

- ١٨- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، السيد حسن القبانجي.
 - ١٩- القواعد الكبرى في التعايش السلمي: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في عمان.
 - ٢٠- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام: د عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للإعلام العربي القاهرة، مايو ١٩٩٦ م.
 - ٢١- معالم المرجعية الرشيدة: السيد منير الخباز، شبكة المنير، ط١، ٢٠١٣ م
 - ٢٢- المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣ م: راجي نصير، نشر مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات - ٢٠١٨ م.
 - ٢٣- المرجعية الدينية والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية: د. صلاح عبد الرزاق، منتدى المعارف، ط١، بيروت - لبنان.
 - ٢٤- المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف مسيرة ألف عام: د. الشيخ محمد حسين علي الصغير، العتبة الحسينية المقدسة- مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٦ م.
 - ٢٥- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني.
 - ٢٦- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر. عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
 - ٢٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الفكر، ط٣، القاهرة ١٩٩٨ م.
 - ٢٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس).
 - ٢٩- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: الحاج حامد الخفاف، دار المؤرخ العربي ط١، بيروت - لبنان.
 - ٣٠- النظام التربوي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي.
 - ٣١- النظام السياسي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي.
 - ٣٢- نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٩٦٧ م.
- المواقع الالكترونية (وهي كثيرة جداً، نوجزها):
- ١- موقع مكتب السيد السيستاني (دام ظله).
 - ٢- موقع قناة العربية.
 - ٣- موقع صحيفة واشنطن بوست
 - ٤- موقع صحيفة تلي غراف
 - ٥- موقع د. نعوم تشومسكي

آثار خطب المرجعية العليا في تثبيت الهوية الوطنية

السيد الدكتور يوسف البيومي الرضوي / لبنان

المقدمة:

إن المجتمعات في جميع أصقاع الأرض وعلى مر التاريخ وقعت في صراعات فكرية وعقائدية ولم يتوقف الحال عند هذا الحد بل تخطاه بمراحل إلى أن وصلت للصراعات الدموية والمعارك الطاحنة التي لم يسلم منها أي مجتمع يوجد بين فئات شعبه اختلاف عرقي أو ديني، مذهبي أو طائفي الخ... من هذا المنطلق حاول الدين الإسلامي على ومنذ نواته الأولى في مجتمعه المكون حديثاً في يثرب (المدينة المنورة) والذي كان متعدد وينقسم إلى عدة مكونات، وكانت على الشكل التالي:

الاختلاف العرقي: الأبيض، والأسود.

الاختلاف الطبقي: الحر، والعبد.

الاختلاف الديني: المسلم، اليهودي، والمشرک.

الاختلاف القبائلي: الأوس، والخزرج وغيرها من القبائل المتحالفة مع كل من هاتين العشيرتين.

الاختلاف المناطقي: المهاجرون من أهل مكة، والأنصار من أهل يثرب.

وما قام به النبي الأعظم ﷺ من مجهود استثنائي وجبار لكي يحفظ السلم الاجتماعي بين كل هذه الاختلافات والتعدد الذي تكون منه المجتمع الاسلامي الأول.

وإن هذه القواعد التي أرساها الإسلام من خلال سيرته على مر التاريخ

من النواة الأولى التي أسسها النبي الأكرم ﷺ ومن بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والتوصيات الكثيرة التي وضعها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وإلى يومنا الحاضر في كافة المجتمعات الإسلامية التي تتميز بهذه التعددات والاختلافات على عدة أشكال وكما فصلنا أعلاه والتي تأخذ تارة الشكل الديني أو المذهبي أو الطائفي أو العرقي أو الأثني الخ...

ومن هذه المجتمعات الإسلامي، الذي يوجد فيه مثل هذه التعددات والاختلافات هو المجتمع العراقي، وبما أن للمرجعية الدينية العليا في العراق تأثير واضح وظاهر ولا يخفى على أحد، فقامت هذه المرجعية الدينية ومن موقعها المؤثر وعلى خطى آثار النبي وأهل بيته (عليهم صلوات الله أجمعين) قامت بوضع مبادئ وآليات لحفظ السلام في المجتمع العراقي لكي لا يقع في مأزق التناحر والتنافر والتصادم، ويتحول هذا الاختلاف إلى خلاف وينشأ عنه صراع دموي لربما يذهب ببلاد والعباد إلى مستقبل مجهول لا يعلم به إلا الله عز وجل.

وحيث أن المؤامرات التي حيكت على العراق كانت كثيرة وعديدة منذ عقود ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا. فإن المرجعية الدينية العليا قامت وتقوم بجهود جبارة لحفظ الواقع العراقي من خلال ارشاداتها وحكمتها لمنع وقوع الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد، وعملت جاهدة على ارساء قواعد ومبادئ وخطوط عريضة من أجل سلامة عُرى الوطن، والحفاظ على أراضيهِ من الغزوات الفكرية أو العسكرية على حد سواء..

فمن الجهة الفكرية فإن المؤسسات التابعة للمرجعية الدينية تعمل على أكثر من صعيد لدرء الخطر من عدة جهات فكرية، ومن هذه الهجمات الفكرية، على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

أولاً: الهجوم الفكري والاعلامي من الجهة العقائدية على المذهب الشيعي

الاثنى عشري بهدف التشويه.

ثانياً: ازكاء الروح التعصبية لدى الطوائف والديانات والعرقيات المختلفة ضمن المجتمع الواحد بهدف تمزيق الوطن إلى عدة مناطق.

أما من الجهة العسكرية، فكان الغزو البربري لداعش والذي طال عدة مناطق في العراق وأدى إلى شرذمة وتهجير الناس من أراضيها تحت ذرائع الاختلاف الديني أو المذهبي أو الطائفي والعرقي.

وهذا ما دفع بالمرجعية الدينية للتصدي لهذه الهجومات بشكل المناسب إن من الناحية الفكرية والعقائدية والثقافية، أو من خلال التصدي للهجوم العسكري من خلال فتوى الدفاع المقدس بهدف الحفاظ على سلامة البلاد والعباد في وجه الأفعال والأعمال الوحشية التي قامت بها داعش، والتي دفع الشعب العراقي الأثمان الغالية من أجل استرداد الأرض والعودة المهجرين إلى أراضيهم وبيوتهم آمنين وسالمين.

وبالتالي قامت إلى تأسيس ووضع المبادئ التي تحفظ التعايش الاجتماعي السلمي بين أبناء الوطن الواحد، لذلك فإن هذا البحث المتواضع الذي بين يدي القارئ الكريم موسوم بالعنوان التالي:

« آثار خطب المرجعية العليا في تثبيت الهوية الوطنية ».

وسينقسم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: الخطاب العقائدي والفكري للمرجعية الدينية العليا.

الفصل الثاني: الخطاب القيمي والنفسي وتثبيت الهوية الوطنية.

ومن ثم الخاتمة.

الفصل الأول: الخطاب العقائدي والفكري للمرجعية الدينية العليا:

إن الاجتماع هو ضرورة ملحة لأي إنسان بشري وهي الفطرة التي فطر الله خلقه عليها، من أجل التكامل والارتقاء بذاته، ومما يؤدي إلى ارتقاء المجتمع بأكمله، ومما لا يختلف فيه أحد أن النفس الإنسانية ذات ميل فطري إلى الاجتماع، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يستغني عن المجتمع بحال، فوجود الإنسان في الوسط الاجتماعي حاجة نفيسة، وخاصية ذاتية متأصلة في ذاته، وقد قيل: إن الاجتماع الإنساني ضروري. وعبر علماء الاجتماع عن ذلك بما معناه: «أن الإنسان مدني بالطبع» مما يعني أنه لا بد له من الاجتماع الذي يتكون منه النواة الأولى لأي مدينة حسب اصطلاحهم.

ويقول العلامة الطباطبائي: «كون النوع الإنساني نوعاً اجتماعياً لا يحتاج في إثباته إلى كثير بحث، فكل فرد من هذا النوع مفطور على ذلك، ولم يزل الإنسان يعيش في حال الاجتماع على ما يحكيه التأريخ والآثار المشهودة الحاكية لأقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها ويحكم على هذه الأرض»^(١).

وهذا ما عبرت عنه المرجعية الدينية من خلال خطبة الجمعة ومما جاء فيها: «إن كل فرد وكل مجتمع بحاجة ضرورية للتعايش مع الآخرين لأنه لا يمكن لكل فرد أو مجتمع أن ينهض بمقومات وجوده إلا من خلال التعايش الاجتماعي وفق مبادئ وأسس وقواعد تنظّم هذه العلاقات بحيث يستجاب منها الحاجة الفطرية وتتسق مع سيرة العقلاء، وفي نفس الوقت يستقر المجتمع ويسعد وتنظم أموره بعيداً عن تسلط الأنانية والغريزة الشخصية والمصالح الانانية الضيقة وغير ذلك من الأمور الانسانية التي تهدد سلامة العلاقات الاجتماعي وتهدد استقرار المجتمع»^(٢).

إلا أن هناك كثير من المجتمعات تحتوي على خليط واسع من البشر الذين قد يتفقون معهم باللون والدين واللغة وتارة أخرى «الإنسان يعيش مع

آخرين يختلفون معه في الرأي والدين واللغة وغير ذلك من الأمور ما هي المبادئ والأسس التي وضعها الإسلام التي تتفق مع الفطرة وسيرة العقلاء والحاجة الانسانية التي وضعها للتعايش الصحيح والسلمي مع الآخرين، لدينا مبادئ إن فهمناها واستطعنا تطبيقها أمكن أن نضمن علاقات صحيحة، ونضمن الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع»^(٣).

من هنا فإن المرجعية الدينية العليا وبما تمثل من امتداد للشريعة الإسلامية فقد بحثت في تلك القوانين والتشريعات ومن سيرة النبي الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار لتضع قواعد وتأسيسات يمكن أن تحفظ الفرد والمجتمع مع وجود الاختلاف والتعدد بحيث تكون نتيجة ذلك التعايش السلمي بين مكونات المجتمع المتعددة.

وانقسمت تلك المبادئ إلى قسمين سنتكلم في هذا القسم عن المبادئ والقواعد العقائدية والفكرية التي تحدثت عنها المرجعية الدينية.

المبدأ الأول: طبيعة النظرة العقائدية اتجاه الآخرين:

لقد سلطت المرجعية الدينية العليا الضوء من خلال خطابها على القواعد والاسس التي وضعها الاسلام لتحقيق الاستقرار والامن والازدهار في المجتمع، وذلك يعود إلى أن «وحدة الأصل الإنساني تعد أولى تلك الاسس المهمة، فالقران الكريم بين من خلال الكثير من آياته النظرة العقائدية الصحيحة التي يجب ان يتم تبنيها تجاه الآخرين من اتباع الديانات الاخرى، مستشهدا بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، موضحا ان الآية الكريمة تؤكد ان الجميع بما فيهم المسلم وغير المسلم يعود الى اب واحد واصل انساني واحد ومن عائلة انسانية واحدة»^(٤).

ويجب ملاحظة أمور مهمة، وهي أن بعض البشر قد مارسوا التمييز العنصري منذ العصور القديمة وإلى يومنا هذا تحت عناوين ومسميات مختلفة، ومنهم من أراد أن يجعل مسوغه لهذا التمييز هو بأصل الخلق حيث أن برأي هؤلاء أن الله عز وجل حين خلق البشر جعلهم على هذه الشاكلة لكي يجعل عرق في مصافي السيادة والعرق الآخر في مصافي العبودية وهذا ما جعل البعض يستند إلى في أسس التمييز العنصري ما بين الجبر والاختيار، ونقول:

لأبد من الالتفات إلى أنه لو كان المراد من «التمييز العنصري هو: أن يجعل العرق، أو اللون، أو الطبقة، أو نحوها أساساً للتمييز والتفاضل بين البشر، فبملاحظته يستحق هذا امتيازاً؛ فيعطى له، ولا يستحقه ذاك، فيحرم منه - إذا كان كذلك...»^(٥).

ويصبح الأمر واضحاً جلياً أن هذه أمر يأباه العقل، وترفضه الفطرة، ويدينه الوجدان، لأن الإنسان أغلى من كل شيء في الوجود، لأن كل شيء مخلوق من أجله ومسخر له، فلا يصح أن نضحى بإنسانية الإنسان وبكرامته من أجل أي شيء آخر مهما غلا فكيف إذا كان تافهاً وحقيراً، من قبيل اللون، والعرق، والجغرافيا، وما إلى ذلك ..

أضف إلى ذلك: أن اللون، أو العرق، ليسا من الأمور الاختيارية، التي تساهم إرادة الإنسان في صنعها، وإيجادها. كي تدفعه في حركته الدائبة نحو الحصول على خصائصه، وكمالاته الإنسانية، وباتجاه هدفه الاسمي، الذي وجد من أجله ..

كما أنهما لا يحلان للإنسان آية مشكلة، ولا دور لهما في تغلبه على

المصاعب والمتاعب، ولا في إزالة العوائق، التي تعترض طريق تقدمه، نحو هدفه المنشود ..

وكذلك فإنها لا يساهمان في سعادة الإنسان بالحياة، فلا يجعلانه يلتذ بها، ويأنس، أو يتعب من أجلها ويضحى، أو يأمل بها ويطمح .. وما إلى ذلك .. ومن هنا .. فمن البديهي أن يرفض الدين الإسلامي اعطاء مثل تلك الامتيازات، وتفضيل الناس، بعضهم على بعض على اساس العرق أو اللون، أو غير ذلك مما لا خيار فيه للإنسان، ولا هو خاضع لارادته.

ولكنه جعل التفاضل بين الناس في أمر يمكن أن يكون له دور رئيس في تكاملهم، وفي تحقيق سعادتهم، ويؤثر في حركتهم الدائبة نحو هدفهم الاسمي .. وهو في نفس الوقت أمر اختياري للإنسان، يمكنه، أن يحصل عليه، ويمكنه أن لا يحصل عليه .. ألا وهو التقوى، والأعمال الصالحة، والصفات الحميدة، والعلوم النافعة؛ وما يلي بعض الآيات التي تؤكد على ذلك نعرض بعضها للقارئ الكريم:

فقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٦).

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٨).

قال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٩).

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١٠).

وقال: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾^(١١).

إلى غير تلك الآيات العديدة، التي لا مجال لعددها وحصرها ..

ومما عن النبي الأعظم ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على

عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»^(١٢).
وبعدما تقدم من أن المنطلق للتفاضل، والحصول على الامتيازات
والاوسمة من شأنه:
أولاً: أن يقود الإنسان نحو الكمال.

ثانياً: يجعل التسابق باتجاه كل ما هو خير، وصالح، وفلاح: ﴿فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ﴾^(١٣).

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١٣).
﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(١٤).

فهذه هي الحركة الطبيعية المطلوبة والممدوحة، التي تنسجم مع فطرة
الإنسان السليمة والصافية، ومع الطموحات الإنسانية الواقعية، وأمانيه
الواسعة، وآماله الآتية..

ولا يخفى على اللبيب أن مثل هذه السياسات العنصرية والتي تتسم
بالتمييز لها جوانب سلبية قد تؤدي إلى أبشع أنواع الاضطهاد، ونقول:
سلبات ظاهرة التمييز العنصري أو الفئوي:

ويصبح من الواضح والجلي من وراء اتباع مثل هذه السياسات التي
يقاس بها البشر على أساس: الطبقة، والدم واللون، والعرق، واللغة، والبلد،
وو.. إلخ ..

ظهور السلبات التالية:

- أ - نزعات الكراهية بين الناس.
 - ب - سحق كراماتهم بلا مبرر معقول.
 - ج - تضييع حقوقهم الإنسانية، دون أي سبب أو مبرر.
 - د - معاملتهم بطريقة شاذة، لا يقرها عقل، ولا شرع، ولا ضمير.
- وبدلاً من أن يكون هناك جامع بين البشر يدفعهم إلى أن يتعاونوا على

الخير، وتسود فيما بينهم روح المحبة، والمودة والوئام، ويشد بعضهم أزر بعض في مجال التغلب على مصاعب الحياة، وتجنب شوائدها، ويكون كل منهم مكماً للآخر، ومن اسباب قوته، وعزه، وسعاده ..

ولكن البديل عن ذلك؛ أنهم يتحولون إلى أعداء متدابرين ومتنافرين، يعمل كل منهم على هدم الآخرين، واستغلال طاقاتهم، وامكاناتهم، والاستئثار بها، وتقويض سعادتهم، وتبديد قدراتهم. تسودهم روح الضغينة والحقد، بأسهم بينهم شديد، ومخيف.

ويصبح اللون، والعرق، واللغة، والطبقة وو .. إلخ الوسيلة المثلى في سبيل تجزئة البشرية وتمزيقها إلى أرب متناحرة، بدلاً من جمعهم وتوحيدهم، وذلك بالتركيز على الفوارق والمميزات التافهة، والعقيمة، وتجاهل موارد الاشتراك، والوفاق، وهي الجدر والاجدى، والاحق بالاهتمام والعناية، لأنها الأسمى، والأففع، والأصح، والأكثر أصالة، والأبعد أثراً في تكامل الإنسان وسموه، وتذليل كل العقبات، التي تعترض طريقه في حياته.

فمن الضروري أن «تكون النظرة العقائدية تجاه الآخر في انه انسان مماثل وان الاختلاف في اللون واللغات والجنس من آيات قدرة الله العظيمة، ومن غير الصحيح النظر الى الانسان الاسود او الانسان الاقل تطورا نظرة استعلاء او احتقار او ازدراء»^(١٦).

وبالتالي يكون من اللازم على جميع الأطياف المجتمع الواحد «الاعتراف والاقرار بوجود الآخر، ولا بد من التفريق بين شيئين؛ بين كون الآخر في عقيدته ودينه على حق صحيح او لا، وبين حقه في الوجود والعيش بسلام مع الآخرين، موضحة تارة يكون للآخر دين ومعتقد حق صحيح او لا هذا شيء، والشيء الآخر ان هذا الانسان الذي يخالفني في المعتقد والدين له الحق في ان يوجد ويعيش معي بسلام وفق قواعد ومبادئ العدالة»^(١٧).

المبدأ الثاني: طبيعة النظرة الفكرية اتجاه الآخر والحاجة إليه:

ومما سلطت المرجعية الدينية العليا الضوء عليه أن كل «مجتمع بشري لا يمكن أن يحقق مقومات عيشه وتطوره وديمومته إلا من خلال تلبية احتياجاته من الآخر، فهو لا يملك القدرة مهما عمل وكان له من الامكانيات البشرية والمادية أن يحقق أغراضه وأهدافه ومقومات حياته. فلا بد للإنسان من الاجتماع والتعايش مع الآخر ضمن قوانين تنظيم عملية التبادل المنفعي بصورة تحفظ حقوق الجميع ولا تجعل البعض يتجاوز على الآخرين سالباً منه حقه ومنافعه..»

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ، وَالنَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ».

إن شعور الإنسان بوجود حاجة ضرورية له للآخرين يجعله يحاول الاتساق معهم ضمن نظام اجتماعي صحيح يحفظ للجميع حقوقهم» (١٨). وبالتدقيق إلى ما أشارت إليه المرجعية فإنها أسست قاعدتها الفكرية لمخاطبة العقل بشكل منطقي مقبول وذلك استناداً إلى للقاعدة الفكرية التي وضعها الإمام الصادق (عليه السلام) في معاشرة الناس، فإن من الواضح والبدهي انه لا بد لكل إنسان لغيره من الناس «أي من مخالطتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ثم أكد ذلك- أي الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ) أي في حال حياته وبقائه في الدنيا .

(وَالنَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ) ومن ثمة قيل: الناس [مدنين] بالطبع يحتاج بعضهم إلى

بعض في التمدن والتعيش والبقاء، إذا لا يقدر أحد على إصلاح جميع ما يحتاج إليه من المأكل

والمشروب والملبوس والمسكن وغيرها وفيه دلالة على أفضلية الاجتماع والتآلف.

من رجح العزلة مطلقاً فقد أخطأ وما دلّ على رجحانها ينبغي حمله على الاعتزال من شرار الناس وأهل البدعة تحرزاً عن الدخول فيما هم فيه وصرح بعضهم بأن العزلة أفضل بشرط رجاء السلامة بتحصيل منافع الاختلاط... الخ»^(١٩).

وأفضل خطاب يمكن أن توجهه لأي كائن بشري هو أن تخاطب وجدانه وفكره وعقله، وتجعله يشعر بخطورة الانعزال وعدم الاختلاط والتوقع على ذات والمخاطرة الناجمة عن مثل هذه السلوكيات وأضرارها، ولأن الإنسان بطبعه محب لنفسه، يهمله جداً دفع كل بلاء محتمل عنها، وجلب كل نفع يقدر عليه لها وفي الاجتماع والجماعة الكثير الكثير مما يرغب فيه الراغبون، ويتطلع إليه المتطلعون، سواء بالنسبة لشخص الإنسان وذاته، أو بالنسبة لعلاقاته بالآخرين من بني جنسه، فيصبح من الضرورة بمكان في المحافظة على العلاقة مع الآخرين لما فيه من ملازمة للحفاظ على نفسه وذاته.

فإن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» لم يغفلوا عن الآثار السلبية للعزلة ولذلك «وضعوا لأتباعهم في العلاقات الاجتماعية سياسة الاختلاط والتعايش والانسجام مع بقية أركان المجتمع، وذلك لأنهم كانوا يدركون بأن أتباعهم بحاجة إلى الناس، وحيثئذ يكون التزام هذا الخيار وهو «العزلة» نقضاً لهذه السياسة وتضييعاً للهدف منها، حيث تحاصر الجماعة، ويضيّق عليها وتحرم من جميع الفوائد والخدمات العامة الدينية والاجتماعية والثقافية التي يحصل عليها الإنسان المسلم من خلال المجتمع الاسلامي والجماعة المسلمة [...] ولا يمكن لأي الجماعة أن تقوم بمسؤولياتها هذه إلا من خلال التعايش مع الآخرين والحضور في مجتمعاتهم حتى يمكنها القيام بهذا الدور الريادي المهم... الخ

ومن أجل هذه الأسباب وغيرها رفض أهل البيت عملياً هذا الخيار [أي العزلة والانعزال]»^(٢٠).

وبكلام آخر، فإن الإسلام الحنيف يدعو الإنسان إلى نبذ العزلة ويريد أن يخرج من حالة الانعزال والانفصال إلى حالة التواصل والتعاون والمشاركة، والفهم العميق لهذه العلاقة المشاركة مع الآخرين.

وانطلاقاً من هنا فإن للمتابع والمطلع على تشريعات الإسلام وأحكامه يجد بأن الدين الاسلامي يصوغ الفرد بطريقة تجعله صالحاً لأن يكون لبنة في بناء المجتمع الكبير، ولا بد لأجل تحقيق هذا الهدف من تحقيق حالة التناسق والانسجام مع سائر اللبنة التي لا بد لكل منها بحسب موقعها، وما يتطلبه الوضع الهندسي للبناء ككل من أن تتخلى هي وتفرض على مشاركتها أن تتخلى أيضاً عن كثير من المزايا الفردية التي لولا ذلك لثرت على طبيعتها. ويكون التعويض غير المباشر عن تلك الخصائص والمزايا الفردية هو اكتساب كل المزايا والاستفادة من كل القدرات والطاقات الجماعية، التي تنعكس قوة للفرد، و طاقة له، ولكن بطريقة أخرى، وبأسلوب آخر، وهذا ما يؤكد أن للعبادة التي لها دور رئيس في صياغة مزايا الفرد، لا بد أن توضع في القلب الجماعي، لتصوغ تلك المزايا في حالة من التوازن والانسجام، لتنشأ متخذة بصورة عفوية الشكل الهندسي المطلوب. وليس من الضروري، بل ليس من الحكمة أن تنشأ هذه المزايا بصورة مستقلة ومنفصلة، ثم يصار إلى عملية تقليص وتطعيم، وتهذيب وتشذيب قسرية لها، لأن ذلك لن يكون في منأى عن إحداث أضرار وندوب، وآثار تبقى وتظهر بصورة أو بأخرى. كان بالإمكان أن لا تكون وأن لا تراها القلوب والعيون. من هنا، فإن للاجتماع والاختلاط مع المكونات الأخرى ما يساعد على تلافي الأضرار التي قد يقع فيها الفرد منفصلاً أو جماعة منفصلة، ويصير لازماً على الأفراد والمكونات

من باب الحفاظ على أنفسهم ولكي لا تكثر أخطائهم أن يسعوا جادين إلى الاجتماع والتبادل مع غيرهم من المكونات وذلك من باب أولى للحفاظ على أنفسهم وذواتهم.

سلبات ظاهرة العزلة والانعزال بين الناس:

لقد حاولت الكثير من الاتجاهات الفكرية المادية إلى تسليط الاهتمام على الانا الفردية وجعل الانسان لا يهتم بأي شيء سوى بذاته وهذه الأفكار التي تحول البشر إلى وحوش ضارية، تربص ببعضها البعض، لا يريد الفرد الخير لمن هو يشاكلة أو يشابهه في الخليقة، وذلك يعود إلى أن محور اهتماماته هو نفسه فقط ولا غيرها..

وإن مثل هذه التيارات الفكرية لم تُطرح من الهباء بل للأهداف لا تخف على اللبيب، والعاقل الأريب، فمن أجل السيطرة على المجتمعات وأفرادها لا بد أن تفرق فيما بينها لكي تسود عليها، والمقولة المشهورة هي: «فرق تسد». ويمكن لأي سائل أن يتوجه بالاستفسار عن كيفية تأثير مثل هذه التيارات والنظريات الفكرية المادية بالمجتمعات وينتج عنها التفكك الاجتماعي؟!

ونجيب:

أولاً: لا يستطيع أن يعيش الإنسان خلاف أطباعه وفطرته، فهو بفطرته وطبعه مخلوق اجتماعي لا يمكن له أن يتكامل بشكل فردي، والتركيز على الأنا الهدف منها سلخه عن محيطه والتفكير في ذاته بغض النظر عن هم حوله.

ثانياً: إن الإنسان حين تبرز وتعاظم عنده الأنا يصبح شخصاً فاسداً لا يهتم بغيره ولا يفكر إلا بشخصه والمنافع التي يمكن له الاستفادة منها ولو على حسب الآخرين، وهذا ما يسبب بالتفكك المجتمعي حيث يتحول أفرادهم متنازعين ومتناحرين في سبيل تحقيق خير ذواتهم.

ثالثاً: حين تتعاظم نزعة الأنا في داخل أي إنسان فإنه لن يفكر في خير من

هم حوله، ولن يهتم بشؤونهم، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى تراجع المجتمعات لأن عماد التفكير بين أفرادها هو المصلحة الذاتية والشخصية، وستؤول الأمور إلى عدم تطورها، والسبب الرئيسي في ذلك هو التفكير المادي الذي عماده هو تعظيم الانا.

رابعاً: مع بروز حالة الأنا عند الأفراد ستزيد الانتهازية والاستغلال سيزيد، مما يجعل أفراد المجتمع الواحد كل واحد يعيش ضمن قوقعة خاصة فيه لا يتشارك مع الآخرين، وبالتالي فإن للظالمين والمتسلطين والمتحكمين أن يفرضوا ما يريدون على أفراد هذا المجتمع ولن يهب أحد للمعارضة أو الاعتراض لأنهم لا يهتمون بما يحصل للآخرين ما دام الخطر بعيد عنهم، وهذه أعظم المخاطر حيث أنه لا يعلم أن هذه الأحكام الجائرة ستؤثر عليه بشكل أو بآخر، ولكن الانا تجعل منه انسان غير مبالي وفرد غير منتج.

وبخلاف «المذاهب المادية تعمل على تأكيد خصوصية الفرد، وإثارة كوامن الأنانية، فتنتج عجباً وغروراً وجبروتاً إلخ.. فإن الإسلام يعمل على استبدال محورية الفرد والأنا؛ ويسقط هذه التفاريق عن أن تكون سبباً في التفريق، ويصوغها من جديد، لتصبح وسيلة وسبباً في الجمع والتوحيد، ويحوّل الخصوصيات الفردية إلى روافد للخير، وحوافز للنمو والتكامل في الشخصية الإنسانية الجامعة، بعد تركيتها وشحنها بالهدى والخير، وبالطاقات الكبيرة والمؤثرة، حتى تصبح في قبضة إرادة الإنسان، ولتكون الرصيد الذي يعتمد عليه، ويستفيد منه في سعيه وكدحه إلى الله - ليصبح - من ثم - تجسيدا للإنسان الإلهي الذي هو في أحسن تقويم، ويكون الله بالنسبة إليه هو المآل والنهاية، كما كان سبحانه هو المنطلق والبداية.

وبهذه المحورية الإلهية، والبديلة عن محورية الأنا، يصبح الإنسان جامعاً لكل معاني الخير والصدقية، والواقعية، التي تستشرف كل هذا الوجود،

وتهيمن عليه، من موقع الحكمة والمعرفة، والرعاية، والهدى والخير، والقوة .. وتتكون له من ثم - حياة جديدة، وهوية جديدة، ولون وطعم جديدين، وتنشأ لديه رغبات، ونزعات، وطموحات، وخصوصيات، ومزايا جديدة وفريدة أيضاً.

وبذلك فقط يُحَفَظُ هذا الإنسان من الضياع، إذ بدون ذلك سيضطر لو أنه فقد معالم شخصيته الفردية، وواجه الصراع مع نزعات وخصوصيات الآخرين الفردية المتناقضة والمتناحرة - نعم سيضطر - للانكفاء من جديد إلى أحضان الأنا، وإلى آفاق الفردية، ويصبح سجينها وضحيته، وما أشقاه من سجين، وما أغلاه من ضحية»^(٢١).

الفصل الثاني: الخطاب القيمي والنفسي وتثبيت الهوية الوطنية:

كما أن هناك منطلقات تستند إلى العقل والمنطق السليم والعقيدة الغراء، فإن هناك أسس ومنطلقات للتعايش مع الآخرين مبنية على قواعد واسس نفسية وأخلاقية تساهم في تعزيز العيش المشترك دون الوقوع في الخلافات والنزاعات على شتى أنواعها وأشكالها وأصنافها.

وهذا ما دعت إليه المرجعية الدينية من خلال مخاطبة المجتمعات بالنظر إلى المبادئ النفسية التي يتشارك فيها جميع البشر والأخلاق الانسانية التي تعتبر القاسم المشترك بينهم جميعاً.

المبدأ الأول: حب الآخرين:

لقد شددت المرجعية الدينية على أسس النفسية والأخلاقية في آن معاً، والتي تعتبر ضماناً للتعايش فيما بين أفراد المجتمع المتعدد في أشكاله وأصنافه وانتماءاته العرقية والدينية وركزت على أن «الدين الإسلامي وضع الأسس والمبادئ لأصول المعاشرة بين الناس بما يضمن حسن العلاقات فيما بينهم ويؤسس لمجتمع بعيد عن الأحقاد والتناحر والصراع، وقد وضع أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) الموازين الصحيحة للتعايش والتعامل مع الآخرين فيقول: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَاحْبَبْ لَغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبَحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبَحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلْ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ» (٢٢) «(٢٣).

وفيما سبق من خطاب المرجعية الدينية بما استشهدت به من وصية أمير المؤمنين لأبنه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) من أسس التعااطي مع الآخرين يوسع

دائرة الاستيعاب لهم بشكل كبير وهذه التوصيات تحتوي على الكثير من النقاط والمفاصل ولكن نسلط الضوء على ما يمكننا تقريب الصورة قدر المستطاع إلى القارئ الكريم في هذه العجالة، ومن تلك الأمور:

أولاً: لقد طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته بإصلاح المعاملة مع خلق الله، إذ طلب منه أن يكون كالميزان بينه وبين غيره، ووجه الاستعارة من لفظة «الميزان» المحافظة على العدل بين نفسه وبين الناس كما الميزان فكما يوزن الأشياء فيعرف تساويها وقيمها، كذلك يلزم على الإنسان أن يجعل ذاته كمحايد بين شخصين أحدهما نفسه، والآخرى غيره، فيعطى ككفتي الميزان بالتساوي.

ثانياً: المحبة للآخر ما يحبه المرء لنفسه، والكراهية للآخر ما يكرهه المرء لنفسه، ففي ذلك كمال فضيلة العدالة والتي بها يكتمل إيمان الإنسان.

ثالثاً: الابتعاد الظلم كما أن أي أحد يكره وقوع الظلم عليه، وبذلك يتبعد عن الوقوع في الظلم والانظلام.

رابعاً: الاحسان إلى الآخرين، فالمطلوب من الفرد هو الاحسان في العمل، وإحسانه في عمله يكون برفده بالمعاني الإنسانية والإيمانية، وإعطائه صفة الخلود والبقاء بربطه بالله سبحانه، فلربما قد يفعل الإنسان عملاً صالحاً لمعالجة مشكلة ما وملاءمتها بطريقة أو بأخرى، إلا أن كمال الإحسان في العمل له «خصوصية أخرى تزيد على مجرد الملاءمة، ومعالجة المشكلات، لتبلغ إلى حد إضافة صفة إلى الفعل جمالية أيضاً.

فمثلاً: المال الذي يبذل لشخص محتاج تارة يلاحظ به حال المحتاج، فيقال: قد وقع في محله، لأنه حل مشكلته، وقضى حاجته، فهو أمر صالح من هذه الجهة ..

وتارة تلاحظ فيه بالإضافة إلى ذلك الجهة الجمالية فيه، فإن كان المعطي قد أعطاه بهدف استبعاد المحتاج، أو شراء ولاءه، أو تمهيداً لشراء ضميره عند الحاجة، فهذا العطاء ليس فقط يفقد صفة الحسن، بل هو متصف بالقبح أيضاً .. وأما إن كان قد أعطاه إياه لشعوره الإنساني معه أو تحاجه، فإنه يكون حسناً، ويزيد حسنه إذا كان الإعطاء تقرباً إلى الله سبحانه.

وقس هذا على ثغرة في سقف المنزل، فإن البناء قد يسدها بحيث يمنع من تسرب ماء المطر، أو غيره منها، مما يريد التحرز منه .. ولكنه قد لا يهتم بجمالياتها وبمظهرها الخارجي، بل يقيها على حالة من البشاعة والقبح، وقد يهتم بالناحية الجمالية، ويضيف إلى ظاهرها أشكالاً هندسية رائعة، وأصباغاً زاهية، وجميلة»^(٢٤).

خامساً: استقباح المرء للناس ما يستقبحه لنفسه، والرضا منهم بما يرضى لنفسه، فحين يتعود المرء على استقباح بهذه الطريقة فإنه سوف ينزجر «عن جميع مناهي الله وهو من لوازم المروءة، ولذلك قال أحنف إذ سئل عن المروءة: هي أن تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك»^(٢٥).

وحينما يرضى لنفسه ما يرضاه للآخرين فإن في ذلك مانعاً ذاتياً للإنسان كي يساعدهم، ويحن عليهم، ويكرمهم، ويتبسط لهم، كما يرضى لنفسه تلك الأخلاق في تعاطي الغير معه.

وبعد التدقيق في بعض ما أشارت إليه تلك الوصايا فلا بد أن يستشعر الإنسان في قلبه محبة الآخرين مهما كان هو الآخر وهذا ما يجعلنا ننتقل إلى المبدأ التالي من مبادئ وأسس الاخلاقية والنفسية التي دعت لها المرجعية الدينية.

المبدأ الثاني: تحري قواعد العدل والانصاف:

فمن أجل الصور في التعايش هو تعاطي الانسان بالعدل اتجاه الآخرين في مجتمعه من خلال رعاية حقوق أفرادهم، وكف الأذى والإساءة عنهم، وسياستهم بكرم الأخلاق، وحسن الإدارة وحب الخير لهم، والعطف على بؤسائهم ومعوزيهم، ونحو ذلك من محققات العدل الاجتماعي.

ولأن طبيعة الحياة بظروفها وتفصيلها تدفع بالانسان والمجتمع لكي يكونا عرضة لأسباب «الصراع المختلفة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للتناحر والتحارب والصراع والعداءات والأحقاد، ولم يغفل الإسلام عن وضع قيود وكوابح للنفس الامارة بالسوء وتسويلات الشيطان عند حصول هذه الظروف بين الانسان وأخيه وبين المجتمعات، فجعل قواعد العدل والقسط والانصاف والعفو والتسامح منظمة لطبيعة التعامل مع الآخرين عند حصول هذا النمط من العلاقة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»^(٢٦). فالانسان الاخر اذا اختلف معك في الدين فانه لا يحق لك ان تتعامل معه بالقسر والاكراه والظلم بل لابد ان تعيش وتتعامل معه بالاحترام والانسانية»^(٢٧).

ويبدو من خلال هذا الخطاب الذي أشارت إليه المرجعية الدينية العليا ألا وهو مبدأ تحري العدل والانصاف اتجاه الآخرين، فإن في بعض المجتمعات تكون فيه أكثرية الشعب من لون واحد أو دين واحد أو عرقية واحدة، وباقي الأديان والألوان والعرقيات هم من الأقليات، وبطبيعة الحال أن الأكثرية سيكون له النصيب الأكبر في تولي السلطة وتصرف بزمام هذه الدولة، لأنهم يمثلون السواد الأعظم منها، ولكن المرجعية الدينية أشارت في خطابها وشددت على عدم الاغفال عن قواعد العدل التي نادى بها الإسلام والتي أوضحها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر الذي ولاه على مصر، وإن المقطع المؤخوذ من هذا العهد والذي تم الاستشهاد به في خطاب المرجعية الدينية يحمل في طياته الكثير من الاشارات المهمة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وسوف نأتي على أهم تلك الاشارات التي تظهر أهمية العدل والانصاف كمنظومة متبعة بين جميع أطراف المجتمع الواحد.

ونقول:

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم قد مرت بأشكال مختلفة ومتعددة وكثيراً ما كانت هذه العلاقة في تلك العصور على مر الأزمنة ما تتصف بالهيمنة، والقهر، والتسلط، والفرض. إلا أن التوجيهات التي أطلقت من على لسان رسول الله ﷺ وأهل البيت «عليهم السلام» جاءت لتقرر: أن هذه العلاقة هيجية، وغير منسجمة مع الأهداف الإلهية، والتي تريد إسعاد البشر في الدنيا والآخرة، ففرضت على المجتمعات الإسلامية مفهوماً آخر للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهذه العلاقة تمر في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تحسس القلب ومحبة الرعية:

والتي تتمثل في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ»، ويمكن أن نستنبط من هذه العبارات عدة اشارات، وهي على شكل الآتي:

أولاً: نفهم من كلمة «أشعر» أي أجعل الرحمة ملامسة لقلبك، والمطلوب أن يكون شديد الشعور وتلمس لأحوال الناس فتصبح الرحمة شعاراً للقلب وكما جاء أن الشعار هو «ما ولي الجسد من الثياب لأنه يمسّ الشعر الذي على البشرة»^(٢٨).

وما ولي الجسد من الثياب يقال له الدثار «ما يتدثر به الإنسان ملاصقاً لجسده وكان موالياً لجسده، وهو ما يلقيه عليه من كساء أو غيره فوق الشعار، وتدثر بالدفار: تلفّف به، فهو متدثر ومدثر بالإدغام»^(٢٩).

فالرحمة يجب أن تلامس القلب، وتلتصق به كما يلتصق الثوب الداخلي بشعر البدن. وهذا يدل على أن الرحمة يجب أن تكون واقعية، وليست مجرد حركات مصطنعة، وخاوية وليس وراءها أي مضمون إنساني واقعي.

ويؤيد ذلك ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال:

- ورع يحجزه عن معاصي الله،

- وحلم يملك به غضبه،

- وحسن الولاية على من يلي،

حتى يكون لهم كالوالد الرحيم»^(٣٠).

ثانياً: إن منشأ الرحمة هو انفعال نفسي ناتج عن معاينة ومشاهدة لبعض الحالات التي ظهرت على بعض الناس كالعجز، أو الضعف، أو القصور، أو الفقر، أو المرض، أو الشلل، أو نقص عضو يوجب نقصه حرجاً، أو غير ذلك..

ثالثاً: إن إيجاد الرحمة وادخالها إلى القلب، وجعلها ملتصقة به، وجعل هذا القلب يتحسسها على الدوام ليس بالمهمة السهلة، بل يحتاج منه إلى إيقاظ وجدانه، وصحوة في ضميره، وإلى بعث الحياة في الملكات النفسانية، وتجديد

نشاطها، واحيائها من جديد، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا بالابتعاد عن مسببات التي تؤدي إلى قسوة القلب، والعمل على ما يوجب الرقة في القلب.. وهناك جملة من الروايات التي عبرت عن الأمور التي تقسي القلب ويجب اجتنابها وعن الأمور التي توجب رقيقته والعمل بها، ونذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

وقال تعالى في وصفهم التي قست قلوبهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (٣١).

وجاء في الروايات الشريفة عن مسببات قسوة القلوب:

١ - عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، ثلاثة يقسّين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان» (٣٢).

٢ - وفي مناجاة موسى (عليه السلام): «وإن ترك ذكرى يقسّي القلوب» (٣٣).

٣ - عن ابن نباته، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (٣٤).

٤ - وعن المسيح (عليه السلام) - كما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) - ذكر: أن مما يقسي القلوب: إكثار الكلام (٣٥).

٥ - وفي مناجاة موسى (عليه السلام): يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد (٣٦).

٦ - وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «أَنْهَأَكُمْ مِنْ أَنْ تَطْرَحُوا التُّرَابَ عَلَى ذَوِي أَرْحَامِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْقَسْوَةَ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ قَسَا قَلْبُهُ بَعْدَ مَنْ رَبِّهِ» (٣٧).

٧ - وعن النبي ﷺ: «من أكل اللحم أربعين صباحاً قسا قلبه» (٣٨).

وفي قوله تعالى عن الذين اطمأنت قلوبهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٣٩).

وجاء في الروايات الشريفة عن الأمور التي توجب لين القلوب:

١ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «لَمَّا نَزَلَتْ لَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ .. فَلَمَّةُ الْمَلِكِ: الرِّقَّةُ وَالْفَهْمُ .. وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ: السَّهْوُ وَالْقَسْوَةُ»^(٤٠).

وجاء في بحار الأنوار بيان: «اللمة: الهمة والخطرة، تقع في القلب.

الرقعة والفهم: هما ثمرة اللمة، أو علامتها»^(٤١).

٢ - وفي الحديث: «من أراد أن يرق قلبه، فليدمن أكل البلس، وهو التين»^(٤٢).

٣ - عن الإمام الرضا عليه السلام: «عليكم بالعدس، فإنه مبارك مقدس، يرق القلب، ويكثر الدمعة»^(٤٣).

ولا يتسع المجال في بحثنا هذا لكي نستقصي في هذا المجال، ولكن أصبح واضحاً: أن هناك أمور تساعد على ترقيق القلب، وتبعده عن القسوة واسبابها، يستطيع الإنسان الاستفادة منها بشكل أو بآخر.

المرحلة الثانية: المحبة للرعية:

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك المعنى بقوله: «وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ»، إن الرحمة التي تعتبر المرحلة التي تؤسس للمرحلة الثانية، وهي: «أن يشعر قلبه المحبة للرعية، فإن الرحمة التي هي انفعال نفساني، ورقّة لحال الضعيف، والعاجز والمحتاج، من شأنها أن تحدث أنساً في نفسه، وألفة، وراحة، فيندمج في أجوائه، وهذه هي مبادئ الحب الذي أمر عليه السلام مالكا بأن يشعره قلبه، ويجعله يلامسه. فإذا قدّم له العون، ورفع عنه ثقل المعاناة، فاعلمه إن كان جاهلاً، ويعالجه إن كان مريضاً، ويخرجه من ورطته، إن كان متورطاً، ويسد حاجته، إن كان محتاجاً .. إلى آخر ما هنالك من حالات ضعف، أو نقص أو عجز وسواها»^(٤٤).

ومن خلال ذلك يتجلى معنى الحب لهؤلاء الناس وتلك الرعاية، ويبدأ بالتبلور شيئاً فشيئاً بالعمل والتطبيق الميداني، على شكل اعانات، وتدابير، وإيصال ما يحبه الناس إليهم برفق ولين..

فإشعار القلب بحبة الرعاية، وجعل هذا الحب ملتصقاً به، وجعل القلب يستشعر اللطف بهم، كل ذلك مرهون بوسائله التي يملك المتولي على البلاد والعباد في أكثرها، لأنها تحت يده، ويمكنه تحريكها في أي جهة يشاءها.

المرحلة الثالثة: المجال التطبيقي:

والمرحلة الثالثة تكون بالانتقال إلى المجال التطبيقي، فيتلطف بالناس، وليس المقصود به المجاملة، أو الرفق بهم، بل من الواضح أن القصد هو: إيصال المنفعة إليهم من دون أي ضرر أو أذى لهم، وبذلك ينشأ في قلبه شعور يدعوه إلى التلطف بهم بصورة طبيعية، واندفاع بعفوية وتلقائية.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

وهذه العبارة تدعو الحاكم «لأن يهيئ نفسه لسياسة الرفق واللطف بالرعية، والمحبة لها، نهاء عن أن يكون سبعا ضارياً على الرعية، يغتنم أكلهم. وهذه أيضاً دعوة منه (عليه السلام) لعامله إلى تطهير نفسه من النوازع السيئة التي ربما يكون لها تغلغات غير مرئية في داخل نفسه»^(٤٥).

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الإسلام يحترم خصوصيات الآخرين حتى ولو كان الفاعلون من أبناء جلدته وينتمون إلى نفس ديانتهم، ولكن أفعالهم مناقضة لتعاليم الإسلام الحقيقية، التي ينبذها ويرفضها، ولا يقبلها بأي شكل من الأشكال، وتحت أي ذريعة مدعاة.

فحقوق الناس على وجهين:

أ: ما يثبت للإنسان بمجرد تشبثه بالحياة، وبملاحظة خصوصية الخلق والتكوين.

ب: ما يثبت له بسبب ميزة حصل عليها بجهده، وباختياره، فلا يجوز حرمانه منها، أو تضييعها، لأن عمل الإنسان الاختياري محترم، ومحفوظ له، وقد قال تعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ (٤٦). وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤٧). وإضافة إلى ذلك فإن هذه العبارة تحتوي على اشارات مهمة، نذكر منها ما يلي:
أولاً: إن النظر إلى الآخرين على أنهم أخوة فهذا يتطلب المساواة حيث يتساوي أي فرد مع أخيه الذي يشاركه في نفس المجتمع، وهذا يتطلب من الجميع تأدية فروض الأخوة الواجبة لأخوانه من حيث الواجبات والحقوق.
ثانياً: إن الأخوة فيما بين أفراد المجتمع تؤدي إلى ثلاثة أمور:

١ - الرفق فيما بين الناس.

٢ - التماس المحبة بينهم.

٣ - التلطف بين أفراد المجتمع بالاحسان فيما بينهم.

ثالثاً: إن المبدئ الذي يجب مراعاته أن البش كلهم يشتركون من حيث الخلقة بعناصر مشتركة لا يمكن نفيها عن أي أحد منهم وهذا يقتضي أن تكون علاقة الرعاية والمشاركة، من ناحية المشاركة ناشئة عن التشابه في الخلقة البشرية، وإن دواعي تزايد بحسب مستويات التشارك في المعاني المشار إليها، كما هو الحال بين الإخوة التي تقتضي التشارك في أكثر مجالات الحياة، فسيكون نصيب كل الناس ان كانوا أخوة في الدين أو نظراء في الخلقة من الرفق والمحبة، واللطف بالاحسان أعظم وأجزل، وأفخم وأفضل.

رابعاً: أن أتباع الديانات الأخرى، بل كل من لا يدين بدين الإسلام، لهم

الحق بالحياة الكريمة في كنف الدولة التي يكون معظمها من أتباع الإسلام، فلهم حقوق على الحاكم، ليس له أن يبخسهم إياها، ولا يجوز لأحد أن يُكرههم على التخلي عن أديانهم لصالح الدين الإسلامي، فقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٤٨).

ويجب ايضاح حرية الديانة بغير الإسلام لأن هناك من يدعي «أن دين الإسلام لا يعترف بحق الحياة في المجتمع الإسلامي لغير المسلمين، وأن من لم يسلم يقتل .. ما هو إلا باطل، من مغرض أو من جاهل .. وقد أصبحت هذه المزاعم من مفردات الإعلام الخبيث والمسموم، الهادف إلى تنفير الناس من الإسلام والمسلمين.

ولعل ما نشاهده في بلاد غير المسلمين من التمييز العنصري بذريعة اللون، أو العرق، أو غيره، يشهد على أن مزاعمهم عن الإسلام، وممارساتهم العنصرية قد جاءت على قاعدة: «رمتني بدائها وانسلت».

وعلى قاعدة: اكذب، اكذب حتى يصدقك الناس .. ثم اكذب، اكذب حتى تصدق نفسك»^(٤٩).

المبدأ الثالث: تطهير النفس من النظرة الاستعلائية والازدراء للآخرين:

إن الاستعلاء والازدراء لهو من الأخلاق المذمومة حيث أن «بعض الأفراد والمجتمعات ترى نفسها أعلى مرتبة ورقياً وتنظر لغيرها بازدراء واحتقار واستعلاء، ويتبع ذلك لما تراه - بحسب نظرها - تفوق وتتميز على الآخرين ولكن ليس وفق المعايير الصحيحة للتمييز كنظرة تفوق في الجنس والقومية والديانة والمعتقد والقبلية أو القوة أو التقنيات ونحو ذلك، مما يؤسس لنمط علاقات تشير التناحر والأزمات والصراع وتولد مشاعر الكراهية والبغض وعدم قبول الآخر للتعايش معه»^(٥٠).

وكما قال أهل اللغة عن كلمة «العلو: العظمة والتجبر»^(٥١).

انطلاقاً من هنا نستطيع أن ندرك الفرق بين العلو وبين الاستعلاء، فإن الاستعلاء هو طلب العلو، ممن هو في موقع الضعة، وبكلام آخر هو أن يضع الإنسان نفسه في موقع لا يستحقه، لا في علمه ووعيه، ولا في ذهنيته وعقليته، ولا في سياساته ولا في علاقاته، ولا يملك أياً من مقوماته، ولا يستطيع تلبية ما يذنيه لنفسه فيه من قدرة على التصرف، فيتوثب له بغير حق، ويتكلف للوصول إليه بكل حيلة ووسيلة.

وللمستعلي وجهان:

الأول: أنه يعلم بقصوره وبهذه الصورة فإن الوضع أشقى حالاً لأنه إذا اصطدم بواقع الحال فلربما يتراجع عن استعلائه.

الثاني: أن يكون جاهلاً مركباً وهو الجاهل الذي يظن نفسه عالماً مع جهله بواقع الحال ولا يعرف أنه قاصر، في إمكاناته وقدراته، وكل ما يحتاج إليه. وهذا هو الوجه الأصعب، والأقسى، لأن صاحب هذه الحالة معاند ولا يرضخ لدليل ولا للأخلاق.

والمستعلي في نظره لنفسه فإن المعايير والمبادئ ليست ذات قيمة حقيقية، فهو لا يرى للقيم ولا للأخلاق أثراً في حياة البشر، ولا يعيرها أي اهتمام، بل قد يسخر من أهلها، ويضحك عليهم.

وأصحاب هذه النظرية «يرون أن القيمة هي للقوة الغاشمة، وللمقادير والتكدسات المالية، وللمكر والحيلة، والظلم والفجور، والتعدي والتمرد على الله، والاستكبار والتكبر، والتجبر والطغيان، واستبعاد الناس وإذلالهم، وكل ما يدخل في هذا السياق. ويرون أن العلو والسمو، والنجح والفوز يكون بهذه الصفات، وليس بالقيم والأخلاق والدين، وطاعة الله، والتواضع، وخدمة الفقراء، ونصرة المظلومين .. وما إلى ذلك.

ليس هذا من موارد الجهل المركب، لأن الجهل المركب إنما هو فيما ظن

أنه عارف بالواقع والحق، مع أنه جاهل به، فمن ظن أنه يحوي الصفات الإنسانية والأخلاقية الحميدة، وهو فاقد لها. ويظن أنه مطيع لله، وهو عاص له .. فهو جاهل مركب.

وليس من قسم الجاهل المركب من يرى أن الطاعة لله، والالتزام بالأخلاق والدين و.. و.. سفه وسقوط، لأن هذه الأمور لا قيمة لها بنظره، ولا يريد أن يكون لها أي دور في حياته، ولا في حياة غيره.

نعم .. إن هذا لا يقال له جاهل مركب .. بل هو عالٍ على الله، مبارز له، معترض عليه من منطلق مفاهيمه التي يقيس بها شخصيته، ويحدد بها قيمة أعماله وممارساته .. التي هي نتيجة هذا الفكر، وهذا الفهم للأمور، ويرى أنه واجد للصفات التي تحولته قتل وظلم الناس، وارتكاب سائر الجرائم^(٥٢).

أما الازدراء فهو «افتعال من زرى عليه إذا عاب عليه فعله، وزرى عليه زريا: من باب رمى، وزراية بالكسر: عابه واستهزأ به»^(٥٣).

والازدراء هو مظهر من مظاهر الذل والمهانة، ودليلاً على ضعف الطرف الآخر وانكساره، ومما يؤدي بالمزدرى به إلى التبعية والوهن، والنظر إليه بعين الاستحقار، والاستضعاف.

ومن موجبات غرور المزدرى، وتعاليه، وشموخه بأنفه، ونظره في عطفه، وتبرئته نفسه من أعظم الجرائم وأفظعها.

بينما الإسلام المحمدي الأصيل قد دعى إلى خلاف تلك الأخلاق المذمومة بل وأكد على حسن الخلق ففيه اعتدال المزاج واستواء أجزائه، وهذا ما يعطي صورة من الصفاء والخلوص النية تجاه الله وعباده فلا يقدم على ارتكاب الأعمال الدنيئة التي فيها استعلاء وازدراء لخلق الله وعباده.

وحين يكون الإنسان على درجة من الخلوص والصفاء، فيه ما فيه من الخصال الحميدة، والمزايا الفريدة، وقد استفاد من التربية الصالحة، وحصل

على أفضل المزايا الأخلاقية والإنسانية، وكان على درجة عالية من التعقل والوعي، والمعرفة بالله، وبشرائعه وأحكامه، مع سلامة في الفطرة، وتوازن في المزايا، ومع قوة في الإرادة، فإنه سوف يختار - على ارجح - الخير والهدى، ولا يقدم على أي قبيح.

بل هو سوف ينفر من ذلك، ويتأذى منه، مع أن له تمام الاختيار والحرية، والقدرة على أن يفعل أو لا يفعل. ولكنه حيث يراه منافياً للإنسانية، وموجباً للنقص والتلاشي لكمالاته وخصائص شخصيته؛ فإنه لا يقدم على ارتكاب ذلك الأمر القبيح مهما كانت الظروف، وأياً كانت الأحوال.

وهذا ما مدحه الأئمة الأطهار من حسن الخلق فعن الإمام الصادق عليه السلام: «عليكم بتقوى الله، والورع والاجتهاد، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زينا ولا تكونوا شينا علينا»^(٥٤).

فإن هذه الدعوة للناس إلى طريق الأمثل حتى يتخلقوا بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق، فإن الآخرين إذا لاحظوا تلك السيرة الحسنة والهدى جميل نازعتهم أنفسهم إلى التمثل بهذه الأفعال وبالأخلاق السامية.

وإن تطهير النفس لا يأتي إلا بمجاهدة كبيرة للنفس، واعتياد التواضع للآخرين، والنظر إليهم بعين المساواة، وأن يبتعد المرء عن الفوقية والمكابرة فكل تلك الأعمال تؤدي إلى النزاع والتنازع بين أفراد المجتمع الواحد، وتذهب بهم إلى الحضيض.

الخلاصة:

إن المرجعية الدينية العليا لما لها موقع مهم في وجدان الأمة، فإن الدور الذي تقوم به في ارشاد الناس والسعي إلى الوصول إلى خيرهم وما فيه ارتقاؤهم، والابتعاد عن التناحر والتباغض، والاختلاف على أمور سخيفة ليس لها أي قيمة في المعايير الالهية والساوية.

إضافة إلى أن البشر أنفسهم هم من خلقوا وأسسوا لتلك الخلافات فيما بينهم، إلا أن الله عز وجل قد جعلهم ساوسية كأسنان المشط، لا أفضلية لواحد على آخر إلى بالتقوى.

وهذه الاختلافات التي أنشأها البعض ما هي إلا من أفعال الشر التي يمجتها الله، ولا يريد لها لعباده، وليست هي المقاييس التي ينظر بها اتجاه الناس والعباد. إنما المعايير الالهية ما هي إلا أفضلها وأحسنها وأقومها وأرشدتها لما فيها من القيم الانسانية العالية التي أمر بها الله تعالى ورسوله وأهل بيته «صلوات الله عليهم أجمعين».

وبما أن المرجعية الدينية العليا قد انبثقت من هذا الدين الحنيف وتعمل به وتحاول أن تنقل للناس جميعاً خير هذا الدين وجمال ما أتى به لخير البشرية جمعاء وضعت على كاهلها نشر تلك المبادئ والأسس من أجل القيام والارتفاع بهم من الافعال المشينة والخلافات الدنيئة، لتبني مجتمعاً راقياً يتجمل بالأخلاق الرفيعة السامية، التي لا يوجد فيها لا شحناء ولا بغضاء. فإن تلك الأسس والمبادئ التي دعت إليها المرجعية الدينية العليا تؤدي إلى «تعايش اجتماعي مبني على قبول الآخر والاعتراف بوجوده ضمن مبادئ اعطاء الحقوق واداء الواجبات ليضمن للعراق من خلال تطبيق هذه المبادئ والاسس التي وضعها الاسلام الوصول الى حالة الامن والاستقرار والتطور والازدهار وتحقيق الامن الاجتماعي»^(٥٥).

وهذه الزبدة المستقاة من تلك المبادئ والارشادات ممكن أن تبني الأوطان والمجتمعات بعيداً عن الاضغان والأحقاد التي يثبها أهل الحقد والشر في المجتمعات بهدف أن يسيطروا عليها وبهدف السيادة والتحكم بمصير شعوبها، فإنهم ما يفعلونه من دعم طرف على طرف آخر وتأليب الناس بعضهم على بعض فقط للوصول إلى مصالحهم الخاصة.

وهذا ما تنبته له المرجعية الدينية العليا انطلاقاً من موقعها المؤثر لكي تحذر الناس من الوقوع في اتون الخلافات والنزاعات عارضة لهم المبادئ المثلى للتعايش الاجتماعي السلمي الذي فيه خلاصهم، ونجاتهم مما تخطط له النفوس الخاقدة وأصحاب المصالح.

فإن كانت نظرة المجتمعات مبنية «على هذه المبادئ العامة وإن حفظناها وفهمناها ونحاول تطبيقها في مجال العلاقات الاجتماعية مع الآخرين امكن أن ينتظم أمر المجتمع ويزدهر ويستقر وتنشأ منه السعادة والاستقرار»^(٥٦). وأخيراً، فإننا نسأل الباري عز وجل أن يمن على مجتمعاتنا بالسعادة والاستقرار بما أراد الله لنا من مهمة في هذه المعمورة وهي أن نعمل هذه الأرض، وأن نكون فيها خلفاء عاملين بالاصلاح والاحسان لنصل للغاية المتوخاة من الخلق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على عباده المصطفين محمد وآله الطاهرين.

الهوامش:

- ١- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٤ ص ٩٢، تحقيق ومنشورات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم المشرفة، إيران.
- ٢- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩ / ٥ / ٢٠١٧ م.
- ٣- المصدر السابق.
- ٤- الخطبة الثانية لصلاة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١ / ٨ / ٢٠١٧ م.
- ٥- سلمان في مواجهة التحدي «دراسة وتحليل»، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٥٣، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.
- ٦- الآية ١٣ من سورة الحجرات.
- ٧- الآية ٩ من سورة الزمر.
- ٨- الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.
- ٩- الآية ٢٦ من سورة إبراهيم.
- ١٠- الآية ٩٥ من سورة النساء.
- ١١- الآية ١٠٠ من سورة المائدة.
- ١٢- مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٦٦ و ٢٧٢ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨ والغدير ج ٦ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن عدد من المصادر.
- ١٣- الآية ١٤٨ من سورة البقرة.
- ١٤- الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.
- ١٥- الآية ٣٢ من سورة فاطر.
- ١٦- الخطبة الثانية لصلاة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١ / ٨ / ٢٠١٧ م.
- ١٧- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩ / ٥ / ٢٠١٧ م.
- ١٨- المصدر السابق.
- ١٩- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج ١١ ص ٩٠، تحقيق: (الميرزا أبو الحسن الشعراني والسيد علي عاشور)، الطبعة الأولى، منشورات: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ. ق، ٢٠٠٠ م.

- ٢٠- دور أهل البيت (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، ج ١ ص ٣٢١ (بالتصرف)، الطبعة الثانية، منشورات: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٥ هـ. ق.
- ٢١- مقالات والدراسات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ١٥، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.
- ٢٢- نهج البلاغة من خطب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: (صبحي الصالح)، الطبعة الأولى، مطبعة الصالح، بيروت، لبنان، ١٣٨ هـ، ١٩٦٧ م.
- ٢٣- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩/٥/٢٠١٧ م.
- ٢٤- إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٨٧، منشورات: (المركز الإسلامي للدراسات)، بيروت، لبنان، ١٢، ٢، ١٤٣٣ هـ. ق.
- ٢٥- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ٥ ص ٢٨، الطبعة الأولى، منشورات: (مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي)، قم المقدسة، إيران، ١٣٦٢ هـ. ش.
- ٢٦- تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، ص ١٢٧، الطبعة الثانية، تحقيق: (علي أكبر الغفاري)، منشورات: (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة)، إيران، ١٤٠٤ هـ. ق، ١٣٦٣ هـ. ش.
- ٢٧- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩/٥/٢٠١٧ م.
- ٢٨- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ج ٦ ص ٧٣، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، طهران، إيران، ١٤١٧ هـ. ق.
- ٢٩- المصدر السابق، ج ٣ ص ١٧٦.
- ٣٠- الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٣ ص ٦٥٣، تحقيق: (ضياء الدين الحسيني «العلامة الأصفهاني»)، الطبعة الأولى، منشورات: (مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة)، أصفهان، إيران، ١٤٠٦ هـ. ق.
- ٣١- الآية ٧٤ من سورة البقرة.
- ٣٢- بحار الأنوار، ج ٦٢ ص ٢٨٢ وج ٧٦ ص ٢٥٢ وج ٧٢ ص ٣٧٠ وج ٧٤ ص ٥٦ عن الخصال.
- ٣٣- المصدر السابق، ج ٦٧ ص ٥٥.
- ٣٤- المصدر السابق، ج ٦٧ ص ٥٥.

- ٣٥- بحار الأنوار ج ١٤ ص ٣٣١.
- ٣٦- بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ عن الكافي.
- ٣٧- المصدر السابق، ج ٧٣ ص ٣٥.
- ٣٨- بحار الأنوار، ج ٥٩ ص ٢٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٦.
- ٣٩- الآية ٢٨ من سورة الرعد.
- ٤٠- الكافي ج ٢ ص ٣٣٠ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٦ ص ٤٤ و (الإسلامية) ج ١١ ص ٣٣٦ ومروءة العقول ج ١٠ ص ٢٩٤ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٥٢٧ وج ٩ ص ٢٧٧.
- ٤١- بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٩٨.
- ٤٢- بحار الأنوار ج ٦٣ ص ١٨٦ عن مكارم الأخلاق.
- ٤٣- صحيفة الرضا ص ٢٤٤ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٥ ومستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٣٧٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٥ ص ٢٦ و (الإسلامية) ج ١٧ ص ١٥ ومستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ٦٣ ص ٢٥٧ و ٢٥٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١١٤ ... وسنن النبي (مع ملحقات) للطباطبائي ص ٢٣٢ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ٢ ص ٣٤٢.
- ٤٤- عهد الأشر مضامين ودلالات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦١، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٦ م.
- ٤٥- المصدر نفسه.
- ٤٦- سورة آل عمران الآية ١٩٥.
- ٤٧- سورة التوبة الآية ١٠٥.
- ٤٨- الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.
- ٤٩- عهد الأشر مضامين ودلالات، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٤.
- ٥٠- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩ / ٥ / ٢٠١٧ م.
- ٥١- كتاب العين، الخليل الفراهدي، ج ٢ ص ٢٤٥، تحقيق: (الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي)، الطبعة الثانية، منشورات: مؤسسة دار الهجرة، إيران، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ. ق.
- ٥٢- إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٦٢.
- ٥٣- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ج ١ ص ٢٠٣، الطبعة الثانية، منشورات: مكتبة

- مرتضوي، طهران، إيران، ١٣٦٣ هـ. ش.
- ٥٤- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ ص ٧٧، تحقيق: (علي أكبر الغفاري)، الطبعة الرابعة، منشورات: دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥ ش.
- ٥٥- الخطبة الثانية لصلاة الجمعة، الصحن الحسيني الشريف، يوم الجمعة في ١١ / ٨ / ٢٠١٧ م.
- ٥٦- خطبة الجمعة، الشيخ عبد المهدي الكربلائي، الصحن الحسيني المقدس، يوم الجمعة ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ. ق، الموافق له ١٩ / ٥ / ٢٠١٧ م.



البحث السادس

الأبعاد الانسانية والأخلاقية لوصايا السيد السيستاني دام ظلته للمجاهدين

أ.د محمد حسين عبود / جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين المنعم على الأولين والآخرين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين وخلفائهم من الفقهاء والمجتهدين وبعد.

فإن القرآن الكريم كتاب الإنسانية الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما فتى يضيئ لبني البشر عب كل زمان ومكان، مخترقا بذلك حدود الزمكان، ومتجاوزا عقبات الإنتماء والانتساب، ليطل على كل الإنسانية بقوانينه وأحكامه . من هنا كانت أحكامه ذات بعد إنساني، فضلا عن بعدها الشرعي، وتحدثنا كتب السير عن السمة الإنسانية المستلهمة من ذلكم الفيض الإلهي المتجسد في القرآن الكريم، التي تجسدت بشكل سلوك أنساني راق تمثل في تعامل سول الرحمة عليه السلام وخليفته أمير المؤمنين عليه السلام مع غير المسلمين، فضلا عن المسلمين، من غير فرق بين أن يكون ذلك في حال السلم أو حال الحرب.

ولقد كانت سيرة سيد الأوصياء عليه السلام حاكية عن تلكم الخصال الإنسانية العالية التي كان يتعامل بها مع أعداء الإسلام، من الرحمة والعفو والصفح والتسامح، وغيرها من الصفات التي منحت العدل ووهبت الرحمة ونشرت الإنسانية في أرجاء المعمورة، مع أنهم كان منهم الخارجون والمارقون والقاسطون، ممن قويت شوكتهم وعلا سنامهم في زمنه عليه السلام؛ بسبب تقاعس الأمة عن أداء دورها في نصرته الحق وخذلان الباطل.

غير أن ذلك لم يكن ليمنعه ﷺ من الإنصاف معهم والعدل مع أمثالهم، ومعاملتهم بإنسانية سامية، سجلت أرقى الصور في صفحات التاريخ، ولم يكن ليثمر في نفوسهم، فيوقف طغيانهم وعدوانهم، وقد استلهم مراجع الامامية وفقهائهم من تلك الصور ما جسده في تفعيل الجانب الإنساني، وتبني خطاب الاعتدال والرحمة مع أعداء الدين، لاسيما الذين غرر بهم. وما توجيهات السيد السيستاني للمقاتلين، وهم يخوضون حرباً ضروساً ضد التكفيريين والإرهابيين، إلا مثالا حياً وأنموذجاً ميدانياً على النزعة الإنسانية التي نزعَت إليها التوجيهات وفزعت إليها القلوب الحية.

أن تلكم التوجيهات تعكس بشكل جلي، تلك النسمات المحمدية واللطائف العلوية، التي رسمت خارطة طريق للمجاهدين في سبيل الله، تُعرب عن سماحة الإسلام وعظمة الشريعة، في زمن ساد فيه منطق القوة، وشاعت فيه شريعة الغاب.

إن توجيهات السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) قطعت الطريق على خطة دعاة الدين وأرباب الفتنة وطلاب التفرقة وبناء التعصب من التكفيريين، القائمة على خطف الدين من أهله، وتقديم أنفسهم على أنهم الناطقون باسم الإسلام والمحامين عن حياظه، وأرجعت الأمور إلى نصابها وكان من ثمراتها، ذلك الحشد المبارك الذي أوقف المد التكفيري الإرهابي، وبدأ بفضل تلك الفتوى المباركة في الدفاع الكفائي، تحرير المحافظات العراقية المغتصبة من سيطرة داعش، وتقديم الأمثلة الإنسانية الرائعة للعالم، من التعامل مع أعداء الدين، والمنضمين لكيان داعش الإرهاب من المُغرر بهم.

والحق إن التوجيهات والنصائح من المرجعية العليل، كانت منهاج عمل وسبيل مبين للمجاهدين، وهم يذودون عن بيضة الإسلام وحمل الشريعة الغراء وحدود الوطن وكرامة الإنسان، وقد اقتضى عقد البحث أن ينفرط في

مبحثين، تناصفا المطالب الثمانية، إذ تناول المبحث الأول حياة السيد السيستاني، في أربعة مطالب، فيما كان المبحث الثاني في الأبعاد الإنسانية لتوجيهات ونصائح ووصايا السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) وفي أربعة مطالب أيضاً، تتبعها خاتمة ونتائج، ثم مصادر البحث التي اعتمد عليها الباحث في كتابة هذا البحث، داعياً المولى سبحانه أن يحفظ سماحة السيد بحفظه المنيع وأن يسدد حشدنا وجيشنا ويشفي جرحانا ويرجع جنودنا سالمين غانمين منصورين، إنه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المبحث الأول: حياة السيد السيستاني:

يتطلب الوقوف على حياة السيد السيستاني (دام ظله الوارف) مباحث عدة ، قد لا تفي حق رجل ادخره المولى سبحانه وتعالى ، ليكون - اليوم - أحوج ما يكون عالمنا الإسلامي عموماً وعراقنا على الخصوص ، لوجوده المبارك ، فهو صمام أمان العراق ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الفتوى العظيمة ، التي حفظت ارض وعرض العراقيين وكرامة العراق ومقدساته ، غير أن الباحث سيحاول أن يحيط بأطراف المبحث ، ويُمَلِّ السيرة الذاتية للسيد السيستاني (دام ظله الوارف) ، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: ولادته ونسبه:

وُلد السيد السيستاني في التاسع عشر من شهر ربيع الثاني عام (١٣٤٩ هـ) الموافق ١٩٣٠ م في مشهد المقدسة^(١) ، من عائلة علوية ترجع أصولها الى أصفهان ومن والدين طيبين طاهرين ، فوالده هو السيد محمد باقر السيستاني ، من علماء وفضلاء مدينة مشهد المقدسة ، وقد شغل مقام جده في ترويج معالم الدين وتعاليم الشريعة حتى رحيله الى الرفيق الأعلى عام (١٣٧٠ هـ)^(٢) (٣).

والسيد السيستاني هو السيد علي ابن السيد باقر ابن السيد علي ابن السيد محمد رضا الحسيني الغروي ، ينتهي نسبه الى الإمام الحسين (عليه السلام) (فهو غصن من أغصان هذه الروضة الطاهرة وفرع من فروع هذه الشجرة الباسقة الوارفة الضلال)^(٤).

وقد اشتهر السيد السيستاني بهذا اللقب نسبة الى سيستان من بلاد ايران ، اتخذها أجداده موطناً لهم ، فجده الأعلى هو السيد محمد الذي تسنم منصب

١- ظ: ثامر عبد الحسين العامري (معاصر): موسوعة انساب العراقيين السادة العلويين / ط ١ (٢٠٠٤م) / ١٧٤.

٢- ظ: الشاهرودي (معاصر): المرجعية الدينية ومراجع الإمامية / ١٨٨.

٣- الغروي: محمد (معاصر): المرجعية الدينية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية / دار المحجة البيضاء / ط ١ (٢٠٠٥) / ٥٢.

٤- ظ: بحر العلوم: محمد صادق محمد باقر: الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف / ٢٤٠.

شيخ الاسلام في عهد السلطان حسين الصفوي، أما جده الاقرب فهو آية علي بن محمد رضا السيستاني، وهو من كبار علماء مشهد المقدسة^(١).

المطلب الثاني: أساتذة وشيوخ السيد السيستاني:

ما إن استمر المقام بالسيد السيستاني في النجف الأشرف، حتى بدأ بحوثه في أعلى المستويات العلمية، عند كبار فقهاء الحوزة الشريفة، أمثال السيد محسن الحكيم (ت ١٣٧٩ هـ) والشيخ حسين الحلي (ت ١٣٧٩ هـ)^(٢) والسيد الشاهرودي وقد تتلمذ السيد السيستاني على يد السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، وحضر درسه لأكثر من عشر سنوات.

المطلب الثالث: تلامذة السيد السيستاني:

شرع السيد (دام ظله الوارف) في عام (١٣٨١ هـ)، (بتدريس بحثه الخارج في الفقه على ضوء كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري)^(٣)، الذي من أهم المراجع العلمية، وأهم كتب الدراسة في الحوزة، وانه لا بد لكل مجتهد من المرور بمواضيع هذا الكتاب، وتحليل عبارته الفقهية المعقدة^(٤)، كما بدأ بحثه الخارج في (الأصول) في شعبان (١٣٨٤ هـ)، وأكمل دورته الثالثة في شعبان من عام (١٤١١ هـ)^(٥).

أما نتاجه الفقهي فقد تراوح - في هذه الأعوام - بين كتاب القضاء وأبحاث الربا وقاعدة الإلزام، كما أن له محاضرات في علم الرجال، تكشف عن عميق معرفته وواسع اطلاعه بهذا العلم، وقد انبرى غير واحد من العلماء بإخراج بحثه، وتقرير محاضراته الفقهية والأصولية، منهم على - سبيل المثال لا الحصر - الشيخ مهدي مرواريد والسيد حبيب حسينيان والسيد أحمد المددي وغيرهم.

١- ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/ ١٨٩.

٢- ظ: آقا بزرك: الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ): الذريعة الى تصانيف الشيعة/ دار الاضواء بيروت - لبنان ٣١/ ٢٦.

٣- الغروي: المرجعية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية/ ٥٦.

٤- ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/ ١٩٠.

٥- ظ: البغدادي: لمحات من حياة الإمام السيستاني/ ١٥.

المطلب الرابع: عطاؤه العلمي:

اشتهرت الحوزة العلمية في العالم عموماً وفي النجف الأشرف على الخصوص، بالاستقلال السياسي والإقتصادي على حد سواء، وهذا ما منحها القوة والمنعة والديمومة والإستمرار، على مدى مئات السنوات، على الرغم مما تعرضت له من الهزاهز والتحديات من قبل الحكومات الجائرة، على مر التاريخ.

أما إنجازات السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف)، فإنه يمكن أن تكون — حسب تقدير الباحث على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: الإنجازات العلمية^(١): هو طائفة من المخطوطات والمؤلفات الفقهية والأصولية ما بين كتب ورسائل منها:

١- المسائل المتتخبة.

٢- مناسك الحج.

٣- البحوث الأصولية (دورة كاملة).

٤- كتاب القضاء.

٥- رسالة في التقية، وغيرها كثير.

الاتجاه الثاني: الإنجازات الإنسانية: ويقصد بها الباحث، المواقف الوطنية التي حفظت العراق، وحققت دماء العراقيين ورعت حقوقهم، ودفعت أسباب الشر ومخططات الإحتلال، ومنها:

١- دعوته لكتابة الدستور، بعد سقوط الطاغية عام (٢٠٠٣)، وإصراره على أن تكون كتابته من قبل ممثلي الشعب، عن طريق الانتخابات العامة^(٢)، وقد تم ذلك، على الرغم مما قامت بعض القوى السياسية، من محاولة تكوين نوع من أنواع المجالس التي تقوم بكتابة الدستور، وقد حفظ السيد (دام

١- ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/ ١٩٢.

٢- ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني/ وثيقة رقم ٢٢٣/١٩.

ظله) بذلك مصلحة الشعب وحقوقه في كتابة الدستور الدائم للبلاد.

٢- سعي السيد من خلال البيانات الصادرة عن مكتبه، الى تحديد نوع السلطة في نظام الحكم، عن طريق الإرادة العراقية وآلية ذلك - حسب توجيهه - هو الانتخابات العامة، وقد تمت إرادة السيد فعلاً بإقامة الانتخابات العامة في العراق، بعد عقود من الزمن، رزح فيها العراق تحت ظل الديكتاتورية.

٣- وقوف السيد - بقوة وحزم - بوجه الفتنة الطائفية، التي كانت من أبرز الخيارات لأعداء العراق في تمزيق الصف العراقي، وكانت بياناته (دام ظله) الدواء الناجع لسرطان الطائفية، حين قال: ((تمر الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى، وتحديات هائلة تمس حاضرها وتهدد مستقبلها، ويدرك الجميع والحال هذه مدى الحاجة الى رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية، والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية.... الخ))^(١)، ووأد السيد بذلك شبح الفتنة، وحفظ النسيج العراقي من التشرذم والتمزق.

٤- حماية السيد (دام ظله) للعراق من الغزو الداعشي، حينما غزا العراق الدواعش في عام ٢٠١٤، وانطلاق الفتوى التاريخية في الجهاد الكفائي، في حزيران من نفس العام، التي كان لها أبلغ الأثر في تسابق مئات الآلاف من العراقيين، للتطوع من أجل حماية العراق، وما تبعها من نصائح وتوجيهات للمقاتلين والمجاهدين.

وقد حررت تلك الفتوى المحافظات العراقية التي كانت محتلة من قبل التكفيرين الدواعش، محافظة بعد محافظة وهاهو العراق اليوم يفتخر بتحرير كامل ترابه من أيدي الأعداء ببركة تلك الفتوى التاريخية المباركة.

١- عمار البغدادى: مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الدولة / ٨٥.

المبحث الثاني: الأبعاد الإنسانية لوصايا السيد السيستاني للمقاتلين:

يستلزم التعرض للبعد الانساني لتوجيهات ونصائح السيد السيستاني الوقوف على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم البعد الإنساني في توجيهات السيد السيستاني:

أراد الباحث بهذا المطلب، بيان الحالات الإنسانية التي ركزت عليها ووضحتها التوجيهات والنصائح المباركة، التي وجهها السيد السيستاني (دام ظله الوارف) للمقاتلين، وما احتوت عليه من معاني الرأفة والرحمة والصفح والتسامح والبر والخير، ونحوها من النماذج الإنسانية العالية التي تضمنتها، التي أسفرت عن الوجه الناصع والوضاء لتعاليم الشريعة السمحاء، واستمدت رحمته من رحمة الباري سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الحج/ ٦٥، ورحمة نبيه ﷺ، الذي وصفه رب الرحمة سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء/ ١٠٧. إن التوجيهات المباركة عكست الرؤى الإنسانية، للمرجعية العليا التي تمثل قطب الرحى في المؤسسة الدينية، التي حاولت التنظيمات الإرهابية التكفيرية من الدواعش ونظائهم، اختطاف خطابها الشرعي، فانبرى السيد السيستاني — بفتواه التاريخية — وما عقبها من تلكم التوجيهات المباركة، في إرجاع الأمور الى نصابها، وإيعاد الثقة بالدين وبأهله وبخطابه .

إن الجوانب الإنسانية التي احتوتها التوجيهات والنصائح المباركة، بينت مكانة الإنسان وأكدت حقيقة أنه له المقام الأول في عمليات الجهاد والدفاع عن الأرض وتحريرها، وأن دمه وماله وعرضه أهم مما سواها، كما أنها — التوجيهات — هدمت الحواجز الطائفية والدينية والقومية، واجهضت خطط الأعداء، في تمزيق الصف العراقي، ونشر أسباب الطائفية بين العراقيين.

لقد سعت المرجعية الدينية، من خلال هذه التوجيهات الى تركيز أبوتها لجميع العراقيين، من دون استثناء أو فرق، وان انتماءها للعراق لا يقل عن انتمائها للدين أو المذهب .

فالمقصود بالبعد الإنساني إذن هو تلك الصور والمعطيات الإنسانية، التي سعت التوجيهات والنصائح الى تجذيرها في نفوس المقاتلين والمجاهدين، وجعلتها برامج عمل يسرون بها ويطبقونها ميدانيا، مستذكرين ومذكرين، بالصفحات المشرقة من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في حروبه مع أعداء الإسلام، وما احتوت عليه من الأمثلة الإنسانية الراقية، التي جسدت تعاليم السماء وأخلاق الأنبياء في بث روح التسامح والتوادر والتعاطف.

إن أجواء الحروب غالبا ما يسودها العنف والقوة، ولا تجد في عقل القائد سوى التفكير بالنصر والغلبة، فتتصاعد معه هواجس الانتقام والثأر، وتتضائل معها مشاعر الرحمة والرفقة، غير أن الأمر يختلف مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ ينقل لنا التاريخ ألوانا متألفة، تبعث على الإعتراز والفخر، من التعامل الميداني العسكري — إن صح التعبير — له (عليه السلام)، وهو يقاتل أعداء الله في سوح الحرب، وقد تضمنت التوجيهات المباركة للسيد السيستاني نماذج كثيرة من الأحاديث والروايات، التي تبين السيرة الميدانية للإمام علي (عليه السلام)، والتطبيق العملي لهذا التعامل الإنساني .

وانطلاقا من ذلك فإنه يمكن إجمال البعد الإنساني لتلك التوجيهات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الثاني: البعد الإنساني مع غير المسلمين :

لقد تجسد البعد الانساني مع غير المسلمين عبر النصائح والتوجيهات، التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولاً - ما استشهد به السيد (دام ظلّه الوارف) كما في الفقرة رقم (٢) من التوجيهات، وهو بصدد التحدث عن الآداب العامة للجهاد، بعد أن مهّد لها في الفقرة رقم (١)، إذ يقول: ((للهجاء آدابٌ عامّة لا بدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبي ﷺ يوصي بها أصحابه قبل أن يعثهم إلى القتال، فقد صحّ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث برية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ: لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلّا أن تضطروا إليها)))^(١).

ويمكن القول أن السيد أراد في توجيهات هذه الفقرة الإشارة الى أمور هي:
أ- أن للجهاد آداباً عامة، ولا يخفى ما في قوله (آداباً عامة)، من إشارة واضحة على أن تلك الآداب في حقيقتها قوانين ثابتة مسلم بها ومفروغ منها، وأنها من ثوابت الجهاد التي لا يتسنى للمجاهدين التنازل أو التراجع عنها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السيد في مقام التعريف بعظمة الإسلام من خلال التعريف بمكانة الإنسان في ظل أحكام الجهاد.

١- ظ: الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ): الكافي / تحقيق علي أكبر غفاري / ط ٣ (١٣٦٧هـ) / دار الكتب الإسلامية - طهران ٥/ ٢٧ + ابن عساكر (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق / تحقيق علي شبري / ط (١٤١٥هـ) / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ٦٥ / ٢٤٧ + ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا / ط ١ (١٤١٢هـ) / نشر الكتب العلمية - بيروت - لبنان ٤م ١١٦.

٢- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) - مكتب النجف الأشرف / دار البزرة - النجف الأشرف .

ب — تأكيده على ضرورة وأهمية مراعاة هذه الآداب (حتى مع غير المسلمين)، وهو ما يُسفر عن الجانب الإنساني والأخلاقي للأحكام الإسلامية، كما أنه يكشف عن العناية الاهتمام بغير المسلمين كالتصاري والأزديدين الساكنين في الموصل، الذين تعرضوا للقتل والتهجير وأنواع الإقصاء والتهميش.

إن السيد — في الواقع — أراد من خلال هذه الآداب، إيصال رسالة واضحة الى غير المسلمين — عن سماحة الإسلام —، الذين ربما قد انعقدت أذهانهم على صورة مشوهة عن الإسلام، بعد ما تعرضوا له على يد المدّعين للإسلام من الدواعش وغيرهم، من أنواع التصفية البشرية والعرقية.

ت — تصديق وتوثيق هذه الآداب، من خلال الاستشهاد بالحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، الذي بين بنحو عملي آداب الجهاد من خلال وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، للمقاتلين في سبيل الله، وهو ما يُعطيها — الآداب — بعدا شرعيا مُلزما، لكل من أراد أن يقاتل في سبيل الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي يؤكد مرة أخرى حقيقة الدين، وما انطوت عليه من آداب وأخلاق.

ث — وجوب الابتعاد عن إيذاء الشيخ أو الصبي أو المرأة، بغض النظر عن خلفيتهم الدينية أو العقائدية، بل حتى الجهاد كالشجر ونحوه، لا سبيل لقطعه إلا عند الضرورة.

من هنا يتضح التعامل الإنساني الذي يمليه الدين، والذي دعا اليه وأكد عليه السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف).

ثانياً — ذكر السيد (دام ظلّه) في الفقرة (٢): ((فالله الله في النفوس، فلا يُستحلّن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الأحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها.....))^(١) والسيد بصدد

١- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) - مكتب

بيان مكانة النفوس الإنسانية مطلقاً، وحرمة التعرض لها والتجاوز عليها بغير ما أحل الله، ثم أنه يستشهد بعهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للمالك الأشتر (رضي الله عنه)، تلك الوثيقة الإنسانية النابضة بالرفقة والرحمة، حين يقول (عليه السلام): ((إياك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء ادعى لنقمة وأعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوّن سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود البدن))^(١)، والعهد أيضاً يركّز على الجانب الإنساني، ويلفت الأنظار، الى عظمة سفك دماء الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

إن استعراض السيد للسيرة العملية لسيد الأوصياء (عليه السلام)، في تعامله مع دماء الناس، دعوة صريحة للمقاتلين في اتخاذ سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) منهاجاً في التعامل مع دماء الناس بشكل عام.

ثالثاً- كما ذكر السيد (دام ظلّه) في الفقرة (٦) مانصه: ((الله الله في اتهام الناس في دينهم نكايه بهم واستباحة حرّماهم، كما وقع فيه الخوارج في العصر الأول وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم وبرّروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم.....))^(٢).

النجف الأشرف/ دار البذرة - النجف الأشرف .

١- المجلسي (ت ١١١١هـ): بخار الأنوار/ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ٣٣/ ٦١١ + البحراني: ابن ميثم (ت ٦٨٩هـ): شرح نهج البلاغة/ ط ١/ نشر مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران ٥/ ١٧٦.

٢- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب ساحة السيد السيستاني (دام ظلّه) - مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة - النجف الأشرف .

إن الخطاب واضح الدلالة، بوجوب التحرج من دم الإنسان مطلق الإنسان، فالسيد(دام ظله يقول: (الله الله في اتهام الناس) ولم يقل المسلمين، الأمر الذي يؤكد إنسانية الدين وما انطوى عليه من رحمة ورأفة وسماحة، وانه يتعامل مع الإنسان بما هو إنسان، بصرف النظر عن انتمائه الديني أو ميوله العقائدية. رابعاً ثم أنه(دام ظله الوارف) يُحذّر المقاتلين، بشكل صريح من التعرض لغير المسلمين أيا كان دينه ومذهبه، حيث يقول في الفقرة(٧) مانصه: ((إياكم والتعرض لغير المسلمين، أيا كان مذهبهم، فإنهم في كنف المسلمين وأمانهم، فتم تعرض لحرمتهم كان خائناً غادراً، وإن الخيانة والغدر لهما أقبح الأفعال، في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه))^(١).

والحق إن الباحث ليقف حائراً أمام هذه اللمسات الرحمانية، التي تنطلق من ثنايا كلام السيد(دام ظله الوارف)، وهي تنشر الأمان وتهب الاطمئنان في نفوس غير المسلمين، ممن تعرضوا للغدر على أيدي الدواعش التكفيريين، ثم إنه يضعهم أمام مقارنة حية ميدانية، بين جماعة أباحت - باسم الإسلام - دماء غير المسلمين من النصاري والأيزيديين، وتفننت في صناعة الموت بأبنائهم، وبين خطاب لمرجعية إسلامية عليا، تحرم بالضرر القاطع والدليل الدامغ دمائهم، وتعدّ التعدي عليها من الخيانة والغدر؛ - وإنهما من أقبح الأفعال ليس في دين الله فقط، بل في قضاء الفطرة -؛ لأنهم في حمى المسلمين، وليس من المرؤة أو الدين انتهاك هذا الموثق العظيم، ولا يخال الباحث أن هناك إنسانية حقّة ورحمة واقعية، كالتّي كشفت عنها توجيهات السيد(دام ظله)، ثم أن السيد يستشهد ويحتج بالقرآن كلام الله الفصل، الذي ليس بعده دليل، الذي يؤكد على ضرورة القسط مع غير المسلمين، والبرّ بهم والتعايش

معهم بسلام ورحمة، وحرمة قتالهم لمجرد كونهم ليسوا بمسلمين، إذ يقول سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة/ ٨، كما إنه (دام ظله) يكشف عن معدن الدين وجوهر العقيدة، وعظيم ما ينطويان عليه من احترام الإنسان، وأنها يلزمان المسلم — كما يؤكد السيد السيستاني (دام ظله) — بأن (تكون له من الغيرة عليهم — أي غير المسلمين — مثل ما يكون على أهله)

ثم أن السيد (دام ظله) يؤكد هذا المعنى، باستدلاله بالسنة العملية لأمر المؤمنين عليهم السلام وما ورد من خطبته، بعد غزو جيش معاوية الأنبار، وما أصاب أهلها من بلاء، حين يقول عليه السلام: ((هذا أخو غامد ، قد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيتزعج حجلها وقلبها وقلائدها ورعائها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق له دم ، فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا))^(١) .

والحق إن السيد باحتجائه بهذه الوثيقة التاريخية، يلفت الأنظار الى أمور هي:

أ - ان الدواعش — في الواقع — هم امتداد لجيش معاوية بن أبي سفيان، في الغدر والقتل والسلب، للمسلمين وغير المسلمين، وأنها وجهان لعملة واحدة .

ب - إن أسلوب الدواعش لا يختلف أبدا عن أسلوب الجيش الأموي، في انتهاك الحرمات، حيث إن ما قام به الدواعش من سلب المسيحيات والأزيديات، وحتى المسلمات، هو عين ما قام به الجيش الأموي.

١ - ظ: نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب ساحة السيد السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البصرة - النجف الأشرف + الكليني: الكافي ٥ / ٥ .

ت - إن التوجيهات والنصائح ،التي تضمنت هذه الشواهد التاريخية ،رسالة واضحة الى المقاتلين ،بأنهم ورثة جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) في قتال الدواعش والتكفيريين، الأمر الذي يحملهم مسؤولية مضاعفة في الدفاع عن الدين والوطن والعرض والمقدسات، وهو ما يبعث في نفوسهم الهمة العالية والتفاني في تحقيق المراد، وهو ما حصل فعلا في صفوف المقاتلين .

ث - إن الدين الإسلامي دين رحمة ورأفة واعتدال وتسامح ،وليس دين عنف وتطرف وانتقام وقتل ، كما صوّره الدواعش التكفيريون .

أخيرا فإنه لا يخفى ما في الفقرة الأخيرة من النص المذكور آنفاً ،وهو قوله (عليه السلام): (فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي به جديراً)، من القوانين الأخلاقية الراقية التي تعرب عن عدل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وغيرته على غير المسلمين ،وسعي السيد (دام ظله) الحثيث ،في نقل هذه الصورة العلوية الإنسانية ،ليس الى المقاتلين فحسب ،بل الى العالم أجمع .

خامساً- ورد في الفقرة (٩) قوله (دام ظله الوارف): ((الله الله في الحرمات كلها ،فإياكم والتعرض لها او انتهاك شئ منها بلسان أو يد.....))، حيث نبّه السيد الى تجنب المساس بالحرمات كل الحرمات ،بغض النظر عن عائديتها العقائدية، فهي حرمات وحسب، وهو ما يكشف بطبيعة الحال ،عن البعد الإنساني لهذه التوجيهات، وعن شموليتها للمسلمين وغير المسلمين .

المطلب الثالث: البعد الإنساني مع المسلمين:

لقد كان للمسلمين سهما وافرا من اللمسات الانسانية التي انطلقت من الرؤى العلوية الإنسانية المباركة وقد عكستها تلكم النصائح والتوجيهات للمرجعية العليا، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١ - تحدث السيد (دام ظله) في الفقرة الثانية عن آداب القتال ،وأكد أن لها آدابا مع البغاة والمحاربين من المسلمين وإضرابهم ،حيث قال: ((كما أنّ للقتال

مع البغاة والمحاربين من المسلمين وإضرارهم أخلاقاً وآداباً أثرت عن الإمام علي عليه السلام في مثل هذه المواقف ، مما جرت عليه سيرته وأوصى به أصحابه في خطبه وأقواله، وقد أجمعت الأمة على الأخذ بها وجعلتها حجة فيما بينها وبين ربها ، فعليكم بالتأسي به والأخذ بمنهجه^(١)، والمتأمل لكلامه (دام ظله) يلمس أنه بصدد الإشارة الى أن الدواعش هم من صنف البغاة والمحاربين من المسلمين ، مع ما يتصفون به من القتل والعنف والتطرف ، وأنهم نسخة من الخوارج ، الذين قاتلوا خليفة المسلمين أمير المؤمنين عليه السلام ، وأباحوا دماء المسلمين .

ولا يخفى ما في هذه الإشارة ، من جنة إنسانية ، تحفظ هؤلاء المجرمين بقاءهم ضمن حريم الإسلام ، ولكن لا يخرجهم مما تلبسوا به من جرائم وخطايا يهتز لها عرش الرحمن ، فهم بغاة مجرمون في المقام الأول ، ثم أن هذه الآداب – كما أكد السيد – مما أجمعت عليه الأمة على الأخذ بها ، وهو مما يعطيها مشروعية أو ثقل وأكد ، كما أنه استدلل بها ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ، في حديث الثقلين والغدير وغيرهما ، بخصوص أهل بيت نبيه عليه السلام ، حين يقول : (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبّدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا)^(٢) ، وفيه توجيه واضح على لزوم التمسك بأهل البيت عليه السلام ؛ كونهم الترجمان الحق للإنسانية والرحمة والتحابب .

٢- ورد في الفقرة رقم (٥) ما نصه: ((الله الله في حرّات الناس عامّة ، ممن لم يقاتلوكم . لا سيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء ، حتى إذا كانوا من ذوي

١- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البصرة - النجف الأشرف .

٢- القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ): ينابيع المودة لذوي القربى / تحقيق علي جمال أشرف الحسيني / ط ١ (١٤١٦هـ) / طبع ونشر دار الأسوة للطباعة والنشر / ٨٥ .

المقاتلين لكم، فإنه لا تحل حرمان من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم))^(١).

إن المتأمل لهذا التوجيه، يلمس بنحو جلي الهواجس الإنسانية التي تفيض من جوانبه، حيث يفرق السيد بشكل واضح، بين عوائل المقاتلين من التكفيريين من الشيوخ والولدان والنساء، وبين المقاتلين أنفسهم، وأنه لا تحل حرمانهم، هذا في مقابل الدواعش التكفيريين، الذين لا يفرقون في قتالهم واستهدافهم بين رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ.

بالتالي فإن السيد في مقام تقديم الإسلام الإنساني الأنموذج للعالم، ويجعل سبل التمييز ومعايير المقارنة واضحة، لكل من يبحث عن الإسلام المحمدي الأصيل وعن إنسانية الإسلام.

وفي الوقت الذي أصبح التكفير شعار الدواعش وغطائهم الشرعي في ذبح المسلمين وغيرهم، ولم يسلم من ظلمهم أحد، ترى السيد السيستاني (دام ظله الوارف) يؤكد - في الفقرة (٦)، أن كل ((من شهد الشهادتين كان مسلماً يُعصم دمه وماله، وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة، فما كل ضلالة بالتّي توجب الكفر، ولا كل بدعة تؤدي إلى نفي صفة الإسلام عن صاحبها))^(٢).

لقد أراد السيد بهذا الخطاب، التذكير بما احتوى عليه الدين من السعة والفسحة النابعان من النظرة الإنسانية لهذا الدين العظيم وتعاليم الشريعة السمحاء، في قبال الضيق والتطرف النابع من دين التكفيريين الدواعش وعقيدتهم، التي سلبت معاني الرحمة والرفق، وانعدمت معها أسباب الإنسانية.

١ - نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب ساحة السيد السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البصرة - النجف الأشرف .

٢ - نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب ساحة السيد السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البصرة - النجف الأشرف .

المطلب الرابع : البعد الإنساني في الآداب العامة للقتال:

لقد لوصايا السيد السيستاني آداباً راقية عالية سامية موجهة لأبنائه المقاتلين ، ويمكن الوقوف عليها عبر النقاط الآتية:

أولاً- لقد حددت توجيهات السيد السيستاني (دام ظله) ونصائحه بعض آداب القتال ، التي تتم عن اللمسات الإنسانية العالية فقد ورد في الفقرة رقم (٤) ، بعد أن ذكر السيد حرمة الدماء وحرمة سفكها بغير حقها ، فإنه يقول: ((فإن وجدت حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة ، فقدموا التحذير بالقول أو بالرمي ، الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدي إلى الهلاك ، معذرة إلى ربكم واحتياطاً على النفوس البريئة))^(١).

إن القراءة المتمعنة والمنصفة للنص ، تفضي إلى القطع بأن السيد يوجه المقاتلين إلى وضع مكانة الإنسان في المرتبة الأولى ، وإن كان في حالات المواجهة مع أعداء الدين من التكفريين الإرهابيين.

فيما ترى التكفريين يوجهون بهائمهم البشرية من المفخخين والسيارات المفخخة وغيرها ، باتجاه التجمعات البشرية ، ممن ليسوا في ساحات الحرب والمواجهة.

والحق إن السيد (دام ظله) أراد من خلال هذه التوجيهات المباركة - لاسيما بعد الاستجابة الواسعة لفتوى الدفاع الكفائي المباركة ، رفد الساحة العسكرية والحربية ، بانموذج عسكري إنساني في المقام الأول .

١- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب ساحة السيد السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البصرة - النجف الأشرف .

ثانياً- استشهد السيد(دام ظلّه الوارف) في الفقرة رقم(٩)، بوصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي منها قوله: ((لا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا ، ولا تدخلوا دارًا ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم و صلحاءكم))^(١)، بينما ترى التكفيرين لا يرقبوا إلا ولا ذمة في مسلم أو غير مسلم ، كما أن السيد ذكر في الفقرة رقم (١٠)، أن من جملة آداب الحرب التي ينبغي مراعاته هي عدم الإبتداء بالقتال، كما كان هو ديدن نبي الرحمة ﷺ وأمير المؤمنين وسيد الشهداء (عليه السلام)، والسيد(دام ظلّه الوارف)، يدعو بنحو واقعي الى تفعيل الجانب الإنساني وتقديمه ،على الجوانب العسكرية السياسات الحرية القاضية بالتفكير بالنصر أولاً وقبل كل شيء.

ثالثاً- لعل من روائع الوصايا النابضة بالחס الإنساني ،هو ماورد في الفقرة رقم(١١)، من نصائح للمقاتلين ،والتي يقول فيها السيد(دام ظلّه الوارف): ((واعلموا أن أكثر من يقاتلكم إنما وقع في الشبهة بتضليل الآخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلين بما يوجب قوة الشبهة ،في اذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادروها بحسن تصرفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنّه أحياه ، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنّه قتله))^{(٢)(١)}.

١- الحر العاملي(ت ١١٠٤هـ): وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة/ تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث/ ط ٢(١٤١٤هـ)/ مطبعة مهر - قم ٩٥/١٥ + الطبري: محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري/ تحقيق نخبة من العلماء/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ٦/٤، وغيرها.

(٢) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه)- مكتب النجف الأشرف/ دار البصرة - النجف الأشرف .

(١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه)-

٢- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه)-

إن حكمة السيد وبعد نظره حاضران — كما في التوجيهات الماضية — فهما فعالان في هذا التوجيه أيضا، ويمكن تلمس الجانب الإنساني في أمور :
أ — أن السيد التمس العذر لأغلب من يقاتل في صفوف الدواعش ، مع تلبسهم الواضح في الجريمة، ونيتهم المنعقدة في قتال جنودنا — وأنهم إنما وقعوا بالشبهة بسبب تضليل الآخرين .

ب — أراد السيد عبر هذا التوجيه ، قطع الطريق على التكفيريين في تجنيد الناس الى صفوفهم ، من خلال حسن التصرف مع هؤلاء المضللين ، وأخذهم بالعدل والصفح وتجنب الظلم والعدوان.

ج — وأخيرا فإن من نتيجة ذلك ، أن من درأ شبهة عن ذهن امرئ ، فكأنما أحياه ، وعلى العكس من ذلك ، فإن من أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنما قتله .

أن المتتبع لهذه النصائح ، يرى بجلاء تلك النزعة الإنسانية التي تنبعث منها ، لتخاطب القلوب التي غلب عليها الرين وغرقت في الآثام والذنوب ، ولكن ذلك لا يمنع من المحاولة ، وليس بغريب من السيد (دام ظلّه الوارف) استنطاق الحق واستخراج الرحمة من تلك النفوس التي انعقدت على الظلم والشر ؛ لأنه خلق رباني وسمت نبوي ، يقول عز من : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ سورة طه / ٤٣-٤٤ ، وهو أمر لموسى وهارون (عليهما السلام) ، بأن يذهبا الى فرعون وتبليغه الدعوة بقول لين ، مع ما يتصف به من الطاغوتية والجبروت وادعائه الربوبية .

رابعا — مما يؤكد الجانب الإنساني في توجيهات السيد السيستاني ونصائحه للمقاتلين ، هو ماورد في الفقرتين (١٢) و (١٣) من ضرورة معالجة الأمور بالعدل فحسب ؛ وما ذلك إلا لعظيم ((ما يخلفه الظلم من شحن للنفوس

ومشاعر العدااء — على حد قول السيد — مم يهد المجتمع هدا^(١)، ثم أنه يوصي بالتثبت وضبط النفس، رعاية للموازنين والقيم النبيلة، وإن كان فيه بعض الخسارة العاجلة، غير انه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجا^(٢).

١ - نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله).
(٢) ظ: م.ن.

نتائج البحث

توصل الباحث في مسك ختام البحث الى جملة من النتائج هي:
أولاً: يمثل السيد السيستاني (دام ظله الوارف) قطب الرchy في المؤسسة الدينية، المتمثلة بالحوزة الدينية في النجف الأشرف، فهو المرجع الأعلى فيها، ولقد كان له الدور الفاعل في صياغة الواقع السياسي للعراق، من كتابة الدستور الى إجراء الانتخابات، الى غيرها من الخطوات السياسية التي خططت لمستقبل العراق، كما أنه يجسد الإمتداد الحلي لسيرة المعصومين (عليه السلام).

ثانياً: كان للسيد دوا كبير ومؤثر — وما زال — في درء الفتنة الطائفية، التي أراد أعداء العراق من خلالها تمزيق العراق.

ثالثاً: لقد لعبت فتوى السيد السيستاني قي الجهاد الكفائي دورا كبيرا في صقل موقف العراقيين وجمع كلمتهم وشحذ همهم، باتجاه تحرير بلدهم من أيدي الكيان الداعشي

رابعاً: لقد عبرت النصائح والتوجيهات التي خاطبت المرجعية بها المقاتلين، عن المكنون الإنساني لذي ينبض به الوجود المبارك لها، فضمت لتكم التوجيهات جوانب إنسانية عالية أسفرت عن البعد الإنساني الذي يتمتع به ديننا الحنيف.

خامساً: لقد كان لتكم التوجيهات الأثر البالغ في جمع الرؤى والأهداف، إذ لم تفرق بين مسلم ومسلم، أو بين مسلم ومسيحي، بل لم تغمط حتى حقوق أعداء العراق، وكان الهاجس الإنساني لنصائح وتوجيهات السيد (دام ظله)، يؤكد على قيمة الإنسان في المقام الأول.

سادساً: أضحت الوصايا المباركة ترجمانا حيا وميدانيا، لوصايا نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، لاسيما وصيه مير المؤمنين (عليه السلام)، الذي ما فتئت قوانينه في الحرب تشكل خارطة الطريق لها.

سابعاً: استهدفت التوجيهات المباركة، بيان حقيقة الدين الإسلامي وأنه دين ينبذ التطرف والعنف والتكفير، ويقوم على أساس الإنسانية والرحمة والتسامح، مع بني البشر بغض النظر عن انتمائهم العقائدي، وكشفت عن مكانة المرجعية وحجمها، وقدرتها على تغيير المعادلات العسكرية، كما بيّنت حقيقة أعداء العراق والدين والإنسانية، وأنهم امتداد للخوارج الذين قاتلوا أمير المؤمنين (عليه السلام).

المصادر

— القرآن الكريم خير الكلام وإمام الأئمة.

١— أقا بزرك: الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ): الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ دار الاضواء بيروت — لبنان.

٢— بحر العلوم: محمد صادق محمد باقر: الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف.

٣— البحراني: ابن ميثم (ت ٦٨٩ هـ): شرح نهج البلاغة/ ط ١/ نشر مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران.

٤— البغدادي: عمار: مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الدولة

٥— البغدادي: لمحات من حياة الإمام السيستاني.

٦— ثامر عبد الحسين العامري (معاصر): موسوعة انساب العراقيين السادة العلويين/ ط ١ (٢٠٠٤ م).

٧— حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن ساحة السيد السيستاني.

٨— الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة/ تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث/ ط ٢ (١٤١٤ هـ)/ مطبعة مهر - قم.

٩— الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا/ ط ١ (١٤١٢ هـ)/ نشر الكتب العلمية - بيروت - لبنان

١٠— الشاهرودي (معاصر): المرجعية الدينية ومراجع الإمامية.

١١— الغروي: محمد (معاصر): المرجعية الدينية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية/ دار المحجة البيضاء/ ط ١ (٢٠٠٥).

١٢— القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ): ينابيع المودة لذوي القربى/ تحقيق علي جمال أشرف الحسيني/ ط ١ (١٤١٦ هـ)/ طبع ونشر دار الأسوة للطباعة والنشر.

١٣— ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): تاريخ مدينة دمشق/ تحقيق علي شيري/ ط (١٤١٥ هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٤— الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ): الكافي/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط ٣ (١٣٦٧ هـ)/ دار الكتب الإسلامية - طهران.

١٥— الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الطبري/ تحقيق نخبة من العلماء/ مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت - لبنان.

- ١٦- المجلسي (ت ١١١١ هـ): بخار الأنوار/ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .
المجلات والدوريات
- ١٧- مجلة المرشد: مجلة دورية تعنى بالثقافة والتراث والآثار/ سوريا - دمشق / (٢٠٠٧م)
عدد خاص عن السيد السيستاني.
- ١٨- مجلة الموسم: الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر- أكاديمية الكوفة / المركز الوثائقي
لتراث أهل البيت (عليه السلام) - هولندا.
- ١٩- نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد
السيستاني (دام ظله) - مكتب النجف الأشرف / دار البذرة - النجف الأشرف .



البحث السابع

فتوى الدفاع الكفائي - دراسة في المضامين الفكرية والابعاد السياسية

أ.د. حسين عليوي ناصر الزيايدي م.د. حسام صبار هادي
جامعة ذي قار - كلية الآداب

المقدمة

لم تكن فتوى الدفاع الكفائي التي اعلنها المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني دام ظلّه الوارف، في صلاة الجمعة التي القيت في صحن الامام الحسين عليه السلام بتاريخ ١٣/٦/٢٠١٤ من قبل الشيخ عبد المهدي الكربلائي، ذات بُعدٍ عسكري وأمني فقط، وانما كانت لها ابعاد فكرية عميقة ومضامين سياسية واسعة اسهمت في صد هجوم العصابات الإرهابية، التي كانت تنوي إسقاط الحكومة في العاصمة بغداد، وقد تمكنت هذه العناصر من السيطرة على مدينة الموصل، مركز محافظة نينوى شمالي العراق، والفتوى تعد من رمزيات الفقه الشيعي، فطيلة قرن من الزمن، على الرغم من صدور العديد من الفتاوى الدفاعية مثل فتاوى السيد اليزدي ضد المستعمر الانكليزي، وفتاوى المجدد الشيرازي لرفض الاستفتاء، والسيد الحكيم ضد الرؤى الشيوعية الهدامة، والسيد ابو القاسم الخوئي بدعم الثورة الشعبانية عام ١٩٩١، لم نلاحظ هناك فتوى ذات إبعاداً أوضح واشمل من هذه الفتوى من حيث المدلولات والشكل والمضمون.

ان الفتوى المباركة للمرجعية الرشيدة كانت رسالة سلام موجهة ضد فئة باغية وعملت على اعادة توطين المهجرين في مدنهم التي هجروا منها واعيدت دور العبادة لكل الديانات والطوائف دون تفريق بين دين او عرق او طائفة وهذا ما عجزت عنه كل الجهات الرسمية وغير الرسمية .

كانت المرجعية الجهة الوحيدة التي استقبلها الكل بمقبولية ورضا ولاقت دعوتها لمكافحة التطرف والعنصرية والقتل تعاطفاً من الكل فانخرط في الحشد الشعبي العديد من مكونات الشعب العراقي من المسلمين والمسيحيين والايديين والشبك و ابناء المناطق الغربية فكان الحشد الشعبي بودقة وطنية جمعت كل الأطياف والمسميات وصمام امان العراق والحامي لهذا الوطن^(١). ومن بين أسباب التأثير والفعل الكبير لهذه الفتوى، أنها صدرت من أعلى وأبرز مؤسسة دينية في العراق، والعامل الآخر للتأثير والفعل الكبير لفتوى الدفاع الكفائي تمثل بتقدير وادراك طبيعة ومستوى الفكر الداعشي التكفيري، الذي كان قاب قوسين او ادنى من السيطرة على العاصمة بغداد وهي رمز السلطة وعنوان الحكومة، ومن جانب آخر أن المرجعية الدينية مؤسسة وشخصاً، كانت وما زالت فوق الانتهات والاصطفافات الحزبية والفتوية الضيقة، وهي مظلة وملاذ للكل.

خيار الدفاع الذي اتخذته مرجعية النجف بزعامة السيد السيستاني دام ظله الوارف لم يكن خياراً سهلاً، لذا حاولنا في هذا البحث ان ندرس الأبعاد التي أدت إلى إعلان فتوى الدفاع الكفائي ضد تنظيم داعش الارهابي بعد أن سيطر بالقوة على مساحة تقدر بثلاث العراق وكاد أن يفرض تهديده باحتلال مدن اخرى كبغداد وكربلاء وغيرها .

ان البحث والتقصي عن دور المرجعية الدينية في العراق لا يمكن ان يعطى استحقاقه وحقيقته دون التوسع في البحث ليشمل الاصول الفكرية لطروحات المرجعية وعمقها الفقهي والفكري من مجمل التطورات والاحداث السياسية والاجتماعية، وتحليل خطابها الديني والسياسي، وبما اننا ملزمين بمحددات هذه الورقة البحثية سنختصر البحث فقط عن فتوى الدفاع الكفائي بوصفه ابرز موقف تبنته المرجعية ، ودعت اليه

واسهم بشكل محوري بإحداث تغييرات مهمة على مستوى تحقيق الامن والاستقرار ومنع حدوث الفتنة الطائفية.

وكان الاساس البحثي لهذا البحث هو العطاء الفكري اللامحدود للمرجعية وما صدر عنها من تعليمات عبر الفتاوى والتعليمات والمواظ ، لذا كان لها الحضور الكبير في هذه الدراسة التي تسلط الضوء بصورة موضوعية وشاملة ومركزة على فتوى الدفاع الكفائي بوصفها اهم الاحداث التي تبتتها المرجعية الدينية بعد عام ٢٠٠٣.

ان ابرز ما تتصف به المرجعية الدينية هو العمق الايدلوجي والقراءة الحكيمة والمتانية للأحداث، والتنبؤ الواقعي بالأحداث وفق المعطيات القائمة، بالإضافة الى الزهد في الدنيا، وهذا الامر جعل المجتمع مرتبطاً بها ارتباطاً روحياً قوياً على مر الازمان- ويستجيب سريعاً لما يصدر عنها من توجيهات، على الرغم من انها لا تمتلك أي سلطة تنفيذية، ولا شك ان التوفيق الالهي، والعناية الربانية، كانت حاضرة في كل توجهات المرجعية، لان عملها يستند الى اسس رصينة خالصة لوجه الله تعالى.

ويؤكد تاريخ المرجعية الدينية على انها - ومع الاحداث والمواقف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل توعيتها ونشاطها وارتباطها^(٢)، فقد أدت أثراً مهماً لا علي مستوى المسلمين الشيعة او المسلمين عامة، بل على المستوى العالمي والانساني، وفي هذه الورقة البحثية محاولة متواضعة من الباحث لتسليط الضوء بشكل مركز على اهم مواقف المرجعية الدينية وهي فتوى الدفاع الكفائي.

الحث على التعايش السلمي

يتضح جلياً من خلال فتاوي ولقاءات المرجعية مع المكونات المختلفة من أبناء الشعب على اهتمام المرجعية الدينية بمسألة التعايش السلمي، وهذا الاهتمام لا يمكن قراءته بمعزل عن الظروف التي مرت بها المرجعية لاسيما ما عانتها أبان حكم النظام السابق، وبعد ان حدث التغيير عام ٢٠٠٣، وما افرزته العملية الديمقراطية من نتائج، بقي الشيعة مستهدفون بشكل يومي، وانتهى هذا الاستهداف أخيراً بهجوم داعش ٦/١٠/٢٠١٤ على الشيعة أولاً في المناطق الشمالية معلنين ان الهدف وراء ذلك هو النجف الاشرف وكربلاء المقدسة بشكل اساس، وكما قال أبو محمد العدناني وهو أحد أبرز قيادات تنظيم داعش والمتحدث باسمه في كلمة نشرت على مواقع الكترونية - تعنى بأخبار الإرهابيين الذي أكد فيه عزم التنظيم على تصفية الحساب في كربلاء والنجف، وهذا مما فرض على المرجعية الدينية مسؤوليات جسيمة منها مراقبة العملية السياسية، والعمل على رعاية النسيج العراقي، إذ ان المسؤولية تحولت إلى قضية قلق من ردة الفعل الانتقامية، والحذر من استغلال صمت وصبر الأكثرية، فتحملت المرجعية ثقل المسؤولية، وبدأت بتوجيه التوصيات المستمرة لرعاية العملية الديمقراطية، التي ترعى كل المكونات، بدءاً من إقامة دولة مدنية تحفظ فيها الحقوق من خلال الصندوق الانتخابي إلى عملية المحافظة على القرار المشترك وعدم تهيمش احد .

ولم تحمل الفتوى المباركة أي جانب طائفي - على الرغم من الاتهامات التي كملت لها لان الفتوى كانت رسالة سلام وتعايش وامان، وقد برهنت المرجعية الدينية في الاعوام التي تلت الاحتلال الامريكي وفي أشد الظروف صعوبة أنها بعيدة كل البعد عن أي ممارسة طائفية، وهي صاحبة المقولة

الشهيرة - عن أهل السنة-: «لا تقولوا إخواننا بل قولوا أنفسنا».

حفظ دماء أبناء الوطن

من اولويات المرجعية الدينية الحفاظ على ارواح أبناء الوطن وممتلكاتهم، وكانت المرجعية صمام الامان الذي يعمل على منع الفتن الطائفية معينة بعد تفجير المرقدين المقدسين في مدينة سامراء المقدسة ، وهذا يؤكد الحرص الشديد على دماء أبناء العراق ومحاوله الابتعاد ، ومن المؤكد ان الفتوى المباركة حافظت على دماء أبناء الوطن وعززت الامن المجتمعي واشاعت مبدأ السلام والحوار .

ومهما بلغ الخلاف بين الفئات والطوائف فليس من الحكمة إلغاء بعضها للبعض الاخر وتجاهلها ، والتعدي عليها واخذ حقوقها ، لأن ذلك يكون سبباً - لتعصب الطرف الذي تؤخذ حقوقه مهما كان ضعيفاً لواقعه، وتمسكه به، والاستجابة لدعوات الكراهية، بنحو يزيد من فجوة الخلاف ويعمق آثاره، ويمنع من فرص التلاقي والتقارب والحوار، كما انه يؤدي إلى تأجيج العواطف ، واستحكام العداء والحقد، بنحو قد ينفجر عن صراع دموي، وفتنة عارمة تضر بالكل ، وتدمر البلد وتفتت وحدته، ناهيك عن كونه يكون ثغرة ومجالاً ينفذ منها الأعداء والذين يرمون بهذا البلد سوءاً.

ولا ينبغي ان ننسى ما اصدرته المرجعية من بيانات بعد حادثة تفجير سامراء وهو ما معناه : «لقد اراد التكفيريون المجرمون الذين ارتكبوا ذلك الاعتداء ان يجعلوا منه منطلقاً لفتنة طائفية شاملة في العراق، ظناً منهم انها تقرهم من تحقيق اهدافهم الخبيثة والمسمومة في هذا البلد العزيز، وذلك بعد ان عجزوا عن اشعال نار الفتنة فيه لأكثر من عامين منذ بدء الاحتلال ، على الرغم من كل ما ارتكبه من جرائم في مختلف الاماكن

ولاسيما في المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية الى ان يصل وكما ندعو المسلمين وهم يحيون هذه المناسبة الحزينة ويعبرون عن مشاعرهم الصادقة اتجاه ما تعرض له ائمتهم سلام الله عليهم من هتك واعتداء ان يراعوا اقصى درجات الانضباط ولا يأتي منهم قول او فعل يسي الى المواطنين من اخواننا اهل السنة الذين هم براء من تلك الجريمة النكراء ولا يرضون بها ابداً .

ومن الامثلة التي تدلل على حرص المرجعية على الحفاظ على أرواح الأبرياء ، ما حدث في مدينة النجف الأشرف، عام ٢٠٠٤م، أذ دخلت إحدى الجهات المسلحة حالة من المواجهة والصراع والاشتباك المسلح مع قوات الاحتلال، وقد اتخذت من حرم امير المؤمنين سلام الله عليه مقراً لها، وأرادت القوات العسكرية الدخول إلى النجف الاشرف بمساندة القوات الأمريكية، مما يعني انتهاك حرمة المدينة المقدسة وما لها من مكانة في نفوس المسلمين عموماً وابناء الوطن بوجه معين، بادر السيد اطلال الله في عمره إلى حلّ النزاع بعد لقاءات متعددة بين الأطراف المتنازعة قام بها ممثلون عن سماحته، وقد أثمرت جهوده المباركة بحل المشكلة القائمة بعد أن عجز عنها الكثيرون واستطاعت المرجعية بحكمتها ان تحافظ على أرواح المواطنين والمقاتلين ايضاً وعودة الاستقرار والأمن للمدينة المقدسة.

اسهمت المرجعية الدينية خلال الاعوام الماضية في حقن دماء ابناء الوطن، وكانت طوال تلك الاعوام ، حارساً اميناً للسلم الأهلي في العراق، ومدافعاً عن وحدة المجتمع، وعلى الرغم من ان آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله الوارف، وهو رجل دين وليس رجل سياسة، لكنه كشف عن عمق سياسي فريد من نوعه، وأكد على مواقف غاية في

الدقة، خففت كثيراً من الهياج العاطفي الغرائزي الذي اجتاحت البلد في بعض الاوقات والذي أججته قوى متطرفة مشخصة من قبل الشارع العراقي، لاسيما بعد تفجير مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام، ومواقف المرجعية تسامت كثيراً عن ذكر اية عبارة تتعلق بالطائفية من قريب او بعيد، وحتى المشاركة الانتخابية فان المرجعية دعت لها بدون الميل لمرشح او قائمة او جهة سياسية، وأن الامتناع عن المشاركة الانتخابية لأي سبب كان سيعطي الفرصة للآخرين في تحقيق اهدافهم غير المشروعة، والمرجعية الدينية العليا، في الوقت الذي تؤكد على عدم تبنيها لأيّة مشاركة في الانتخابات فأنها تشدد على ضرورة أن يختار الناخب من القوائم المشاركة ما هي أفضلها واحرصها على مصالح العراق في حاضره ومستقبله وأقدرها على تحقيق ما يطمح إليه شعبه الكريم من الاستقرار والتقدم، ويختار أيضاً من المرشحين في القائمة ما يتصف بالكفاءة والالتزام بثوابت الشعب العراقي وقيمته الأصيلة»^(٣).

الجهاد وحكمة التشريع

الجهاد مصدر جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد أو بذل كل منكما جهده أي طاقته في دفع صاحبه، ثم غلب في على قتال الكفار^(٤)، والمعنى الشرعي للجهاد يذهب إلى قتال الكفار، ويهدف إلى حفظ شعائر الدين والإيمان إقامة العدل، ومن شؤون ذلك الدفاع عن بلاد الإسلام والتصدي لكل عدو يحاول النيل من بلاد الاسلام، وإن من يطلع على مصادر التشريع الإسلامي من الكتاب والسنة يجد فيهما تركيزاً كبيراً واهتماماً ضخماً بموضوع الدفاع، ففي القرآن الكريم ما يُقارب (٤٠ آية) تتكلم عن الدفاع بلفظ الدفاع او من ينوب عنه، فضلاً عن مجموعة من الآيات تتحدث عن الدفاع بلفظ الغزو والحرب والشهادة وغيرها، بينما لا نلاحظ في القرآن الحكيم عن

الصَّوْم (١٠ آيات) تقريباً. وعن الحجِّ إلا (٨ آيات) فقط، وعن الخمس آية واحدة، وهذا يشير الى اهمية الدفاع في حياة الامة.

وحينما نرجع إلى سنة النبي واحاديث اهل البيت سلام الله عليهم نلاحظ مئات الأحاديث والنصوص تركّز على موضوع الجهاد وتقرّر بصرامة: أنّ الجهاد أهمّ وأفضل من كل الأعمال والعبادات الأخرى، فعن الرسول الكريم ﷺ: فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ حَتَّى يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ. ويقول الإمام محمد الباقر (سلام الله عليه): (الجهاد الذي فضّله الله عزّ وجلّ على الأعمالِ وَفَضَّلَ عَامِلَهُ عَلَى الْعَمَلِ تَفْضِيلاً فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ)^(٥)

لايستهدف الاسلام من تشريع الجهاد ما تستهدفه الحروب في المجتمعات الجاهلية او المجتمعات الحديثة من التسلط والاحتلال والسبي، وتحصيل الغنائم والأموال او اشاعة مبدأ او مذهب على حساب اخر، ولا ما ترتكبه الدول في هذا العصر من هدم المباني وتخريب المدن وقتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والعزل والمدنيين بالهجوم عليهم ليلاً ونهاراً بالسلاح والقنابل والصواريخ والطائرات وغيرها من أجل الاستيلاء على بلاد الغير سياسياً واقتصادياً وثقافياً^(٦).

يستهدف الاسلام من الدفاع إقامة الدين وبقائه واستمراره، وصيانة كيان الامة وابعاد الخطر المحدق بها لتمارس طقوسها وشعائرها بحرية تامة، ونشر العدل والفضيلة وبسط الحقّ وتطهير الارض من الظلم والاستبداد^(٧)

ويختلف معنى الجهاد في الله عن الدفاع في سبيل الله، لكنّ ثمة فارق لطيف بينهما وهو كلمة سبيل، التي توسّطت بين كلمتي «في» و«الله»، فهناك جهاد في الله وهناك جهاد في سبيل الله، والأوّل أقرب وأشدّ إخلاصاً لله تعالى، ونظير ذلك ما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُذِيتَ فِي اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ١٠)، حيث يكون الباعث والدافع الوحيد وراء ظلم المشركين للمؤمنين هو قولهم: ربنا الله. أمّا

قوله سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، فسبب الظلم هنا هو سلوك المؤمنين طريق الحق واتباع دين الله تعالى.

أولى الإسلام الدفاع عناية معينة، وأشارت الكثير من النصوص الشرعية إلى فضله وأهميته، وخلاصة ما يمكن أن يستفاد منها أن الجهاد هو عماد الدين عن أمير المؤمنين سلام الله عليه: الدفاع عماد الدين، ومنهاج السعداء^(٨). عن الامام الصادق سلام الله عليه: أصل الإسلام الصلاة، وفرعه الزكاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله^(٩)، وقد أولى الإسلام أهمية معينة للجهاد، بسبب ما يتوفر عليه من دعامة قوية وركيزة هامة للدين، وقد أشارت بعض الروايات إلى هذه الحقيقة فعن الإمام الباقر سلام الله عليه: «الجهاد الذي فضله الله على الأعمال لأنه ظهر به الدين، وبه يدفع عن الدين»^(١٠).

موقف المرجعية الدينية من الارهاب

بينت المرجعية المقدسة موقفها من الارهاب بشكل قاطع لا يقبل التأويل، وراي المرجعية يتمثل بماياتي:-

١. إن الإرهاب لا يمثل الإسلام الحقيقي بأي بوجه من الواجه .
٢. ان البلدان التي تصدر الإرهاب وترعاه ليس من البعيد ان تبثلى به .
٣. لا بد من تشكيل اللجان التحقيقية لمتابعة الجرائم التي لحقت بحق الابرياء وهذه اللجان تكون ذات طابع دولي .

فتوى الدفاع الكفائي

أن من بركات هذه الفتوى التي اختلفت عن سابقتها أنها يمكن قراءتها بقراءات مختلفة ومن اتجاهات متباينة ، ولا شك ان للفتوى قراءة فقهية ولها قراءة اجتماعية ولها قراءة سياسية واقتصادية ، وكذلك فإن قراءة أحداث ما قبل الفتوى مهمة جداً، من أجل فهمها بصورة صحيحة، فالأحداث التاريخية تبقى ناقصة اذا قرأناها منقطعة عما قبلها من أحداث مرتبطة بها، ولن تكتمل الصورة إلا إذا اضعفنا لها قراءة ومتابعة ما بعد الحدث أيضاً، فقبل الانهيار كان وشيكاً نتيجة عدم البناء الصحيح للمؤسسة العسكرية ولتفشي الفساد المالي والاداري.

تعمل المرجعية الدينية على وحدة المسلمين ، وجمع كلمتهم ، وتقف بالمرصاد لكل ظاهرة او اعتداء ، كما تقوم بدور مهم في إصلاح شؤون المسلمين ومعالجة قضايا الامة ، وتلتزم المرجعية موقف الصمت الواعي والمراقب الدقيق لكل الاحداث، لكنها لا تتدخل بشكل مباشر فموقفها اشمل واقوى واشد تأثيراً إلا إذا كان الأمر مصيرياً يتعلق بامور الناس ومصالحهم . وهو امر تقرر المرجعية وفق معاييرها الخاصة .

تعد فتوى الدفاع الكفائي من أبرز المواقف التي لا يمكن ان يتجاوزها التاريخ وهي تضاف الى مواقف المرجعية من الاحداث الكبرى التي مر بها العراق ان لم تكن أبرزها، ولم تكن فتوى الدفاع رد فعل من اجل الحرب والاقتيال ، إذ لا تؤمن المرجعية بعسكرة المجتمع ومنطق القوة اطلاقاً، ونلاحظ في مجمل اطروحات المرجعية انها تدعو للحوار السليم والتعايش السلمي والانفتاح والحكمة والسلام المبني على تقبل الآخر ، لذلك يمكن

تصنيف الفتوى على انها (فتوى السلام والتعايش المجتمعي) لان لها ابعاد
انسانية جسيمة من خلال دعوتها الى تحرير الانسان والارض من بطش
وقتل اعلى ارهاب عرفه العالم وعجزت عن مواجهته اقوى الماكينات
العسكرية والاستخبارية، ومن هنا تتضح اهمية الفتوى.

نتائج فتوى الدفاع الكفائي

ان من أبرز نتائج فتوى الدفاع الكفائي :-

١- انها خاطبت كل ابناء الوطن بكل طوائفهم ولم تقتصر على فئة او شريحة معينة لان العدو واحد والهدف هو القضاء على الدولة التي تمثل النظام.

٢- تدعو المرجعية للانخراط في صفوف القوات الامنية حصراً.

٣- كان البعد الوطني الوجداني هو الاقوى في مفردات فتوى الدفاع الكفائي، اذ ان الخطاب كان لعامة المواطنين وليس للمسلمين او الشيعة فقط.

٤- تصف المرجعية كل من يقتل في معارك الدفاع عن العراق بالشهداء، مهما كان انتمائه.

٥- اعطت الفتوى زخم كبير للقوات الامنية وعززت من الروح المعنوية لمختلف المؤسسات الامنية .

٦- لقد كان للجهاد الكفائي الذي أعلنته المرجعية الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق، ومنع داعش من التسلط على البلاد، وان تلك المهمة هي أشرف وأقدس المهمات حيث الحفاظ على وحدة العراق، فاستطاعت المرجعية ممثلة بالمرجع السيستاني (دام ظله) ان توظف كثير من المكنات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق.

٧- منعت ارجاع العراق تحت البند السابع والوصاية الدولية.

٨- عززت الفتوى من القانون وهيبة الدولة واعطت دعم كبير للمؤسسة الامنية.

٩- اعطت امكانية لإصلاح المنظومة السياسية والامنية .

١٠- حشدت المجتمع العالمي والمنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين.

١١- أن المرجعية أفتت بالدفاع الكفائي لأنه لا توجد بدائل عن الفتوى، كما حصل تماماً في فتوى تحريم التبناك، التي كانت في حقيقتها ربما فتوى اقتصادية، وهكذا وفتوى ثورة العشرين^(١) التي أطلقها المرجع في وقته، ولنصطلح عليها

فتوى عسكرية والحفاظ على السيادة الوطنية، وهكذا مرجعيتنا العليا أيضا أفتت حيث لم تجد خياراً في حينها غير الفتوى، والمقصود أنه لا يوجد خيار غير الفتوى، ولا يمكن أن نفهم المعنى الحقيقي لهذه الجملة الا بالقراءة المتأنية إلى ما قبل الفتوى، التي يمكن أن نسميها بفتوى عسكرية سيادية دينية.

أراد الكثير من الاعداء ان يحرف الفتوى المقدسة من خلال تصويرها على انها قتال سني شيعي لكن حكمة وهدوء وحركة المرجع السيد السيستاني (دام ظله) استطاع إيجاد مساحة تأييد وغطاء سياسي محلي ودولي وإقليمي لها، وهو يعرف ان العراق يدخل ضمن صراع إقليمي ودولي غاية في التعقيد، وعليه سعي لأبعاد العراق عن ذلك بكل الوسائل المتاحة، وقد نجح في ذلك الى حد كبير.

تحليل بيانات المرجعية

- ١- كل عبارات المرجعية ومصطلحاتها منتقاة بشكل موضوعي ودقيق جداً فهي أكثر تسامحاً ولا تنتمي لمفردات قاموس الأدب السياسي الديني التي شاعت وانتشرت بعد عام ٢٠٠٣.
- ٢- خلت لغة المرجعية، من أي مفردة دينية أو مذهبية من تلك المفردات التي بدأ بعض العراقيون يتداولونها خلال الاعوام القليلة الماضية في خطاب أحزاب الإسلام السياسي، ولدى (البعض) من السياسيين.
- ٣- احتوت خطب وبيانات المرجعية على كلمات ومفردات مدنية محبة، مثل (العراق العزيز، مصالح البلد، تقديم الخدمة للشعب، المواطنون العراقيون، الشعب العراقي الكريم، التقدم والتنمية) بعد ان كادت هذه المفردات تغيب نهائياً خلال فترة الاعوام الماضية من خطاب أحزاب الإسلام السياسي.
- ٤- التأكيد على مبدأ التعايش السلمي والمجتمعي وتقبل الآخر ونبذ التطرف والعنف، وهذا يؤسس لثقافة مدنية متقدمة، متسامحة، منفتحة على الآخر، وبعيدة عن الانغلاق ورفض الآخر.
- ٥- لم تغفل المرجعية مستجدات العصر، فنصوص المرجعية تؤكد على ضرورة النظام المدني الديمقراطي (الانتخابات)، أي تحكيم أرادة الشعب العراقي كله، وهو أسلوب سياسي يتلائم مع معطيات العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين.
- ٦- خلت نصوص المرجعية من أي ميل او مدح او تمجيد او ترجيح لأي شخصية او جهة او تيار او منظمة سياسية كانت او اجتماعية او ثقافية، والمرجعية بسلوكها هذا ادت المثل الاعلى في الحيادية والوقوف على مسافة واحدة بين كل الاديان والمكونات والتيارات، وقد نلحظ من سيحاول توظيف هذا البيان او ذاك لصالحه إلا أن هذا في حالة حدوثه لن تكون المرجعية مسؤولة عنه. فالنص واضح جدا في حياديته.

ما يميز فتوى الدفاع الكفائي عن غيرها

لم تكن فتوى الدفاع الكفائي الوحيدة في تاريخ المرجعيات الدينية^(١٢)، لكن ما يميز هذه الفتوى عن ما سبقها من الفتاوى هي:-

١- لم يكن العدو الذي تعاملت معه المرجعية عدو واضح المعالم وله كيان معين، فتورة العشرين تعاملت مع عدو له كيان معين، فداعش تنظيم ارهابي خارج عن مقاييس الأنظمة والمعاهدات الدولية، فلا نستطيع أن نجرمها كدولة ولا نستطيع ثالث ان يتوسط لأنها ليست كيانا واضحا، فكان لابد من الحنكة والدقة والحكمة في التعامل مع هذا الوجود الارهابي الشاذ

٢- تعد فتوى الدفاع الكفائي من اكثر الفتاوى حساسية وكثرها خطورة بسبب تعقد المشهد العراقي، فالوضع السياسي الذي امتاز به البلد لاسيما للمدة ٢٠١٤-٢٠١٦، كان شديد الضبابية وقد تعاملت الفتوى مع مكونات مختلفة داخل المجتمع العراقي.

٣- الاثر الايجابي الطيب للفتوى من خلال اندفاع الشعب العراقي والدماء العزيزة التي أريقَت.

٤- انطوت الفتوى على دقة متناهية في التوقيت، ولولا الفتوى لكانت الامور جرت على غير مجرى ولاصبحت محافظاتنا رهينة تنظيم اجرامي متطرف، بل انحصر الخلاص بالفتوى وهذا الخلاص ما كان يتحقق لولا هذا الاندفاع الهادر الذي اوقف زحف داعش من جهة، وقضى عليها من جهة اخرى.

٥- إن «الفتوى المباركة» استطاعت أن تقلب المعادلة التي اعدّها الأشرار متمثلة بعصابات التطرف البغيض، ولم تكن الصياغة وليدة الساعة بل هي صياغة جاءت مقابل الإسلام المحمدي الأصيل، لذلك أرادوا ان يشوهوا الإسلام المحمدي فجاءوا بشعارات رنانة وخليفة للمسلمين والجهاد وما شابه ذلك، وأرادوا أن يصوروا للعالم أن الإسلام الذي جاء به النبي

الأعظم ﷺ هو إسلام قتل وحرب وبيع وشراء للنساء وسلب وترهيب وإرهاب“.

٦- لم تهمل الفتوى مابعد داعش حيث أكد السيد السيستاني: إن (ما بعد داعش اشد وأعظم ، ولا بد أن نبقى يقظين ولا نستسلم أمام امثال هذه الهجمات)، إذا أكدت المرجعية ان هناك هجمات أخرى ستبقى وتتنوع بين هجمات عسكرية وفكرية.

٧- ان من الواضح من رؤية وطروحات المرجع السيستاني انه يسعى الى بناء مجتمع ديني وليس دولة دينية والى بناء دولة مؤسسات وليس بناء سلطة فهو يخاطب ابناء الوطن بالمواطنين ولم يخاطب المسلمين فقط فهو يتعامل بمبدأ المواطنة والمساواة بين ابناء الشعب العراقي. -

٨- تضمنت الفتوى افكاره رؤى عصرية من خلال تبنيه لسيادة الشعب وولاية الامة على نفسها، واعطى الحق لتدخل المرجعية الدينية المتصدية في حفظ النظام العام وحفظ الاسس والثوابت الاسلامية والوطنية دون الدخول في التفاصيل او الامور التنفيذية. - واجهت سلطات الاحتلال مواجهة سلمية ادت الى نتائج مهمة.

الاثار السياسية للفتوى المباركة

عندما تقلد سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام السيد علي الحسيني السيستاني زعامة الحوزة العلمية في النجف الاشرف عام ١٩٩٣م/ ١٤١٣هـ، مرت مرجعيته بمراحل مهمة متعددة، الأولى، مسؤوليته بالمحافظة على الحوزة العلمية بالنجف الاشرف، والمهمة الثانية؛ مواكبة التغيرات السياسية التي حدثت بعد عام ٢٠٠٣، ومعالجته التحديات الخطيرة اتجاه أبناء الشعب العراقي، وكان التحدي الأول: دعوته للعراقيين كافة للمشاركة بالاستفتاء على الدستور الدائم عام ٢٠٠٥، والتحدي الثاني: يكمن في إخماده لنار الطائفية بعد تعرض مرقد الإمامين العسكريين عليهم السلام عام ٢٠٠٦ للتفجير من قبل الزمر التكفيرية، أما المهمة الاخرى عندما تعرض العراق لاجتياح العصابات الإرهابية لمدينة الموصل في العاشر من حزيران ٢٠١٤، ومبادرة سماحته لإصدار فتوى الدفاع الكفائي والتي لم تصدر مثيلتها في العالم الإسلامي المعاصر والحديث منذ مئة عام خلت، علماً المرجعية العليا لا تتدخل في تفاصيل العمل السياسي وجزيئاته وتترك المجال واسعاً للقوى السياسية للقيام بذلك، وإنما تتدخل في القضايا المصيرية التي تعجز القوى السياسية عن التعاطي معها أو تقديم حلول مركزية لها، وعلى الرغم من ان اغلب مراجع النجف الاشرف بعد عام ٢٠٠٣ يؤمنون بالخط التقليدي، الا ان القدر المتيقن في سلوكهم كشف انه ثمة ميلاً نحو خط سياسي جديد لم تعهده الحوزة العلمية من قبل، ويمكن ان يوصف انه قد جمع بين الخط التقليدي في التعامل مع الامور السياسية وامور الدولة وبين الاقتراب من الخط السياسي الميداني.

لم يخطر بتفكير عصابات داعش ولم يكن في حسابتها، أن يستنهض جبل العراق همه ابناء الوطن، ويقودهم بفتوى عظيمة نحو الانتصار الناجز،

فالكل اعتقد جازماً أن كل شيء انتهى، وأفضل التقديرات العسكرية لمراكز عالمية توقعت بقاء تنظيم داعش لعقود من الزمن في ارض العراق، وبعضها عد عملية محاربة هذه العصابات بالمستعصية في ظل سيطرتها على مناطق شاسعة يوجد فيها الملايين من المدنيين، إلا أن كل تلك التقديرات سقطت أمام صوت المرجعية العليا، وهي تخاطب أبناء الوطن، وتحرك فيهم روح الشجاعة المعهودة فيهم، لتضع بفتاها الكبيرة بوصلة توجه الجماهير لحمل السلاح ومساندة الأجهزة الأمنية من أجل خوض معركة المصير، ولتبدأ معها عمليات التحرير التي انتهت بشكل كامل بعد ثلاث سنوات على سقوط المدن العراقية.

ومن جهة أخرى وضعت الفتوى القيادات السياسية في العراق أمام مسؤولية وطنية وشرعية جسيمة وهذا يقتضي ترك التباينات والتناحر خلال هذه الفترة العصبية وتوحيد موقفها وكلمتها ودعمها وإسنادها للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات. ويمكن ان نقول ان من اهم نتائج فتوى الجهاد الكفائي انها خاطبت كل ابناء الوطن بكل طوائفهم وقومياتهم وفي ذلك نرى:

- المرجعية في فتوى الجهاد تخاطب المواطنين وليس المسلمين او الشيعة فقط
- المرجعية تدعو للانخراط في صفوف القوات الامنية حصراً
- المرجعية تعدّ من يقتل في معارك الدفاع عن العراق بأنهم شهداء
- البعد الوطني الواحدوي كان هو الابرز في مفردات فتوى الدفاع الكفائي.

الحشد الشعبي ومقومات القوة

الحشد الشعبي هو وليد الفتوى المباركة وقد اسهم تشكيله من ناحية التفكير الاستراتيجي في تغيير المخططات المزمع تحقيقها على الساحة العراقية سواء كانت مخططات محلية او اقليمية او دولية، كما كان لتشكيل الحشد دور كبير في تغيير موازين القوى لصالح القوات العسكرية العراقية، وبالتالي اختلال جيوبولتك القوة، وقد تحققت على يد الحشد والقوات المسلحة انتصارات مهمة وشكل نموذجاً رائداً في الدفاع عن البلد وحمايته من الاخطار المحدقة، ومن المؤكد ان لهذه المؤسسة دور مستقبلي مهم في جيواستراتيجية القرار السياسي الذي يتخذ من المكان معياراً لتباينه الاقليمي.

أحدث الحشد الشعبي تغيراً جيوبولتيكاً في مسار الحرب التي شنها تنظيم داعش المتطرف ضد العراق، فبعد سيطرة الأخير على العديد من المناطق الغربية والشمالية والوسطى وتهديده بغداد وانهار معنويات القوات الأمنية والمواطنين، تغيرت مسارات الحرب لصالح العراق وقواته الأمنية بفعل الحشد الشعبي، وقد اسهم الاخير في الحفاظ على هوية العراق التي اريد لها تكون ضبابية تتباين بتباين مناطقها، ويمكن ادراج مقومات قوة الحشد بالنقاط الآتية:-

١. يمتلك الحشد الشعبي مشروعية قانونية نافذة من خلال البرلمان العراقي، بالإضافة الى المشروعية الدينية المتمثلة بالامثال لفتوى المرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف)، والجدير ذكره ان المرجعية الدينية دعت للانخراط في صفوف القوات الامنية حصراً.

٢. يمتلك الحشد الشعبي عقيدة إيمانية جسيمة، وأفرادها تطوعوا ذاتياً لإنقاذ العراق، فليس هناك غرض مادي او دنيوي، وكان البعد الوطني الوحدوي هو الاقوى في مفردات فتوى الجهاد الكفائي، اذ ان الخطاب كان لعامة

المواطنين وليس للمسلمين او الشيعة فقط، لذلك تصف المرجعية كل من يقتل في معارك الدفاع عن العراق بالشهداء، مهما كان انتهائه.

٣. ان تجربة الحشد في مقاتلة العصابات المتطرفة وتحرير مدنه التي وقعت تحت سيطرة داعش قد اكسبه خبرة قتالية عالية، وان الحشد الشعبي خاطب كل ابناء الوطن على تباين طوائفهم ولم يقتصر على فئة او شريحة معينة لان العدو واحد والهدف هو القضاء على الدولة التي تمثل النظام.

٤. اعطى الحشد الشعبي زخم كبير للقوات الامنية وعزز من الروح المعنوية لمختلف المؤسسات الامنية، بعد سلسلة من النكبات التي مرت بها المؤسسة الامنية.

٥. لقد كان لهذه القوة الأثر الأكبر والحاسم في الحيلولة دون تقسيم العراق، وهو المخطط المعد للبلد، ومنع داعش من التسلط على البلاد، وتلك المهمة أشرف وأقدس المهمات لأنها حافظت على وحدة العراق، فاستطاع الحشد ان يوظف كثير من الامكانيات العميقة التي تملكها قوته في صيانة وحدة العراق.

٦. انتصارات الحشد اسهمت في منع ارجاع العراق للبند السابع والوصاية الدولية.

٧. عزز الحشد من القانون وهيبة الدولة واعط دعم كبير للمؤسسة الامنية.

٨. اعطى الحشد امكانية لإصلاح المنظومة السياسية والامنية بعد ان دب الياس لدى الكثيرين نتيجة الانتكاسات التي تعرضت لها المنظومة الامنية والعسكرية.

٩. حشد الحشد المجتمع العالمي والمنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين.

١٠. لا يوجد بديل للحشد سوى الحشد، كما لا يوجد بديل لفتوى الجهاد الكفائي التي يمكن أن نسميها بالفتوى العسكرية السيادية الدينية سوى تلك الفتوى التي حفظت العراق، فقد كان البلد في مرحلة وجود او عدم وجود.

١١. أراد الكثير من الاعداء ان يحرف مسار الحشد من خلال تصويره على

انه قوة تقف بالضد من وجود السنة بما يهيئ الامر لقتال سني شيعي لكن
حكمة وهدوء وشجاعة ابناء الحشد الشعبي استطاعت إيجاد مساحة تأييد
وغطاء سياسي محلي ودولي واقليمي لها، وقد نجح في ذلك الى حد كبير لذلك
لم يقتصر التطوع في صفوف الحشد الشعبي على مذهب او طائفة معينة.

١٢. بإمكان الحشد ان يكون القوة المساندة للجيش العراقي في تثبيت امن
واستقرار البلد من خلال الوقوف بوجه المطامع الخارجية للدول الإقليمية.
كما ان بقاء الحشد أمر ضروري والزم لما يتمتع به من نقاط قوة من العقيدة
والخبرة والقوة وروح التضحية

١٣. يعد الاكتفاء الذاتي على الصعيد العسكري من أهم مقومات القوة
التي يمكن ملاحظتها من خلال قراءة واقع الحشد الشعبي، فعلى الصعيد
العسكري استطاع الحشد أن يؤسس لقوة قادرة على الجمع لقتال خطر
كتنظيم بين حرب العصابات وحرب الجيوش، وهو ما يحتاجه أي طرف أو
دولة داعش الإرهابي، مما ساهم في تعزيز التلاحم بين المجان الشعبية والجيش
العراقي، لتكون النتيجة انتصارات متتالية، في أكثر من محافظة

١٤. يلحظ أن العراق من خلال قوة الحشد الشعبي قد تخطى كل محاولات
الفتنة والتقسيم، لذلك يمكن القول إن الحشد الشعبي استطاع أن يكون ورقة
قوة نقلت العراق الى مراحل متقدمة عديدة.

١٥. بعث الحشد رسالة غير مباشرة لكل القوى الطامعة في العراق، بل ولكل
الدول والحركات التي تحاول النيل من العراق ارضاً وكرامةً، واثبت للكل ان
هناك قوة ضاربة يمكنها في أي وقت واية مرحلة ان تدافع عن البلد.

١٦. يبقى الحشد قوة ضاربة تقض مضاجع الارهاب اينما وجد، ويحد من
حركته وتطلعاته. فهو قادر على مسك الارض والسيطرة عليها أمنياً والحفاظ
عليها من أي خرق.

وتأسيساً على ماتقدم فلا عجب ان تصنف مجلة (نيوز ويك) الأمريكية وهي احدى المجلات الأمريكية ذات الاهمية الكبيرة في الساحة الامريكية ، الحشد الشعبي على انه رابع أقوى قوات ضاربة على مستوى العالم، بعد خوضها المعارك الأخيرة ضد تنظيم داعش وتحقيقها معادلة النصر لصالح العراق، على مستوى العالم في تصنيفها لأخطر قوى ضاربة، بعد القوات المعينة البحرية الامريكية نيفي سيل (Navy Seal)، ومجموعة ألفا الروسية (aibha)، وفرقة ايكو كوبرا النمساوية.

قد ادت الاحداث المتتالية الى فقدان الامل في سلامة العراق ونجاته من حربه الأخيرة مع الإرهاب، وكدنا أن نفقد العراق ونخسره الى الأبد، لولا أن رأى برهان ربّه في الحشد الشعبي، وأدركت المرجعية الدينية الحكيمة أنّ الظرف واللحظة الزمانية للبلد تُحتمّ الوقوف صفّاً واحداً للحفاظ عليه من برابرة العصر ومغول اليوم، أصحاب العنف والقتل والكرهية، الذين كادوا أن يُفتكوا بالبلد ويُحقّقوا ما ربههم لولا أن منّ الله تعالى علينا بنعمة الحشد الوطني والفتوى الوطنية للدفاع عن بلدنا من شر الأعداء والمبغضين، وقد ظهر الحشد الشعبي وتكوّن في فترة وجيزة نتيجة لفتوى ذهبية من لدن المرجعية، ألهبت الجماهير وصعدت فيهم الهمة والغيرة والروح الوطنية للحفاظ على العراق بكافة طوائفه وقومياته وتشكّلاته الدينية والسياسية والثقافية.

نتائج الفتوى المباركة

١. تحررت الموصل وأعلنت هزيمة تنظيم (داعش) الإرهابي وانهارت دعائمه وتحرر العراق .

٢. اظهرت الفتوى اصطفاف الشعب خلف مرجعيته الدينية التي أكدت انها لكل ابناء الوطن وليست لمذهب او طائفة معينة ، وأكد كل العراق بكل تياراته وأحزابه وقومياته على جدوى الفتوى وحكمة المرجعية، وتطوع من تطوع ليكون الحشد من الشعب وباسم الشعب يقاتل دون تباطىء أو تخاذل، وليتحد الحشد مع الجيش في الدفاع والتحرير .

٣. بينت الفتوى ان الحرب على الإرهاب باتت حرب وجود لا مجال فيها للتهاون والتنازل والانتظار قيد أنملة عن شبر واحد من أرض العراق الذي احتله الطامعون بخيراته وسعيا لتأجيج الصراعات الدموية والطائفية فيه، وعندما تصبح الحرب حرب وجود لها كل هذه المعاني - تصبح حربا على الإرهاب بكل أشكاله وعليه يجب الضرب بيد من حديد لاجتثاث هذا الإرهاب وجماعته وتطهير العراق من أفكارهم وعقولهم صونا للبلاد وللمنطقة ككل .

٤. حيرت الفتوى المقدسة صناع القرار الغربي ودهاة السياسة وجعلتهم يبحثون في ماهية المؤسسة الدينية وتأثيراتها المتمثلة بالمرجعية الحكيمة عليهم يجدون سبلا لاختراقها والتأثير عليها بآراء محاولاتهم بالفشل .

٥. التوافق الكبير بين كل مكونات القوات العراقية من جيش وشرطة وحشد شعبي وتكاملت الأدوار بين الاداء العسكري للجيش والقوات النظامية وبين اداء حرب الشوارع - حيث حصلت المعارك من حي إلى حي ومن بيت إلى بيت في عملية تطهير الأرض من الاحتلال التكفيري .

الاستنتاجات

١- يتبين من خلال البحث أن حكمة السيد علي السيستاني وبعده نظره، واطلاعه التفصيلي على الأحداث السياسية والاجتماعية، جعلته يتخذ القرار المناسب بالوقت المناسب، والمكان المناسب ليقى صوت المرجعية الدينية عالياً ، فكان إصداره للفتوى علاج مناسب وضروري، لتصحيح الممارسات الخاطئة التي ارتكبت، ودليل على عقليته القيادية الحكيمة والحريصة على الأمة ووحدة الوطن، إذ إن فتوى الدفاع الكفائي، تمثل قوة وجود المرجعية الدينية العليا، وقراءتها الاستشرافية للمستقبل.

٢- اظهرت الفتوى المباركة وحدة الشعب واصطفافه خلف مرجعيته الدينية التي أكدت انها لكل ابناء الوطن وان هدفها درء الخطر المحدق بهم .

٣- اظهرت الفتوى مكان القوة التي يمتاز بها الشعب في الوقت الذي تفشت فيه حالات اليأس والاستسلام في ظل الظروف السياسية القائمة آنذاك.

٤- ادت الفتوى خدمة جسيمة ليس للشعب العراقي بكل مكوناته بل للمنطقة عموماً فقد استطاعت الفتوى ان تحد من اقوى واعنى تنظيم اجرامي عرفته البشرية في تاريخها الحديث.

٥- اعطت الفتوى المباركة درساً لكل من يحاول النيل من العراق ووحدته واحتلال أراضيه ، كما انها حيرت متخذي وصناع القرار الغربي، فالقوة العسكرية بكل جبروتها لم تستطع ان تفعل ما فعلته فتوى الدفاع الكفائي.

٦- تختلف فتوى الدفاع الكفائي عما سبقها لأسباب عدة منها تعقد المرحلة وخطورة العدو وانعدام البدائل.

الهوامش

- ١- مجموعة باحثين، الخيار الصعب... قراءة في ابعاد فتوى الجهاد الكفائي ضد تنظيم داعش
بغداد، مركز العراق للدراسات الطبعة الاولى ، بغداد، ٢٠١٧.
- ٢- علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في
العراق ١٩٢١-١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية للعلوم الانسانية
،جامعة بابل، ٢٠٠٧، ص ٥.
- ٣- للمزيد ينظر صلاح عبد الرزاق، المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز
الوحدة الوطنية، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٠م
- ٤- القنوني، أنيس الفقهاء، ص ١٨١.
- ٥- الكافي، الكليني الرازي: (ج ٥/ ص ٣).
- ٦- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٦٤ - ١٦٥.
- ٧- السبزواري، مواهب الرحمن، ج ٩، ص ١٧٨.
- ٨- ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٤٤.
- ٩- دعائم الإسلام القاضي النعمان ج ١ ص ٣٤٢.
- ١٠- الكافي ج ٥، ص ٣.
- ١١- عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ١٩٧٢م.
- ١٢- للمزيد حول تلك الاحداث ينظر:-
عباس جعفر محمد الإمامي ، الدور السياسي للمرجعية الدينية في العراق الحديث ، دار العلم
لِلناهيين، بيروت، ٢٠١١م

المحتوى

دور المرجعية الدينية في ترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيز ركائز الوحدة الوطنية والمواطنة	
(توجيهات السيد السيستاني رحمته الله أنموذجاً)	٦
بلاغة الاستجابة الجماهيرية لخطاب المرجعية فتوى الجهاد الكفائي مثلاً.....	٣٨
(الابعاد الاجتماعية لفتوى الدفاع الكفائي وانعكاساتها على عراق مابعد داعش) دراسة تحليلية	
بمنظور سوسيولوجي.....	٦٠
اطروحة السيد السيستاني للتعايش السلمي وصداها في الاعلام العالمي-قراءة موجزة لأسس	
ومبادئ التعايش السلمي في خطاب المرجعية العليا خطبة الجمعة انموذجاً.....	٨٠
آثار خطب المرجعية العليا في تثبيت الهوية الوطنية.....	١١٠
الأبعاد الانسانية والأخلاقية لوصايا السيد السيستاني رحمته الله للمجاهدين.....	١٤٦
فتوى الدفاع الكفائي - دراسة في المضامين الفكرية والابعاد السياسية.....	١٧٢



